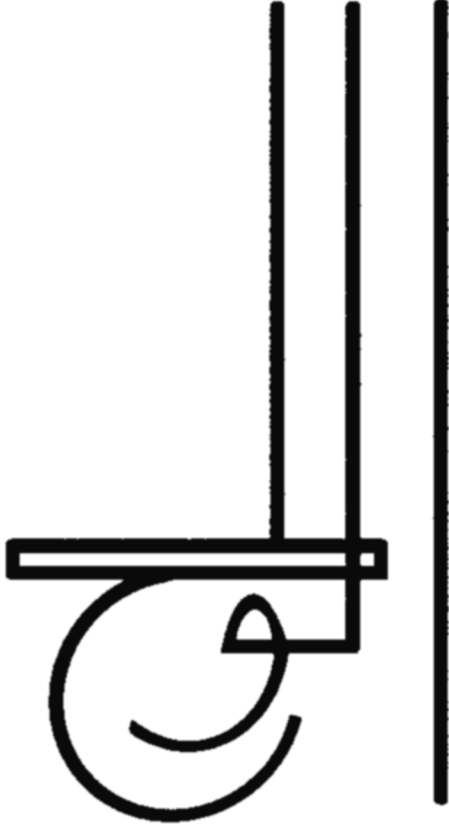


بيت الفقراء
نشر الثقافة الروحية
الجزء الحادي عشر
ألواح ما بين قبر ومنبر



السيد الروح المرشد (سلفر برش)

الجمعية الإسلامية الروحية

القاهرة - الحلية الجديدة

طريق علي مبارك الرقم ٢٨

رافع محمد رافع

ألواح ما بين قبر ومنبر - الجزء الحادي عشر

فهرس الأحاديث

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١	الوجودية	بحث علمي بقلم: علياء رضاه رافع محمد رافع	بدون تاريخ	١
٢	الحق المتصل والحق المعتقد في الوجود المطلق المقصود في معاملة حقه المرسل عبد الله وحقيقته في الملائن الأعلى والأدنى هو الإنسان. ورسول الله وحكمته في العالمين الظاهر والباطن هو الإنسان. وحق الله وعزته وعلم الله وعليته في الملكين بالحضرتين هو الإنسان. ظاهر وجه الله وغيبته في الوجودين في دورات الحياة هو الإنسان. آدم الآب وآدم الأب وآدم الابن حقائق لحق واحد بإنسان الله الواحد. آدم الذات وآدم الروح وآدم الحق قيام واحد لإنسان لله واحد. الإنسان آحاد الله لظاهر الحق بمعناه لأسمائه في الوجود المطلق اللانهائي له.	حديث الجمعة	٦ مارس ١٩٦٤ م	١١

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
٣	النور الحي القيوم يقوم من دثر الأوزار ووهم الأعمال عتيقا من هياكل الظلام والزوال ها هم (الموتى يتكلمون) ويعملون وها هم الأحياء اليقظون يتابعون وبيماهم يؤمنون ها هو الروح يقوم لرب العالمين يوما للدين	حديث الجمعة	٢٥ سبتمبر ١٩٦٤ م	٢٣
٤	إنسان الخليفة أزواجاً بألوانه لإنسان الحقيقة معراجاً بعنوانه أمر الله الأبد القائم، لأمر الله الأزل الدائم اسم الله الحاجب لاسم الله الواجب في الوجود المطلق اللانهائي الله ورسوله	حديث الجمعة	٢٣ أكتوبر ١٩٦٤ م	٣٥
٥	الإنسان العابد للإنسان المعبود لإنسان الحقيقة بإنسان الشهود أمر الله لأمر الله في ناموس الوجود الأمر الوسط لأمرين للدنو وللصعود	حديث الجمعة	٦ نوفمبر ١٩٦٤ م	٤٧
٦	التواجد بالحياة في الحياة بالدخول في قيوم إنسان الحق، بقائم كلمته بإنسان الخلق علم إنسان الله لجماع العبد والرب للإنسان الأعلى في علميته على الوجود المطلق اللانهائي	حديث الجمعة	٢٦ نوفمبر ١٩٦٤ م	٦١
٧	إنسان الله وبيت الله عتره رسول الله وبيوت الله قبلة الصلاة سفن الخلاص والنجاة	حديث الجمعة	٤ ديسمبر ١٩٦٤ م	٧٥
٨	الشیطان والرحمن في كائن الإنسان هو لهما عالم، وهو بهما علمان في أمره من الرحمن رحمانا، وهيكله من الأكوان شيئا وشیطانا	حديث الجمعة	١١ ديسمبر ١٩٦٤ م	٨٩

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
٩	معية الله للإنسان كيفما شاء كانت فكان كائن الشيطان أو كائن الرحمان الله من وراءهما بالحرمان أو بالإحسان	حديث الجمعة	٢٥ ديسمبر ١٩٦٤ م	١٠٥
١٠	عالم الغيب والشهادة هو من قرأ نفسه في شهادته مظهرًا لحقه وحقيقته فكان رسول قديمه إلى جديده بدائم قائمه أب بين أبوين وولد بين ولدين ووصلة بين موصولين	حديث الجمعة	١ يناير ١٩٦٥ م	١١٩
١١	الإسلام دين جمع الأديان وحكمة جمعت الإحسان بتعاليم منهضة لفطرة الإنسان فردا وبيتا وأمة	حديث الجمعة	٨ يناير ١٩٦٥ م	١٢٧
١٢	الله والإنسان الله في حجابهِ والإنسان في إياه الحق في دانيهِ والإنسان في عاليهِ	حديث الجمعة	٢٢ يناير ١٩٦٥ م	١٣٧
١٣	ليت لنا مثل الذي لقارون!! الحمد لله أن ليس لنا مثل الذي لقارون!! ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة وهذا هو نصيبك من الدنيا	حديث الجمعة	٥ فبراير ١٩٦٥ م	١٥٣

(١)

الوجودية

بحث علمي بقلم: علياء رضاه رافع محمد رافع

ليست الفلسفة الوجودية فردية، يمكن أن ننسبها إلى شخص بعينه، إنما هي نظرة متطورة عن وجود الإنسان وجوهره، ولعل موضوعها وهو الإنسان، يبين لنا مدى تعقدها وتعددتها، هذا التعدد الذي جاء نتيجة تطور معرفة الكائن البشري عن نفسه، ومرونة العقل الإنساني في أن يتخذ زوايا متعددة في بحث حقيقة وجوده.

إذا أرسلنا البصر عبر آفاق التاريخ، لوجدنا بذورا منها عند السفسطائيين وهم يجادلون في القول بأن معيار الحق والخطأ هو الإنسان، ومن المؤرخين من اعتبر الأبيقوريين من الفلاسفة الوجوديين، كذلك نجد سقراط يبحث في وجود الإنسان، ولكن بطريقة مثالية، وإنما أهم ما يعنينا في الأمر نشوء هذه الفلسفات الحديثة التي اقترنت كل منها باسم (فلسفة وجودية)، وهي التي نقلت البحث من الماهية إلى الوجود الواقعي المشخص للإنسان، وقد تعرضت الوجودية لهجوم عنيف من أعدائها، في نفس الوقت الذي كانت تنتشر فيه، قال أعداؤها إنها فلسفة غير إنسانية لأنها تجعل من التشاؤم إحساسا دائما يعيشه الإنسان في كل لحظة. وقال آخرون إنها فلسفة لا أخلاقية تهدم كل القيم الإنسانية، وتشيع في المجتمع الفوضوية والانحلال. وطائفة ثالثة تعرضت لها من الجانب الديني، خاصة أن وجودية سارتر تجاهر بإلحادها بالله الذي لا قيمة له، ولا ضرر من فقده.

ولكي نتبين مدى صحة هؤلاء المهاجمين في هجومهم، يجب أن نعرض تطور هذه الفلسفة، في محاولة انفعال بآرائها، وفي ظل مفهوم عن الحياة، ارتبطنا وامتزجنا به. فربما كان هذا مفتاحا صغيرا لفتح الباب المغلق، أو بصيصا من النور ألقى في ظلام الدجى.

والفلاسفة الوجوديين عندما يتكلمون عن فلسفتهم فهم يتكلمون عن أنفسهم في تجربة ذاتية حية، فهم يقومون بالكشف عن أناهم، وقد استعملوا ألفاظا مجسمة تبين حقيقة شعورهم، كاستعمال سارتر للفظ الغثيان.

والآن لنبدأ بهذا الذي اقترن اسمه بأبي الوجودية، في الوقت الذي كان يهاجم فيه المذهبية، ولم تكن عنده أدنى فكرة عن أن ما قاله هو بداية لفلسفة جديده تكلم فيها كثير من الفلاسفة اللاحقين عليه أو المعارضين له، إنه (كيركجارد).

(كيركجارد): كان لنشأة كيركجارد الدينية أثر كبير في تكوين آرائه الفلسفية، فقد أمضى طفولته مع والد شيخ طاعن في السن، كان يتكلم معه كثيرا عن الله، والخطيئة والقلق والتمزق النفسي، وتأثر كيركجارد كثيرا بتعاليم أبيه، وقام عنده الإيمان بالله عن طريق الإحساس، وليس عن طريق المنطق العقلي، هذا الإحساس بالضياع والتمزق والفناء أمام الكائن الأعظم.

إن طريق الإنسان إلى الله هو التأمل لذاته (أي ذات الإنسان)، ولكن عليه أن يعرف أنها ستظل مجهولة عليه بتعقدها وتعددتها، حتى أن وسائل تعبيره عنها لن تكون كاملة، لأنها ستكون بهذا التعدد، وهذا التعقيد.

ومن تأمله لوجوده سيدرك أن هذا الوجود هو وجود للخطيئة، لأننا نكون في تماثل مع الله، ونشعر بفرديتنا بإزائه، وهذا الحضور أمام الله ينشأ عنه صراع بين أنا الكائن المتناهي، وبين الأبدية وهو الوجود اللامتناهي، وبالرغم من معرفتنا أن الفناء وجود للحقيقة، إلا أن النفس تخشى السقوط في الفناء، ولكنها تندفع نحوه بقوة أكبر منها.

وأما المعرفة عنده فهي تجربة حية تعيشها الذات، فهي ليست موضوعا خارجيا يبحث فيه العقل، وإنما هي حياة وعمل يعيشه الوجود، بل إن الوجود ينعكس فينا، وبذا لا نستطيع أن نعرف عنه إلا عن طريق معرفتنا لأنفسنا.

وعلى هذا فإن الموضوع لا يكتسب حقيقة إلا من علاقتي أنا به، فلو اعتقدت في حجر اعتقادا راسخا، وخلعت عليه صفات الآلهة، لأصبحت علاقتي مع هذه الصفات، وليس مع الحجر كحجر.

وإذا كان كيركجارد قد نظر في الوجود أمام الله، نجد أن جبريل مارسيل (١٨٨٩) ينظر إلى الوصول إلى الالتحام بالله، وخير طريق إلى هذا هو الأمل، الذي اعتبره نسيج الروح التي منه صنعت.. هذا الأمل هو الذي يجعلنا دائما نحاول أن نصل إلى أعلى، فنتعالى عن وجودنا لترتبط به، ولكن الشرط الأساسي للوصول إلى الأعلى هو تجسيمه وتشخيصه في زعيم أو مفكر أو فيلسوف، أي في إنسان، وهذا الارتباط ليس خارجيا، إنما هو ارتباط به في أنفسنا، أي أننا نسير نحوه في تكوين ما نحبه فيه فينا، وهذا الارتباط لا بد أن ينشأ من دعوة الآخر لنا، لأنه هو تجسيم آمالنا.

ولكي أصل إلى ما أبغي، ينبغي أن أعرف أو أبدأ من وجودي لأصل إلى ما أريد أن يكون عليه هذا الوجود، ولكن هل من الممكن أن ندرك هذا الوجود؟، إن جبريل مارسيل يطلق عليه (السر)، هذا السر الذي أدرك أنه موجود فيَّ عندما أتساءل عن الوجود، إذ أنني أعرف أنني موجود لأنني قد وضعت تساؤلا أتساءل فيه عن الوجود، وبذا يصبح الوجود ليس شيئا أمامي وإنما هو فيَّ، إنه السر الذي ما ألبث أن أنقب بذاتي عنه إلى ما وراءه... إلى اللانهائي.

وعلى هذا فما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقا، ما هي إلا عبارة عن سلسلة من أسرار، تفضي بعضها إلى البعض الآخر، وتعود الواحدة إلى الأخرى لأنها جميعها تشترك في سر واحد، هو سر الوجود. وأول شعور لي بوجودي، هو شعوري بجسمي، هذا الشعور يوجد العالم في نفس اللحظة معي، فوجود العالم لا ينفصل عن الشعور بوجودي.

فأنا جسمي، ولكن هل هذا هو كل ما في الأمر؟، كلا فإن في هذا قضاء عليَّ، لأنني سأصبح جثة. ولما لم تكن الجثة كليَّ، فهناك شيء آخر وهذا هو موطن السر، ألا وهو أن أتعالى عن هذا الوجود، فالوجود الحق إذن هو أن يصنع الإنسان نفسه، صاعدا نحو المتعالي، وتجربة الوفاء هي مفتاح الطريق إليه، والوفاء يقتضي الحرية لأنه لا معنى لوعد ألتزم به بإجبار عليه، والله هو الكائن الذي يبادلنا الوفاء المطلق، وبهذا الوفاء المتبادل أي هذه العلاقة أشارك في اتحاد لا يبلغ مداه التعبير، وأكون بهذا مهياً لتلقي الوحي، ومتأهباً للاتحاد مع الله، وإدراك الله ليس إدراك الغائب (هو)، ولكن إدراك الحاضر الذي أنزع إليه (أنت) الذي أكون في طريقي للاندماج فيه دائما.

هذه هي فلسفة جبريل مارسيل الرائعة، ذات البناء المتناسك العميق، وأما التوأم الحقيقي لجبريل مارسيل فهو كارل ياسبرز (١٨٨٧) ويكاد المرء أن يقول إنه لا بد أن كلاهما قد أخذ من الآخر.

فهو يتكلم أيضا عن التعالي والمفارقة إلى المطلق المتعالي، ولكي نصل إلى الانفصال عن الوجود الموجود يجب أن نفهمه، فالحرية هي أساسه، حتى يمكنني أن أقول (أنا أختار إذن أنا موجود)، هذه الحرية ليست موضوعا أفسره بل هي فعل أقوم به يجعل وجودي حقا، والشرطين الأساسيين للحرية هما المعرفة والشعور بالقانون.

هذه الحرية هي التي توجدني على ما أريد أن أوجد، ولكن هذا التحقيق الذاتي لا يتم إلا بالاتصال بالآخرين، لأنني لا أستطيع أن أصبح عين ذاتي إلا بهم، واتصالي بهم يتخطى دائرة العلاقات المألوفة الاقتصادية والاجتماعية، إلى اتصال أعمق فهو يربط بين الموجودات في جانبها الشخصي الباطني العميق، هذا الاتصال يتم على الحرية في كلا الطرفين المتعاملين بحيث أن تحافظ الذات على نفسها،

لأن وجودها هو شرط اتصالها إذ كيف يتصل الوجود بالوجود؟ ومن كلا الحريتين ينشأ صراع وانفصال، ولكن هذا الصراع ليس صراع عدا، وإنما يجب أن يدخل فيه عنصر الصلابة، فهو الطريق الذي يساعدنا على أن نخلق أنفسنا، مع الآخرين في أشياء نرضيها فيهم لأنفسنا، ونكون في هذا ضد أنفسنا في نفس الوقت.

وللاتصال طابع السر أو المعجزة لأننا نعجز عن تفسيره بواسطة العقل الموضوعي، وذلك لأنه يتم في داخل نطاق التعالي.. ويقول يسبرز (أنا وأنت منفصلان في الوجود التجريبي، لكننا شيئاً واحداً في التعالي).

وقد أعطانا الله الحرية لتتحدى الحياة وما بها من مظالم سعيًا إليه، ولا نستطيع أن نقول إننا نعبد الله ما لم تكن لدينا حرية في الكفر به.

وينتقل يسبرز إلى شرح شيء آخر، وهي المواقف، فهناك مواقف نستطيع أن نتخذها إزاء الأشياء، وهناك أخرى هي حدود تمنعنا من أن نتخطاها، كالموت والألم والصراع، فالموت مثلاً لا بد أن نتقبله باعتباره الغاية القصوى لكل وجود تجريبي، أو باعتبار أن حياتنا الزمنية الموقوتة لا يمكن أن تدوم إلى ما لا نهاية. وإذا كنا نشعر بضرب من القلق إزاء الموت فإنما يرجع ذلك إلى أننا لم نستطع أن نحيا بعد، وأما موت الآخرين الأحباء إلينا، فإن في الاتصال العميق بهم انتصار على هذا الانفصال الوقي، واتصالنا بالمتعالي يتم بثلاث لغات يتحدث بها إلينا هي التجربة التي نحياها، والناس الذين نعاشرهم والتأمل الذي هو تفسير لكل شيء، وقراءة هذه اللغات تساعدنا على أن نطل منها على أغوار أعماق لا نهاية لها.

وهناك طريق آخر إلى المتعالي هو الفشل، وهذا الفشل الذي يدعوني إلى الإيجابية فهو يقول: اعمل مرة أخرى، وبالعمل والاندماج نصل إلى المتعالي.

هذه جوانب رائعة ومشرقة من الفلسفة الوجودية، يظهر الله فيها جلياً واضحاً لدي الفلاسفة، فهم يتعرفون عليه في صميم الوجود الإنساني، ويصلون إليه من واقع إحساسهم به، ولكن هناك من وصحوا أنفسهم بالإلحاد. وكانوا في تفسيرهم مؤمنين أكثر منهم ملحدين، فهم قد أثبتوا القدرة على الخلق في الإنسان، مما جعل إلهاً منفصلاً عن هذا الوجود شيء لا داعي، ولا قيمة له، فهو لا يغير من الأمر شيئاً ما دام منفصلاً عن وجودهم، ولم يدروا أنهم إنما يثبتون وجود الله ولا ينفونه، فما دام قد استطاع الإنسان أن يخلق نفسه بحريته في الاختيار، فهو في خلقته يسير نحو ما يريد، وما يريد هو المتعالي عما هو قائم، هذا المتعالي هو الله، وإذا كانت له حرية الاختيار السابقة على وجودنا لماهية

النازع نحوها، فإن هذه الحرية تستلزم القدرة على ممارستها لها، هذه القدرة موجودة في الوجود لم أخلقها ولكنني أعطيتها، فهي في حقيقتها قدرة القادر على أن أكون قادرا. هذه القدرة هي الله. قال سارتر بصريح العبارة إنه ملحد، وكذلك قال هيدجر.. ولكي نستطيع الحكم عليهما يلزم أن نعرض فلسفتيهما.

ولنبداً بهيدجر وهو سابق زمنياً جان بول سارتر (١٨٨٩).

يريد هيدجر أن يضع علماً للوجود الإنساني، أي أنه يبحث فيما يسرى عليه ويسرى على الآخرين.. على الإنسان بوجه عام.

الإنسان هو الكائن الذي لا ينفك يسأل عن سر وجوده وغايته، ولا يلبث أن يشعر بالقلق خوفاً من العدم، وفي هذا القلق يشعر بأن الأشياء جميعها تنزلق وتفر من يديه، وكأن الوجود ينسكب في ثغرة غير منظورة.

هذا العدم عند هيدجر له معنى إيجابي، لأنه يقوم بفعل إعدام الوجود، ولذا فإنه لا يشعر بالقلق إلا الموجود، أما الآخر فيعيش في وهم الوجود، ولا يعنيه من الأمر شيئاً فيبحث عن الآخرين بدافع من التسلية، وليس حبا لمعرفة جديدة، وتختلط الأمور عليه فلا يدري شيئاً، هذه الحالة نستطيع أن نطلق عليها لفظ سقوط، أي هروب الإنسان من ذاته وسقوطه من وجوده.

ولكن الوجود الأصيل هو وجود الفيلسوف (والفيلسوف هنا بمعنى الإنسان، لأننا لا نستطيع إطلاقاً هذا اللفظ (الإنسان) إلا على من يتساءل عن سر وجوده)، هذا الفيلسوف الذي يرتبط والعالم بعلاقة المحبة، فالفلسفة ليست محبة الحكمة إنما هي حكمة المحبة، هذا الاتصال الذي يقوم بين الإنسان والعالم اتصال وجودي، أي اتصال قوامه الشعور بالاهتمام والامتزاج مما يجعل الإنسان يبدو قلقاً لأنه يحاول دائماً النزوع نحو الآخر، ومن هنا تبدو أهمية الموضوع الخارجي في وجود الذات، فالكائن المنطوي على ذاته، القابع في إنيته موجود وهمي لا حقيقة له. وهكذا نرى أن فلسفة هيدجر بعيدة عن الفلسفات الانعزالية الفردية لأنها تؤكد علاقتنا بالطبيعة، وارتباطنا الميتافيزيقي بغيرنا من الأفراد.

وفي النهاية نعرف أن القلق هو طريق الوجود، إذ أنه يجعلنا نشعر بقابليتنا للموت والفناء، هذا القلق قلق عام، لا باعث معين له. بل إننا نجد أنفسنا إزاء تهديد عام منه في كل مكان، دون أن يكون في مكان.

الإنسان هو الكائن الموجود الذي يحمل في وجوده بذور الفناء، كما تحمل الأم جنينها داخل أحشائها، وليس الموت واقعة تظهر في ختام الحياة، بل هو واقعة ماثلة في صميم الحياة، أي أنها واقعة لا تكاد تنفصل عن فعل وجودي نفسه، وليس الموت بمثابة فكرة النهاية بل هو واقعة الانتهاء نفسها. وهذا هو السبب الذي يجعل هيدجر يرى في الموت أعلى إمكانيات الوجود الإنساني.. لأنه تجربة ذاتية مميزة. وعندما يبلغ الإنسان مرتبة الوجود فلا بد أن يعرف (أنه بمجرد ما يظهر الإنسان إلى عالم الوجود فإنه سرعان ما تدب فيه الشيخوخة وكأنه على وشك الموت)، وعلى هذا فإن الذات الواعية يجب ألا تكون خديعة للمشغل اليومية، وإنما يجب عليها أن تعطي لكل شيء قيمته، والقيمة الوحيدة لمشغل الحياة اليومية، أنه ليست لها أي قيمة.

ثم يتكلم هيدجر بعد ذلك عن المفارقة، وهي حركة نحقق بها ذاتنا في اتجاهنا إلى الآخر - وبذا يصبح وجودنا باستمرار مشروعاً لوجود قادم، وتحقيقاً لمشروع سابق، ويصبح الحاضر هو نقطة التقاء الماضي والمستقبل.

هذا هو الملحد الأول كما يطلقون عليه، وأما الآخر فهو جان بول سارتر، ونقطة البدء عند سارتر هي الكوجيتو الديكارتي، (أنا أفكر، إذا أنا موجود)، وهي الحقيقة المطلقة للشعور، فكل نظرية تبني خارج مرحلة إدراك الإنسان لوجوده فهي احتمالية، وكل نظرية تبني على الاحتمالات ولا تتعلق بحقيقة تهوي في العدم، لأن تعريف المحتمل يتطلب معرفة الحقيقة، إذ أنه لا وجود لحقيقة ما، إلا بوجود حقيقة مطلقة.

والحقيقة التي لا تقبل الجدل هي وجودي، فأنا أوجد وأعرف وأختار، أنا الموجود لذاته، أي الموجود الذي لا ينزع نحو تكوين نفسه بالحرية، بعكس هذا الموجود في ذاته الذي يتصف بالثبات الدائم، الذي لا يطرأ عليه التغيير، بإرادته، وهو المادة.

هذا الكائن الموجود لذاته، حريته هي صميم وجوده، وثبوت إنسانيته، وهذه الحرية تضع على عاتقه كل المسؤولية، إذ أن الإنسان يشعر أن مصيره كله أصبح بين يديه، وهذه المسؤولية لا تشمل وجوده الفردي بل هي تشمل وجود الإنسان، إذ أن الإنسان عندما ينشد الحرية، فهو ينشدها لذاتها، ولا يمكن أن تكون حرية إلا بحرية الآخرين وفي هذا فهو يشعر بمسؤوليته نحوهم.

ويجب أن يقوم اختياري لنفسني على أساس إشراك الإنسانية جمعاء في هذا الاختيار، بمعنى أن ما أختاره يجب أن يكون صالحاً لكل الناس، وبهذا لا تبدو الوجودية ضرباً من الفوضوية.

ولكن تلك المسؤولية التي يشعر بها الإنسان تقودنا إلى القلق، هذا القلق يؤدي بنا إلى وثبات كبرى نحو العمل، فهو ليس يأساً، إذ أن اليأس هو ترك العمل والالتكال على المكثات، بيد أن هذه المكثات عندما تكون غير متعلقة بإمكانياتي وعملي فيجب عليّ ألا أهتم بها، إذ أنه لا يوجد أي إله يستطيع تكييف العالم وممكثاته بحسب إرادتي، كما أن الالتكال على طبيعة بشرية ثابتة وفق هواي هو ضرب من الوقوع في الخطأ، لأن الوقائع تكون كما يقررها الوجود الإنساني الحر المتغير.

ولكن الحرية يجب أن تناقش في حدود، وهنا يفرق سارتر بين كلمتين وهما الوضعية الإنسانية ويعني بها الظروف الخارجية والتكوينات الطبيعية التي لا دخل للإنسان فيها كالبيئة والشكل الجسماني.. ثم الماهية الكونية التي يتحكم فيها الإنسان بحريته، فيقف حراً في مواجهة أوضاعه الخارجية التي لم يستعمل في وجودنا حريته، ويخلق من ذاته ما يريد لها أن تكون عليه، وبذا يصبح الإنسان مشروع وجود ومجموع أفعال هي حياته نفسها، فهو بعبارة أخرى سلسلة مشاريع هو مجموعها ومنظمها ومجموع العلاقات التي تكونها، وبذا تصبح الوجودية فلسفة عمل وأمل لأنها تعرف الإنسان بالعمل وتضع بين يديه مصيره ليتصرف به ويسمو على نفسه فيه.

وأما عن الأخلاق، فيقول سارتر، إنها لا يمكن أن تفرض عليّ من الخارج، بل هو ما ألزم نفسي به، وفي هذا الالتزام تبدو الحرية، وحتى قوانين الدين التي نلجأ إليها لا تفيدنا إذا اتخذنا منها موضعاً خارجياً، إذ أننا نتخذ موقفاً حراً إزاءها أي أن الإنسان يستطيع تأويلها كما يحلو له، أو كما يراها، وما يراه هو ليس حتماً هو ما يراه الآخرون، فالأخلاق إذن في صميم الوجود، ولكن الإنسان دائماً يعيش خارج ذاته، إنه يستطيع أن يحقق وجوده بسعيه وراء غايات متعالية، فهو يتجاوز ذاته وهو في صميم هذا التجاوز.

والعالم القائم بحق في الوجود هو عالم الإنسان، والنزعة الإنسانية هي تلك العلاقة المكونة للإنسان، القائمة بين الذاتية والتعالي، والمسألة هي أولاً وقبل كل شيء هي مسألة الإنسان الذي يجب أن يجد نفسه.

والآن.. لنلقي نظرة سريعة على الوجودية، وهي نظرة جديدة أثرتها عن نبع ذاتي في مفهوم من منبع المعرفة لي، أحاول فيها أن أوجد شيئاً جديداً ربما أحتاج إلى أضعاف هذا البحث المتواضع. ولكنه على كل حال محاولة بدائية صغيرة ضعيفة أدعو الله أن يمدني بطاقة من عنده لأكون فيها به شيئاً أكثر سعة من هذا.

إننا نجد ثمة رابطة قوية بين الوجودية والإسلام، إذ أن محمداً كان أعظم فيلسوف (العقل أصل ديني) ^١، فهو قد مثل الإنسان، وفي نفسه علم الناس كيف يخلقون أنفسهم بأنفسهم، (كن كيف شئت فإنني كيفما تكون أكون) ^٢، حديث قدسي.

فقد تكلم الإسلام عن الإنسان بأعظم كلام، وقد أعطاه الطريق إلى الوجود بلا إله إلا الله، فأصبح الامتزاج بالله في إنسان، هو غاية الوجود الوهمي، ليكون موجوداً حقياً، في الوجود الحقي، (وجودك ذنب لا يقاس به ذنب) ^٣.

وقد كان محمد، هو أعظم مثال للإنسان، فهو الأعلى المنشود عند جبريل مارسيل، وكارل ياسبرز، وهم أقلية استحقوا أن يكونوا طالبين لمقام الإنسان.

فإذا أراد الكائن البشري أن يخلق نفسه، فإن خلقته لنفسه لا تتم إلا بالله فيه، {والله خلقكم وما تعملون} ^٤، فهو القدرة المطلقة الموجودة في هذا الوجود المقيد، التي تستطيع أن تفعل ما تشاء به، وهي قدرة ليست خارجة عنه، بل إنها في صميم وجوده، هي حريته الملتزمة بنفسها في الآخرين، وهي قبلته التي يريد لها أن تكون موضع اليقين.

فإدراكنا لله في أنفسنا، هو سبيلنا وهو غايتنا وهو فهمنا، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون} ^٥، (وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر) ^٦، (ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان) ^٧.
فماذا نعني بخلق أنفسنا؟، وماذا نعني بالحرية في اختيارنا؟، وماذا نعني بالإنسان؟ {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى} ^٨، إنه عمله الصالح أو عمله غير الصالح.

أنعني به الكينونة المتناهية الفانية الضئيلة الجامدة؟ هذا الجسد، إنها مادة وليست وجوداً فاعلاً بذاته، إن الإنسان هو هذه الطاقة التي تحرك هذا الجسد، فإذا تكلمنا عنها، فنحن إنما نتكلم عن سر الحياة، هذا السر الذي يريد أن يأخذ مكانه إلى المتعالي.. إلى الله.. فهو منه وإليه.

ولكن إذا كان سارتر قد كفر بالله، فإذا هو هذا الإله الذي كفر به؟ هذا الإله هو حقاً لا محل لوجوده، ما دام منفصلاً عن هذا الكون، وهذا الوجود، فإذا كان الله ليس موجوداً في الوجود، ففي أي شيء يكون وجوده؟

إن سارتر آمن بقوة الله في الإنسان، آمن بالله (وإن لم يكن قد استخدم هذا اللفظ)، فالله هو الموجود في صميم الوجود الإنساني، ففي حرية هذا الإنسان المطلقة كان الله موجوداً، وظاهراً {معكم أينما كنتم} ^٩.

فالحرية في الإنسان هي قانون وجوده، ولكن ما طبيعة هذه الحرية؟ فأنا حرة في أن أكون نفسي فقط على ما أرضى لها أن تكون، ولكن ما أرضى لنفسي أن أكونه قد لا يرضي غيري أن يكونه، فما أرضاه هو ما يناسبني أنا في هذا الوجود الناقص الذي يختلف في درجة نقصه عن الآخر، ولما كانت الحرية الحققة هي نشدان التعالي عن هذا الوجود القائم نحو المتعالي النسبي الذي أرضاه، فإنني سأصل إلى ما أريد لأنزع نحو الآخر المتعالي بنفس القانون، وعلى هذا فأنا والآخر سنصل إلى نقطة واحدة ولكن في أزمنة مختلفة متفاوتة، تتناسب مع درجات تطورها النوعي في هذا الوجود، إذن فالتطور لا يتم عشوائياً، وإنما يتم وفقاً لخطة مرسومة أصنعها لنفسي بحيث تكون إمكانياتي لتحقيقها هي أساس وضعها، ومكاني من الوجود هو بدايتها. {قائم على كل نفس بما كسبت}¹.

وإدراكنا لله هو إدراك يتم من كشفنا له في أنفسنا، وامتزاجنا به في التعالي عن وجودنا، وهو ما عناه سارتر بالتجربة الذاتية والوجود خارج ذاتنا، نزوعاً للمتعالي وما قاله جبريل مارسيل عن الأمل.

فنحن حقاً لا نستطيع معرفة الله إلا بالإنسان، ولكن الإنسان الذي نريد أن نعرف الله به هو هذا الذي ننزع إليه في التعالي، فنحن لا نعرفه إلا عندما نكونه، ويظل الله غيباً علينا في احتجابه بإنسان وإنسان وإنسان، وشهادة لنا في وصولنا إلى معرفة ماهيتنا منه على ما أردنا أن نكون فكأنه بقانون.

إن مرتبة الإنسان هي في رسول الله، فقد كان مثالا للناس بلوغاً إلى التعالي في الوجود.

وأما ما دون ذلك، فهو أقل من أن يطلق عليه لفظ إنسان، ولكن المستقبل يفتح له الباب ليكون إنساناً. إن الحياة تفتح ذراعيها لتقول له أن بك بذور الإنسان فأدخلني بها في أعماقك. عش وجرب.. اقلق وفكر. فهذا هو الطريق، ولا بد أن يجيء يوم يسري فيه بك وجود الإنسان. فما كان، هو ما سوف يكون، كما هو كائن.

تم بحمد الله.

بحث: علياء رضاه رافع محمد رافع

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ عن علي ابن أبي طالب قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حبي، والجهد خلقي، وقرة عيني في الصلاة. ذكره الغزالي في الإحياء، والقاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ومعظم المتصوفة.

- ٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٣ من أشعار عبد الغني النابلسي من العصر العثماني: رويدك يا من بالتجافي أمتني ... وأهملت فيما بالوصل وعدتني --- إذا قلت رفقا إني ذبتُ زدتي ... وإن قلت ما ذنبي إليك أجبتني ... وجودك ذنبٌ لا يقاس به ذنب
- ٤ سورة الصافات - ٩٦
- ٥ سورة الذاريات - ٢١
- ٦ من قصيدة للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.
- ٧ مقولة صوفية.
- ٨ سورة النجم - ٣٩
- ٩ سورة الحديد - ٤
- ١٠ سورة الرعد - ٣٣

(٢)

الحق المتصل في أدناه ذات لروح
والحق المعتقد في أعلاه روح لذات

في الوجود المطلق المقصود في معاملة حقه المرسل
عبد الله وحقيقته في الملائين الأعلى والأدنى هو الإنسان.
ورسول الله وحكمته في العالمين الظاهر والباطن هو الإنسان.
وحق الله وعزته وعلم الله وعلميته في الملكين بالحضرتين هو
الإنسان.

ظاهر وجه الله وغيبته في الوجودين في دورات الحياة هو
الإنسان.

آدم الآب وآدم الأب وآدم الابن حقائق لحق واحد
بإنسان الله الواحد.

آدم الذات وآدم الروح وآدم الحق قيام واحد لإنسان لله
واحد.

الإنسان آحاد الله لظاهر الحق بمعناه لأسمائه في الوجود
المطلق اللانهائي له.

حديث الجمعة

٢٢ شوال ١٣٨٣ هـ - ٦ مارس ١٩٦٤ م

أراد الله الناس لنفسه على ما هم، بالغ فيهم أمره. وأراد الرسول الناس لربه على ما هو بالغ به أمره. فرض الرسول إرادة الناس كلا له كانه على مفردات نفسه لتكونه، وصفا ومثالا لهم كانه ليكونه بكائنه، ما استقاموا على أمر الله به لهم، بما اتصفه إليهم بحكمته عندهم. وفرض إرادة الكون كلا له كانه على كونه بمفرداته بدءا له لتكونه، على ما كانه، ما تكشف حكمة الكون فيه لكونهم به.

وفرض إرادة الوجود على مفردات وجوده لموجوده، إدراكا لرحمة الموجد، وتسليما لعدل الوجود، وإيمانا بحكمة الموجد، وإسلاما لعظمته، وتفويضا لتدبيره، وتخلقا بخلق، بدءا لوجوده متجددا لعين وجود موجد لنفسه، متأزلا متأبدا.

قام الرسول للإنسان علما على الوجود، وكتابا عن الموجد، فلم يفرض له إرادة على الناس، مفروضة عليهم مثاليته، بافتقارهم لمعناه ومبناه، ولم يفرض له إرادة على الكون، مبشرة به الأكوان إلى كينونته، ولم يفرض له إرادة على الوجود موعودة الموجودات بمثاليته بوجود. لم ينتقد الناس لأنه لم يدخلهم في دائرة إحاطته إرتدادا بأمرهم إلى من تواجد لهم لنفسه، وقد فرضت عليهم طاعته. ولم يتعارض مع الكون لأنه لم يدخله في دائرة ملكيته مملوكا بكونه لمن كونه، وإن دخلت السماوات والأرض في دائرة كينونته. ولم يتنافر مع الوجود لأنه لم يدخله في دائرة سلطته ودخل بوجوده في رحابته. بل رد الناس والكون والوجود إلى الأعلى ملتزما حدوده في دائرة عبوديته للأعلى من رحمة ربوبيته.

رآه في أدناه عبدا مسودا، وتجاهله في أعلاه سيدا، مقاما، ففرض الأعلى له على الناس مثاليته حقا أدنى لهم، وعلى الكون طاعته، نورا له وكونا أكبر، وعلى الوجود طلعة إشراق حقه ورسول الأقدس، وجعله داني الحق ذاتا وصفاتا، وعالي الحق روحا وسلطانا وعروجا.

فكان بعالي الحق له لا يعلوه، إلا رفيق أعلى بقاءم أزلي بصفته، لدائمه أمرا وسطا في المطلق لا يحاط به، وكان بداني الحق له لا يسفله، إلا رفيق أدنى فيه يقوم، وإليه ينقلب وفيه بالسجود للأعلى يتقلب. ذكر الله وحده، ولم يذكر له شريكا منه أو من أعلى أو من أدنى. فكان تمام كلمته لتمام كلماته وظاهر

وخفي آلائه ونعمته بمستقيم رسالته وحقه وحقيقته. وأدرك الحق فيمن يعلوه، ورأى من يعلوه فيمن يسفله. فكان بين يدي رحمته يد الحق محوطا وبها له محيطا.

فرضيه الأعلى والأدنى لعنوانه، رحمة الأعلى، وعزة الأدنى، وجعله الحق يده العليا مظلة، كما جعله يده السفلى مقلة. فحمل الناس على يد تواضعه حكمة، وحمل الكون على يد طبيعته فطرة. وظهر في الوجود، ناموس قدرته، ممحوا عنه خلقا إلى حق، مزهقا باطله، قيذا وطبيعة وخلقاً واسما ومسمى، داني إلى الأعلى مضافا بوصف العبد له ذاتا، داني لصفاته ووصفه مقاما قياما ورسالة.

ظهر للعقول، عقلا ونور وعيها، كما ظهر للنفوس نفسا وجذوة حقها. وظهر للعوالم عالما وعالم احتوائها، وظهر للموجودات وجودا وسر وجودها، وللأرواح روحا وجماع حيواتها وتواجداتها، في أطوارها ومعارجها.

ظهر بالوجود، للوجود، رفيقا لرفيق، فكان الأعلى لمن عاناه، ولنفسه به ما ارتضاه، وقام الأدنى لمن والاه وعلى نفسه أعلاه، فكان له شهادة أن لا إله إلا الله، لمن شهد محمدا رسول الله، فتابعه ووالاه، متابعة وموالاتة للحق من الله، طلبا لكشف الحق، لمعناه في مبناه.

أظهره الأعلى على الدين كله، فرآه الدين، يتيما آواه، وضالا هداه، وعائلا أغناه، فكان هو الدين لمن كانه بمعناه، وكشف له عن معناه في معناه، فرآه عين من طلب ممن رآه قد علاه، وعين من عناه فكشف له الأعلى عنه فيمن دونه ممن علاهم من وجوهه لحقه لمولاهم بإحاطته في معناه، فأسفر له من تحته، كما أسفر له من فوقه لعين عينه، لمعناه، فما رآه سواه.

وما أسفر له إلا بمرآته له فيه، بعد أن ارتد إليه بصره، من كرتيه، سبحا إلى أزلي ذاته ومعانيه، ثم إلى أبدي تواجده بجديده بمبانيه، فكان في قيامه، بوحدانية قائمه، في قيومه بفطرته مدركا لأمر نفسه وكونه ووجوده فيه، فرآه على ما كان وعلى ما يكون هو على ما هو بما يعنيه، أعلى الحق روحا، لا يدرك للناس مداه، ولا ينال لهم مرتقاه، إلا في قيامهم فيه بمعناه، ظلالة له، ووجوها منه، لوجهه، وجها لمن علاه، من أسماء لربه بعين معناه متخلقا بخلقها فيه، تخلقها بخلقها فيها. فطرة الوجود لمبديه، بالإنسان له فيه.

لا يشهد، لمشاهد له، إلا بعينه، بلطيفه يمتد ويتخالل من روحه لأعلاه، مع ذوات ذاته لأدناه، فتشهد به، وذلك لمن شاهده. (من رأي فقد رأي حقا)، وما يشهد لمشاهد له، إلا بعد قيام إيمان به حقا، ولا يقوم منه فيض إيمان به على مؤمن به ورسولا إليه إلا لمسلم له، عبدا أسلم له، من

وصف بالإسلام، وآمن به منه، فيه، من وصف بالإيمان، وتلاقى معه على معنى الحق له يلاقيه، بمعنى الحق له فيه، على ما كان لأهل العرفان.

بهذا عرفه كل من عرف من أهل اليقين باليقين، في دائم متجدد بذوات، من كلمات لداني الحق بها، ذوات لروح بصفات الحق، أزلية من أزل بصفاتها، في آزال لا تدرك، ولا تدرك سرمدية ذواتها بآباد في الأبد، ولا تتجاوز. هو أزل ورسول الأزل، وهو أبد ورسول الأبد.

فكان العلم، بالعلم، في العلم، عن العلم عنده.. وكان العلم، عن العالم، في العلم بذات علمه، وكان العلم عن المعلوم، في العلم بما علم من معلومه، فكان للموجود، ولكل موجود، كتاب وجوده، وكتاب الوجود الموجد لوجوده، كما كان مرآة المشاهد، ووجه الشهود لجمال الحق، في كل موجود، كما كان في حركته بذاته، إرادة القدرة.. وبذواته في تعدده أقلام الألواح، وكتب الأشباح، لإحصاء الأحوال والأعمال.

كان وحدة المؤثر والمتأثر والأثر.. كان وحدة المخبر والمخبر والخبر، كان أحدية المنبئ، والمنبأ، والنبأ.. كان حقية العابد والمعبود، والعبادة، والعبد، لأحدية حق في المطلق اللانهائي حقا يحمل كفايته لمعرفته عنه.. كان كل شيء، لأي شيء، وبكل شيء.. كان الأشياء، لمن شاء، فكان شيئاً.. كان الكينونة، لمن كان، فكان كائناً.. كان الآدمية، لمن دخل في أديمه بآدمه، ودخل في أي آدم له من جمع لأوادم به، لمعنى الحق له، فكان بظلاله آدما منه، وآدما له.

كان أدنى الحق ذاتا متجددة، ورسولا من أنفسهم، لدوام وبقاء الحق به، باقيا في بقائهم.. وكان أعلى الحق روحا واسعا منطلقا، وروح قدس للأعلى، تنزيها للمطلق، وتقديرا للموجود، وتعريفا للمعروف، وإشهادا للمشهود، وفيضا بالحياة، للحي القيوم، في قيامها، بالحي القيوم واجب الوجود، إكبارا للأكبر في الواسع العليم.

تواجد بين الناس داني الحق، ذاتا لروح، حقية الذات بروحها، وحق الروح بذاتها، فتخلت النفس بأناها عصرا، إلى حقها ودوامها دهرها لروحها، ربا، هو للأعلى عبدا، وعرفتها في داني ذاتها كونا، ترفعت بأناها عن ميناها لمعناها دوما، حتى تهى لأعلى الحق لها عليها ربوبيته، وللأعلى عليه عبوديتها، بتنزيها للأعلى في عظمتها عن الظهور، بذاته وصفاته، في أدنى الحق بحضرة السماء الدنيا، لصفاته في جمعها، بذوات مفرداتها، من عالم الروح الأول بأحياء الأرض، فيسجد من يسجد للحق في أدناه، مشهودا لأناه، بذات معناه، طلبا للحق لمعناه، في مبناه، موعودا مثاله للمؤمنين ما اتبعوه، موعودا قومه بنصرتهم بحموده ما تواصوه.

وها نحن اليوم مع محمد.. عيد غريبا.. وقام قريبا.. وبُعث مجيبا.. وظهر عجيبا.. بُعث في الناس، هم أهل قلب، وقد تواجدته الناس في الملاء الأعلى لأنفسهم خير مجيب، وغاب عنه الناس في الملاء الأدنى لمعنى كثره الحق القريب، واليوم يبرز الناس به فيهم لله جميعا، يوم يؤمنوه فيقوموه روحا رسولا عرفوه، وكَم من قبل رأوه قام فيهم لمعانيهم حقا وصدقا من الله لهم معهم ما ارتضوه، وشفيعا لمعانيهم، مقيما مجددا لمبانيهم ما تابعوه، آيات وكلمات لله قلوبه، ومقابر ذكره وطافوه.

أما قومه ممن صدوا عن سبيله بمثله من أهل البصائر، فقد أرجعتهم السماء إلى دائم داني الحق به، مجددة جلودهم بلطف من أثير الوجود، وكثيف من دائم الوجود، جاؤوه فاستغفروه، فاستغفر لهم، فوجدوا الله غفورا رحيمًا، وعلموا الله، عادلا كريما، ردَّ إليهم أعمالهم في إفاقة بيقظة من سكرة بالموت، وقد زلزلت نفوسهم بما لهم من وهم مكاسبهم بأعمالهم، فلما تخلوا عن أحوالهم، بدَّل الله ما بهم، من جفوة مع الحق عرفوه، وأظهر الرسول، بمعاني الحق معهم، حقا يأويهم ويجمعهم.

لا يسألهم رزقا، وهو يد رزقه. ولا يسألهم عملا، وهو وجه مغفرته. ولا يرضيه لهم، كَرَبٌ، وهو بسطة رحمته. ولا يضيق بهم صدره، وهو حضرة حلمه. ولا يمنع عنهم معرفة، وهو كتاب علمه. عرفوا القيامة في يقظتهم من سكرة الموت، والبعث في بعثهم أرواحا عاملة في حياة الوجود، والجنة في حريتهم في الكون، معتقة عقولهم من قيود المادة. يقومون بالحق ويشهدون الحق ويسبحون في الحق.

عرفوه، فعرفوا الحق به لهم. عرفوه، فوجودهم برحمته اتصفوه، رحمة الرحيم مهداة، ويد الرحمن لمن طلبه فلاقاه، إنسان الوجود لكل معنى للإنسان موجود، وإنسان العنوان لكل إنسان قام به القرآن. فكان قبلة السجود، وبيت الذكر الودود، وروح الحياة والجود، ونُصب الطواف ووجه الشهود، وأركان بيت الحياة لطالبي الحياة، وعين زمزم الحياة لوارد أحواض الحياة ولكاسب الحياة، ولقائم الحياة، ولعاشق الحياة.

هو إنسان الهو، وأناه.. هو الأنا للحق وهو.. هو إنسان ذات الوجود، لمن طلب الوجود لذاته وأناه لروحه ومعناه، فن الموجد رسولا إليه استقبله وعناه، ودخله بسكينة طلبا لله، بيتا لله، ومرضاة لله، ورضاء عن الله، ورضوانا من الله، وأخلى قلبه له عرشا لمعناه بنور الله.

إن لأهل اليقين بدييات، هي معرفة للمؤمنين، وعلم للمسلمين. إن الله وجودًا، وذاتًا، هو ما تشهدون من الوجود بعينه لشهودكم، وبوجهه لمشهودكم، داني ذات الحق لكم، في دلالتها على الأعلى والأقدس، في الله ذي المعارج، إلى صمدي قدسه لذاته وجودا، عبر عنه قائم وجودكم، قياما لجديد الوجود بكم، على ما هو الوجود لكم، وفي الشهود.

هو الصمد، الأحد، لم يُحَدَّثْ، ولم يُحَدَّثْ، من حيث ذاته وصفاته، وهو في الوقت نفسه روح الحياة، لموجود الأحياء، من حيث روحه. وليس في الوجود، مما يشهد، إلا حي.. جمادا كان، أو نباتا كان، أو حيوانا كان، أو إنسانا كان، أو روحا كان، أو نارا كان، أو نورا كان، أو حقا كان، أو كائنا كان، أو شيئا كان، صغيرا كان، أو كبيرا كان.. رتقا أو فتقا كان.

هذا أمر بديهي قدمه أهل اليقين، عن ذات الله، موجودة، معلومة، معروفة، مشهودة، ظاهرا لباطن متحد. من طلبها غيبا، غاب عنها إلى العدم. (كم من مصلٍ لم يزد بصلاته من الله إلا بعدا) ٣، (كم من تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه) ٤.

إن الذي يعيننا من أمر الدين، ومن أمر الدنيا، ومن أمر العلم، ومن أمر المعرفة، ليس هو جدل حول لفظ الله ومدلوله، وموجوده، أو أسماء الله، وقائمه وفعلها. إنما الذي يعيننا، يوم ندرك لنا غاية، إنما هو مكان الإنسان من الوجود، إنما هو حياة الإنسان في قائم وجوده، هل يكسبها؟ أم هل يفقدها؟ إن الإنسان بوجوده، وإدراكه لوجوده، أصبح موجد واجب الوجود عنده. إنه لا يعنيه أن يحيط بواجب الوجود، فهو يدرك استحالة ذلك. إن الذي يعنيه إنما هو أن يتكشف له وجوده، حيا بموجوده لموجد.. أن يتكشف له أنه بواجب الوجود، وجود فيه، ووجه وطلعة له، واسم وذات بقائه لقائمه وقيومه، أن التصاقه بالموصوف بالبقاء، يخرج من العدم.

إن اسم الوجود من الموجود لموجوداته، في وجوده بالنسبة للإنسان، بسابق عن الإنسان، إنما هو الإنسان. فهل نحن الإنسان؟ هل نحن كذلك؟ هل نصير إلى ذلك؟ هل نحيا بذلك؟ هل نستقيم مع ذلك؟ هل نقوم بذلك؟ ليس الشأن أن تعرف الاسم الأعظم لله، أو أن تصنع اسما عظيما لله، ولكن الشأن أن تكون أنت اسما لله، أن تكون أنت الاسم الأعظم لله. وأي اسم لله لم يكن عظيما وأعظم، في ذاته وقيامه، بقائم الأسماء كلها لصفاته، في موجود الحق، علما على وجود المحقق! ومن أعلم بالله من الإنسان! ومن أعظم بالله من الإنسان! ومن غير الإنسان لذلك فيه!

إن الإسلام فرق بين الحق والباطل، وكشف عن الحق، في الجمع والفرقة، بين الله واسم الله. إن الإنسان اسم لله، في الله، في مجتمع من أسماء الله، متشاهدة وجوها لله، في وجه أكبر لله، فيه نتعارف وجوه الله، يعرفونه بيت الله، وعالم الله، وحق الله، وحضرة الله، وساحة الله، ووجود الله، وسَم ما شئت مضافا إلى من تدعوه لافتقارك، {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى} ٥.

إن الله مجردا عن الاسم له، وعن الذات له، وعن المعنى له، وعن الإدراك له عند عارفه، هو الله، على ما هو الله.

ولكن الدين قام على القيام في الصلاة بالصلاة بذكره. قام على اجتماع أسماء له فيه، أعلى لأعلى بأعلى وأسفل لأسفل بأسفل، ذاتا لروح تجتمع الذات على روحها، وروحا لذات تجتمع الروح على ذاتها. عوالم بجمعها، تقوم حضرات بحقها، لآحادها، في قيامها في الواسع اللانهائي، عوالم الرشاد فيه لعوالم الخلق فيها.

إن الأنا والهو، إنما هو قيام في الإنسان بأنا لهو، وبهو لأنا، تفصلهما الذات بقديم لها وجديد منها، وتجمعهما الروح، فالذات أنا لما يعلوها من الهو بذواته، ولما يسفلها من الهو لأناها، بهوياته، أو غيبياته لكوثر ذاته. وهذا ما عناه القائل لذاته في موقوتها بسافله بها:

رح يا أنا يا فاسد التركيب ... يا من تحول بيني وبين حبيبي^٦

يعني الأعلى ليكون بذلك لأناه لمعنى ذاته، يمسحها عنها، ليظهر ويتواجد بها، ليظهر بممسوحه لحاضره بحقه الأعلى مسيحا له.

إنه الأعلى .. إنه الهو .. إنه الأنا بالحق، يوم أسلم له في ذاته إسلاما لروحه، وأخلت له ذاته من أنه بمعناه، لتكون أنه بروحه وأعلاه، وأسجدت له أنه بمبناه بين يديه في معناه اسما لمن عناه، فنادى معلما، (ما كانت صلاتي إلا ليا)^٧.

إن الإنسان، بصالحه، وبطالحه، هو الإنسان، ولكنه ليس على الله العنوان بمعنى الإنسان، إلا يوم يجتمع بأعلاه على أسفله، وبأسفله على أعلاه، في أمره الوسط من ذات انتهائه لأطواره من المادية والنباتية والحيوانية، بدئه لبنة بشرية للبنيان، لبنت يذكر فيه اسم الرحمن، يجمع لبناته من عمله بذكر الله، يوم يستقيم بأعلاه لا متعاليا، وبأسفله لا متخاذلا، وبأوسطه لا منحرفا ولا مفرطا، فيقوم فيما يليق أن يقوم فيه الإنسان، فيصير إنسانا.

يومئذ يصبح للرحمن العنوان، ويكون نعم الاسم للمسمى الموصوف بالإحسان، يكون نعم الوجه لمن كان كل شيء له وجه، يكون نعم القيام للقيام على كل قائم .. يكون العنوان .. يكون المؤمن اسما للمؤمن يعلوه، واسما للمؤمن يعلوه ويعلوه، واسما للمؤمن لا يبلغ مداه، ولا يدرك إلا بمعناه عند مسماه ...

فيكون اسما للرحمن، واسما لله، لا يرتاب في الله، ولا في رسالة الله، ولا في قيوم رسول الله، ولا في قائم الحق في معناه، مؤمنا مرآة المؤمن. وقد حذرنا الله من الفسوق بعد الإيمان يوم قال لنا، {بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان}^، يوم يبلس المبلسون بعد إيمان بالله ورسوله لقيامهم.

بهذا جاء الدين، وعلى هذا قام اليقين، وفي هذا يقوم العلم، وبه تقوم المعرفة، فلا دين بغير علم، ولا علم بغير دين، ولا حق بغير معرفة، ولا معرفة بغير حق، إن الدين لواقع.

فإذا أبعدتم الله عن الواقع، فقد أبعدتم الله، وبأبعدتم بينكم وبين الله. وإذا أبعدتم الله عن العلم، فلا دين، ولا علم.. وإذا أبعدتم العلم عن الله، فلا علم، ولا دين، ولكنها الفتنة والجهل.

يحرفون الكلم عن مواضعه، ويتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله، يتبعون كل شيطان مرید، داخلين فيه، وفي عهده، وفي قيامه، وفي قيومه لقيامهم، مجادلين في الله بغير علم، يحررون عقولهم لتنتقل، في دائرة الظلام، بوهم دائرة النور، يؤمنون بالطاغوت، ويزعمون الإيمان بالله ورسوله، ويكفرون بالله ورسوله باسم الإيمان بهما، والحديث عنهما.

ينزهون الله عن اتصافهم، ويقومونه بأوصافهم، وتعالى الله عما يصفون، بقائم من صفاتهم، بوهم التخلق بخلقهم، بصفاته هي لهم. تعالى الله، وتعالى عباد الله، وتعالى حقائق الله عن كل وصف يتصف به الجاهلون، ويقوم فيه الماردون، ويعمل به الطاغون، وإن اتسعت لكل رحمته، وتقبلت لكل إساءة مغفرته، وقامت بالخير إرادته، لكل طالب للخير، الخير جبلته. (الناس معادن خيرهم في الجاهلية خيرهم في الإسلام)^.

أعطى كل شيء خلقه بقدرته، وأعطى كل نفس هداها بعزته.. أعطى ولم يقهر، ويوم يقهر لا يعطي، وهو القاهر فوق عباده، إنما يقهر عباده بعباده، ابتلاء لعباده، ابتلاء للقاهر والمقهور، وإبرازا لحكمته لعباد في رحمته.

ما تخلق بخلق عباده، إلا ابتعدوا عن القهر، وابتعدوا عن عزة السلطان، وابتعدوا عن العزة للنفس، وأعملوا ما أودع الله فيهم من عزة، لحرية الكائنات، ولحرية الخلائق، وما أودع فيهم من سلطان، إلا لإقامة الحرية بالعدل، وتوفير كسب الرحمة، بالهبة والهمة.

وهكذا كان، من كان عنوانا لكل متخلق بأخلاق الله، هكذا كان رسول الله لم يقهر إنسانا، ولم يقهر كونا، ولم يظلم وجودا، وجعل ما أودع الله فيه من عزته، ومن سلطانه، ومن قدرته، ومن قهره، جعلها في خدمة الناس، ولحرية الناس، ولكرامة الناس، ولسعي الناس، ولاهتداء الناس، ولإعطاء

الفرصة للناس، ولإنذار الناس منظرين، وعونهم مستعنيين، ومدهم طالين مفتقرين للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه. {اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته} ١٠.

إنه النعمة المضاعفة للحق في أعلاه، وللحق في أدناه، يوم ينعم من هو أعلاه، فيستجيب من هو أدناه، فينعم من هو أدناه، فيتفضل ويضاعف من هو أعلاه.

إن من دخل في رسول الله، وهو هدية الله.. وهو رحمة الله.. وهو بيت الله.. وهو نصب الله.. وهو هيكل الله.. وهو ساحة الله.. وهو عالم الله.. وهو جماع عوالم الله.. وهو مع ذلك كله أحد من آحاد الله، ووجود من وجود لوجود الله، الذي لم يبدأ، ولا يبدأ له وجود، وهو الذي لا ينتهي منه به تواجد، فقد كسب وملك الحياة، في قائمها وقابلها، مظهرها وظهورا للحياة بقديمها وأزليها، لقائمها وأبديةها.

إنه الأمر الوسط.. إنه الحق الوسط.. إنه الدين الوسط.. إنه الأمة الوسط.. إنه المؤمن بقديمه ربا لا بدء له، باقيا به جديدا متجددا لا انتهاء له. إنه العبد في قائمه لقديم حقه لمولاه، وأعلاه، لمعنى ربه الذي يرقاه، في معبوده اللانهائي، في قيامه ومرتقاه. إنه من أظهره الأعلى على الدين كله، فافتقر إلى المطلق افتقار أعلاه سعيا إلى من لا يدرك منتهاه، فجأر بشكواه خشيته من مقام السيادة لمعناه بعيدا عن مولاه، (اللهم أحييني مسكينا، وأميتني مسكينا، واحشرنني في زمرة المساكين) ١١.

اللهم بمن عرفناه وما عرفناه.. اللهم بمن عرفنا أننا ما عرفناه، ومن أضافنا لنفسه وما اتصفناه، على ما قبلنا في معنائه لمعناه، وسعادتنا يوم نتصف بمعناه، عبدا لمولاه هو عندنا عين مولاه.. يوم نرانا عبادا له، كلها هو بنا لنفسه ارتضانا، لاسمه ومسماه.. من جهلناه بظلمنا وظلامنا، وبرحمته ما فقدناه.. من جهلناه، وما جهلناه عنده لمولاه، فبالجهل بوهمننا أكبرناه فباعدناه، وهو بالقرب وبالعلم واليقين لم ينسنا بل قامنا فقمناه.

اللهم به فارحمنا.. اللهم به فاغفر لنا.. اللهم به فتولنا.. اللهم به فعلى أنفسنا ولنا.. اللهم به فاعل كلمة الحق علينا.. وأعل كلمة الحق فينا، وأعل كلمة الحق بنا.

اللهم به فأحسن خواتمنا، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتمها في مرضاته مرضاة لك، وفي لقائه لقاء بك، وفي قيامه قياما فيك، لا إله غيرك، موجودا وغيبا، ظاهرا وباطنا، خلقا وخالقا.

به شهدناك، لا إله إلا أنت، في قيامنا، وفي وجودنا، وفي معانينا، فشهدنا أنه لا إله إلا الله، وبلا إله إلا الله شهدناها، شهدنا ما شهدنا، إلا محمدا رسول الله، قائم الحق منه، وقائم الحق بنا له، فآمنا بالله، وآمنا برسول الله، وآمنا بأنفسنا لهما، فيهما، ومنهما.

اللهم حققنا بذلك إسلاما وعلما، وبقينا، وقيامًا، وحقًا.. أنت مولانا، فادفع عنا شرور أنفسنا، وشرور الأشرار من خلقك، لا إله غيرك ولا معبود سواك.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا برحمتك، ولا تولِ أمورنا شرارنا بكسبنا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

اللهم كن لنا، بمن عرفنا، وبمن له أسلمنا، وبمن بحقه آمنا وأكبرنا، كن به لنا، علينا، معنا، فينا، حكما ومحكومين، طغاة وعادلين، مجاهدين ومتابعين، يقظين وغافلين، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

عن دائرة الجمعية الإسلامية الروحية للكويت. جلسة ١٩٦٦/٩/٦ وساطة السيد الحوراني إدارة السيد أسامة. الروح المرشد السيد فزر: (Feather)

(يجب أن تعلموا جيدا أنكم تعيشون في الأبدية.. لا فرق بين أمس واليوم وغد إلا بالكسب. ها قد انقضى اليوم، وغدا يبرز فجر جديد. يجب أن نعيش هذا اليوم، وأن لا نعيش في أوهام الغد تاركين حياة اليوم دون كسب أو عمل. إن عمل اليوم يؤهلنا لمستوى حياة الغد التي ستكون أبهى وأسعد بحصيلة عمل اليوم. كما يجب أن تعلموا أن حياة هذا اليوم يجب أن لا تلهيكم، متناسين معها ما ينتظركم من حياة غدٍ المقبل، يجب أن تعيشوا هذه الحياة متكاملة المعاني بشتى صورها).

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ حديث شريف ذات صلة: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُ. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.
- ٢ تم وضع التشكيل بناء على النسخة المراجعة من السيد رافع.
- ٣ حديث شريف ذات صلة: "من لم تنه صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يزد بها من الله إلا بعدا". أخرجه الطبراني في الجامع الصغير للسيوطي. كما أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان".
- ٤ حديث شريف نسبة الغزالي في (إحياء علوم الدين) لأنس بن مالك: "رب تال للقرآن والقرآن يلعنه".
- ٥ سورة الإسراء - ١١٠
- ٦ من قصيدة للشاعر عبد الغني النابلسي، من العصر العثماني: رح يا أنا يا فاسد التركيبيا حائلاً بيني وبين حبيبيا غيمة سترت ضياء الشمس عنعين الشهود وأبعدت تقريري
- ٧ مقولة صوفية لم نستدل على مصدرها ولكن المعنى مفهوم في السياق.
- ٨ سورة الحجرات - ١١

- ٩ من حديث شريف: "تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، نَحْيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. صَحِيحُ ابْنِ حَبَانَ.
- ١٠ سورة الحديد - ٢٨
- ١١ من الحديث الشريف: " اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مَسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَمْ يَأْسُؤَلِ اللَّهُ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا، يَا عَائِشَةُ، لَا تَرُدِّي الْمَسْكِينَ وَلَوْ بِشَقِّ تَمْرَةٍ، يَا عَائِشَةُ، أَحْيِي الْمَسَاكِينَ، وَقَرِّبِهِمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْرُبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ." صحيح الترمذي.

(٣)

النور الحي القيوم
 يقوم من دثر الأوزار ووهم الأعمال
 عتيقا من هياكل الظلام والزوال
 ها هم (الموتى يتكلمون) ويعملون
 وها هم الأحياء اليقظون يتابعون وبإيمانهم يؤمنون
 ها هو الروح يقوم لرب العالمين يوما للدين

حديث الجمعة

١٩ جمادى الأولى ١٣٨٤ هـ - ٢٥ سبتمبر ١٩٦٤ م

أشهد لجسدي لأنائي، أني ميت القلب، نائم النفس، خامل الحس، مقيد العقل، سجين الروح، وأن ما حولي من الناس لأجسادهم لأناهم، موتى القلوب، نيام النفوس، خاملو الإحساس. وأشهد أن الحي اليقظ المدرك من هذا الجمع بهذا المجتمع، إنما هو إنسان الله وظلاله، تولاه الله، وبين الناس أخفاه. أماته عنه، وبعثه بالحق منه، وسرى منه بنوره له، فيمن كان منه، بعمله حوله، قطب الرحي، فقام بالحياة، وقامت به الحياة، بما أحياه الأعلى باسم الرفيق، وأحيا به باسم الطريق.

فباسم الرب قامه، وباسم الله أقامه، فباسم الأب أكرمه وأعلمه، وباسم الآب أعلاه وكرّمه، ونشره وأعلمه، وباسم الحق عنونه. زويت له الأرض وطويت له السماوات أحدية وجود، وحقية موجود، إنسانا لله، رحمة للعوالم تواجده، وهداية للعالمين بالحقيقة أظهره وأوجده، وبشرى للعالمين بالحق بعثه وكثره، وتيسيرا للعالمين من الخلق خلقا أظهره، وباسم العبد إلى الأعلى نسبه، وباسم الرسول منه، دعا من طلبه، وبه تواجده.

من شهبه، شهبه لنفسه حقا. ومن لقيه، لقيه منه صديقا وصدقا. ومن عشقه توحده، ومن توحده قامه، ومن قامه أيقنه، ومن أيقنه عرفه، ومن عرفه عرف نفسه، ومن عرف نفسه بالأدنى، عرف ربه بالأعلى، فعرفه، ومن عرف ربه أحدا بظلاله لنفسه، شهد أنه لا إله إلا الله، فعرف القيوم على قائمه بلا إله إلا الله، هو لا إله إلا الله، فأشهبه، فشهد الله أكبر، يوم عرف، وقام، وشهد، أن محمداً رسول الله، قائم قيامه، لمعناه ومبناه، في الله، {الني أولى بالمؤمنين من أنفسهم}¹.

الرسول.. بدائمه بمعناه ومبناه، هو إنسان وإنسانية الحق لأحده، من آحاده في وحدة وجوده، بدءاً من حضرة الفطرة برشاده، وبدءاً من حضرة الخلق بعناده.

أبرزه الأعلى لفطرته من إنسانية هذه الأرض، هيكلًا ومبنى، وهو ليس من أهلها، حقا ومعنى، رحمة منه لبشرية إنسانها تمت به له كلمته، للحي القيوم بها عليها لصبغته.

جعل به طريقها إلى عِلين، وأعلى إلى حضرة الراشدين. جعل به دينها في فطرتها، وفطرتها في معرفتها، ومعرفتها في كشف الغلالة عنها لها، بوضع أزوارها من قوالها عن قلوبها لمعانيها، بالانعكاس بالنظر والاتجاه في الوجهة إليها فيها، لأنها بالحياة لقلوبها ولقوالها، اتجاها بقوالها إلى قلوبها مركزها لإحاطتها، سيرا بظاهرها إلى باطنها، انطلاقا بقائمتها إلى قيومها عليها بها.

وهذه هي طريق النفس إلى الحق، وهذا هو علمها، يوم يكون لها علم، وبالبعد عن هذا جهلها وجاهليتها. وفي جهلها وجاهليتها هاويتها، وضياع مزيتها، وهو التفريط في أمرها، فما تواجدت بالله أمانة اسمه ووجهه، إلا لتكون أمرا لله، بوجود لله بها.

فبدءاً من هذه البشرية وحالها، قياما بذات ومعنى، لموالد الفطرة، تواجدا من سلالة من طين، بأطوار الحيوان، إلى بهيمة الأنعام، نبدأ معارفنا، ونبدأ طريقنا، ونبدأ سلوكنا، ونبدأ ديننا، ونبدأ حكمتنا، ونبدأ أمرنا، ونبدأ فهمنا عنا، فهمنا عن مبدعنا، قائمتنا وقيومنا، الحي القيوم بنا، والحي القيوم علينا. فنبدأ الحياة، وتبدأ حياتنا، وتبدأ الحياة لنا منا إلينا، نبدأ أفرادا لأوادمها، إلى أوادم لمعانيها، وننتهي أئما لأوادمنا لنا، بمعانينا فينا.

فنحن من قائمتنا بالحق، معية لنا، قائمتنا علينا، إما إلى تمسك به، وترقي وتصاعد فيه بأمره، في مجال إنساننا وإنسانيتنا، بدءاً من قيامنا وقيامتنا، وإما إلى تفريط في أمرنا، فهاوية عن مستوى وجودنا، إلى فقدان لمعاني الحق فينا، ومعاني الحياة لنا، تفريطا في أمر الله بنا.

فنحن إلى تخلٍ عن وصفنا، ومعانيها، وبشريتنا، وبشرانا، واستهتار بإنذارنا وتحذيرنا، أن لا نفقد معانيها، وأن لا نظلم أنفسنا، وأن لا نفترق عن الحياة هي لنا، من الحي القيوم بنا، وإما إلى حرص

على استكمال لمعانينا، وتطوير لمبايننا، وكشف لأنفسنا، وحرص على حقائقنا، بانعكاس إلى أنفسنا، وطلب للأعلى لملاقة لنا فينا، في بيته من قلوبنا، نشهده ونجتمع عليه بمعانينا قبله وريادة لهاكلنا، رسولاً من أنفسنا، بوصف الخلق معنا بيننا، مثلاً أعلى لمعانينا لله، لقوالنا هياكل عوالمه، وقلوبنا بيوت ذكره لأسمائه، متبعة له إلى وصف الحق لنا لقائم الحق به، لقلوبنا بيوت حياة، وقبله قوال، لعوالم في طريقها للوجود، للحي القيوم بنا، لمشروع الخلق والحياة الأبدية.

فنحن في حاضرننا، من أمرنا، من مجتمع أرضنا ببشريتنا، نبداً ونواصل، بدءاً بعد بدء، من أفراد، وأسر، وجماعات، وأمم، وبشرية، نتصاعد على ما نحن، ندخل السماء لأول دورها على ما نحن، مبعوثين فيها على ما متنا عليه، في السماء الدنيا من الأرض لنفوسنا، ونزد إلى الأرض على ما نحن، من أولى طبقات السماء ذات الرجوع، إلى عالمنا وأرضنا ذات الصدع، كطلبنا وإرادتنا، لنستكمل خلقيتنا، بالتخلق بخلق الأعلى علينا، على أرض نشأتنا، في حجابنا، بمشيئتنا.

خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وما هذا إلا تصوير للنشأة لقوالنا. وخلق الجن من قبل من مارج من نار، وما الجن إلا بدايات لنفوسنا إلى النار المقدسة، وما الملائكة إلا أنوار قيامنا لعقولنا، وما العوالم في فطرتها إلا تطوير قوالنا وهياكلنا.

وما بيوت الله، يذكر فيها اسمه، إلا قلوبنا مرفوعة أو موضوعة، قبله السجود للوجود لنا، يوم تستقيم أوزارنا بالإسلام لمعانينا. وما الحقيقة وحقائقها، إلا معانينا لمبايننا، وما الرب لنا، إلا قيومنا لقائمتنا.

وما وجه الله لنا إلينا، إلا قيامنا به فينا. نرانا في مرآة أخوتنا لقائمتنا بالحق في قيامنا، كما ندركا لتأملنا في مرآة أخوتنا بقائمتنا على الباطل، (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال)²، (إن الطيور على أشكالها تقع)³. (إن لله ملائكة سياحون في الأرض يجمعون أهل على أهلهم)⁴.

فنحن هنا بداية لعوالم القلوب في أكنانها، أول عوالم الروح لمراقبها، وأول معالم الحق لها لمعارجها، ونواة عوالم الأكوان، لحقائق القلوب بقوالها. ففي هذا العالم يولد كل مولود على هذه الأرض على الفطرة، لصبغة الله لها بأحدها، زويت له الأرض رسولاً من أنفسهم، قدوة لمفرداته بهم، فالفرد وهو الذي يغير من أمره لفطرته، في متبعة موصوف أبويه له بلغة ومدرك جنسه لمعنى الله ورسوله عنده، على يقظة بهم أو في غفلة عنهم متأثراً ببيئته لعصره، أو مؤثراً فيها، حاملاً معه لبيئته من صنعته. {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}⁵، (من صلح أصلحنا له من صلح من آبائه وأزواجه وذرياته)⁶، {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى}⁷،

يوم يتكشف وجه الحق للأبناء بالآباء، أو يعرف الآباء معنى الآباء لهم فقدوه، في مشاهدتهم الأبناء منهم به مع أبنائهم كسبوه، فأبناءً لأبنائهم لأنفسهم طلبوه.

الله من وراء وجوهه شاهدة أو مشهودة، بإحاطته لا اتجاه له بالزمان، ولا بالمكان، {ذرية [طيبة] بعضها من بعض} ^٨. {كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها} ^٩. {فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض} ^{١٠}. (الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة) ^{١١}. (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم) ^{١٢}. (لا تزال طائفة من أمتي قائمون بالحق لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة) ^{١٣}.

فنحن من عالمين في قيامنا نتكون، وبين عالمين لجناحين نقوم.. عالم للقلوب، وعالم للقولب. ونحن بجماعنا وبمفرداتنا، في رعاية من الحقيقة وعوالمها، بعالم من قلوب حية، وبالعالم من قولب حية.

فنحن بين عالم القلوب الحية، وعالم القولب الحية لا عد ولا حصر لها، بين يدي رحمة الحي القيوم، كلتا يديه يمين، هو الخير.. هو الرحمة.. هو المغفرة.. هو العدل.. هو المشيئة.. هو الناموس.. هو الإرادة.. هو هو.. على ما هو، الحي القيوم في قائم الحياة، وفي قيوم الحياة على قائمها على ما هي، ألا وأبدا، وسرمدا. (الحياة هي الحياة، والناس هم الناس) ^{١٤}.

الكائنات والأشياء، لنا بنا، مظاهر للتعبير عن مكوناته (أقانيه) بالحق، لمعاني العبد الحق لنا، يقوم في وحدانية مع الرسول، والرب المرسل لقائم أحدية الحق، من شتاته في واحدته لإنسان الله، جمعا وفردا، علما لأحده، ووجه واحدته، واسم أحديته، وقائم إحاطته، بقائم وقيوم رحمته، أحد من آحاد في المطلق اللانهائي المعروف بوجوب وجوده، عند موجوده.

فعوالم القولب حية لها معراج وناموس، وعوالم القلوب حية لها معراج وناموس، واتحاد القلوب والقولب في قائم هيكل، أو ذات أو كائن أو عالم، أو وجود واحد، على ما هو قائم، بمظهر وجوهر، على أرضكم ببشريكم، بدءا للخلق، وأمر للحق، أمر له معراج وناموس.

أمر الله ينتهي في نهاية مسعاه، وفي نهاية مرتقاه، بعد الفرق بين القلب والقلب، تشتيتا للأنا، إلى اجتماع وجمع لأحدية حق، إنسانا في حضرة رشاد، لا تعرف العناد، ولا يطغيها الجهل، ولا يعوزها العلم، ولا تتعدد مع الأكبر من الحق، ولا مع الأصغر من الخلق، ولا تعرف التعدد لمستويات الحقائق، ولا تقول بالفرق بين موجود الحقيقة بوجوهها لمعانيها، وموجود الخليفة عند رائيها، لمعالمها للحق بها، تعبيرا بها عن معيته لها، في أحدية جمعها لحكمته منه لواعيها.

فأنتم هنا من حيث وحدة قلوبكم لقلوبكم أول وأسفل حضرة الإنسان، لعالیه في أحسن تقويم وأسفله لأسفل بسافلين. خلقكم الأعلى لعالیکم، والأدنى لدانیکم، لنفسه، بحضرة الإنسان لرشاده، حضرة لا يعوزها اللقاء فيها لمعاملها لمعانيها، ولا يخطأها الرشاد لها عنها فيها.

ولا يغيب عندها الحق لها، عينها وحقها وأمرها، هي مجتمع القلوب الحية لعوالم الوجود بها قائمة، قلوب كبيرة واسعة تجدد نفسها في دوام، كلها خلقت لها قوالب من عوالم، في طريقها للتواجد من عملها، بقلوبها لقائم ونافذ إرادتها.

إن مجتمع القلوب، كما هو مجتمع القوالب، يبدأ من الفرد، لبنة تواجده، ويتجمع بالبيت، وبالبيوت، وبالمدينة، وبالمدين. مدنه وجود، وبيوته عوالم، وأهلها حقائق.

فالناس في مجتمعهم الصغير على الأرض يعبرون بموجودهم الزائل عن الوجود الكبير الباقي، بعوالمه وحقائقه، ككتاب علمه وقرآن بيانه. فهذه البشرية لها قوالبها وقلوبها، وبها مظاهرها لحقائقتها (الظاهر مرآة الباطن)^{١٥}، فردا جماعها، وجماعها فردا، فيها يتواجد الإنسان من بداياته لنهاياته، بدورة من بدئه لتماه، في دورة لظهور أودمه، ونشأتها، لقيام إنسانه بحقيقته، (أعطيت جوامع الكلم)^{١٦}، (أول من تنشق عنه الأرض أنا)^{١٧}، في دورته الخالدة عليها، بأيامه للبلاغ والرحمة، بالبشرى والإنذار، وأيامه بالفصل والإنظار.

فكائن الإنسان بين باطن لظاهر، وظاهر لباطن، بمعاني قلب وقالب، موجود مزدوج متزاوج، باطنه قلبه، وظاهره قلبه. ولذلك وجهته الفطرة إلى نفسه، يوم قالت له {ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}^{١٨}، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}^{١٩}، وجددت له عطاءه بخلقه لنفسه بنفسه الأعلى وبعمله، {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى}^{٢٠}، وبسطت له رزقه، وقد خلقت الفطرة كل شيء من أجله.

وكشفت له عن حقه بكتاب نفسه، وأعطته حريته، بوضع أوزاره عنه، يوم علمته وأعلمته أن الله {قائم على كل نفس بما كسبت}^{٢١} وأن {كل نفس بما كسبت رهينة}^{٢٢}، وأنه {من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}^{٢٣}، وأنها {إنما هي أعمالكم ترد إليكم}^{٢٤}، وأن الله ما كان بظالم أو ظلام للعبيد، وأن الله غير مظلوم عند عباده، وأنه لا يهتمهم بالظلم له ولا لنا موسى، {وما ظلمونا}^{٢٥}، ولكنه يحذرهم من الظلم لأنفسهم بأن لا يظالموا، ولكنهم كانوا لأنفسهم، بمسلكتهم بجهلهم يظلمون، وأن الله أعطى كل شيء خلقه، ثم هدى. كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

إن الناموس الإلهي لا يفترق عن واضعه، ولا يختلف عنه، فبالإلحاق أن يتصف الحق بأوصاف الخلق في عوالم حجابهم. فالملك في عوالم الخلق يفترق عن يشرع لهم، ولا يلتزم في ملكه ولا يلزمه ما وضع من القوانين (الملك فوق القانون)^{٢٦}، ويدبر وينظم لقوانينه كيف تأخذ طريقها للنفاد، وللتطبيق وللإحترام، لأنه يعوزها هذا لطبيعتها.

ولكن السلطان في مملكة الله أمره يختلف، فهو لا يفترق عن الناموس الذي قام به ملكه، والذي يقوم بملكه، لأن الملك والمُلك في ممالك الحق حق، والحق لا يتجزأ، وليس كمثل شيء، فالملك هو الملك، والمالك لزام كل شيء، هو الذي لا يخرج في ملكه عن سلطانه شيء، ولا يعزب عن علمه في ملكه شيء، ولا يملك أن يختلف بإرادة، عن إرادته، في دائرة إرادته، صاحب إرادة بوجود باسم شيء، أو باسم كائن. الكل معه في موجوده، عين موجوده، ولا وجود له، فالناموس لا يفترق عن ذاته، ولا يستقل عنها. وهو ما يمثله كائن الإنسان، بأحده بهيكله، جماع محتوياته من حي كائناته من خلاياه ودمه، لأعضائه وأطرافه وجوارحه.

فإن الله في ملكه هو ناموس الحياة.. هو ناموس الوجود.. هو ناموس الحق.. هو ناموس الخلق، منفعل في انفعال كل منفعل به، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا.

يصدر الناس أشتاتاً في ظل هذا الناموس، ويتجمعون من شتاتهم إلى وحدانيتهم في القيوم على قائمهم بالحق، بما كسبوا في ظل هذا الناموس، فمن وحد الله فقد وحد نفسه وأناه ومعناه، يوم تجمع من شتاته، إلى قيام أحديته، من واحديته، بقيوم لقائه اسماً لله، لم يفرط في أمر الله، لأمره بهذا الناموس.

ويوم يصدر الإنسان مشتتاً، فيتفرق من أحده لواحديته مبعضاً عن أناه بذاته، لصفاته، لأناه ومعناه، {يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم}^{٢٧}، فيقوم عليهم قائم الحق لهم، مكسوبا لأنهم موحدين، يوم ندعو كل أناس بإمامهم، {وأذن في الناس بالحج يأتوك}..^{٢٨} ومفقوداً لأنهم وقد أصبح بعيداً عن معناتهم، الذين أشركوا، الذين كفروا، أعمالهم كسراب ببيعة، عمدنا إلى ما عملوا فجعلناه هباءً، يحسبه الظمان ماءً، فإذا وقع القول، وتكشف الأمر، فإذا هو يراه هباءً، فإذا هو يراه سراباً ببيعة، ووجد الله عنده، فيوفيه حسابه، {كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا}^{٢٩}.

عرف أنه ميت.. عرف أنه لم يحيي نفسه.. عرف أنه قطع كرة خاسرة.. وجاءت سكرة الموت، بالحق، الذي عنه حاد، والذي ما كسب له به علم، ولا أقام له به فيه رشاد، فرط في أمره.

فإذا هو يرى أن نفسه إنما هي محاسبه، وأن جوارحه، إنما هي دائته ومطالبه، وهي شهود إدانته. وإذا قاضيه إنما هو فيه، وأنه ما كان إلا ضميره، وأن القانون الذي أدين به وطبق عليه ما كان بعيدا عنه، بل كان قريبا منه، لا بل كان فيه، إنما هو ناموس وخلق، كائن روحه، لمدركات عقله، وترجمان حسه، فيدين هو نفسه بنفسه، وينساب مسوقا بإرادته إلى هاويته، ويوقع الجزاء هو على عينه بعينه. حتى إذا ما استوفى إنظاره، ودارت الحياة دورتها لبدء بمولد فطري، وبدأت مرة أخرى بدايتها، وهي دائرة مع كل كائن حي، بادئة في دورتها مع كل بدء بحياة، متجددة في مسيرها ومسيرتها، كلما تجددت جلود البشر، قوالب لقلوب، في أكنتها، على فطرتها، قوالب نائمة وقلوب منقبة، بجديد عين قديم من نشأتها.

وقد أعطيت جديدا، لدورة في الفطرة، عليها تغير من طبيعتها وجبلتها، كلما مستها البأساء والضراء في محنتها، حتى تخرج من نارها إلى جنتها، في إرادتها وعلمها ورشادها عن ربها لها معها فيها، وعن خالقها بما هو مبدئها، وعن المحي في إدراك الحياة لها، إيمانا بالحي القيوم، بقاءم حياتها.

هو لها من ورائها بإحاطته هي له وجه، وهو فوقها برحمته هو لها لفوقها ظل وقايتها، ومن تحتها بقدرته وبِعِزته، يمسكها أن تزول يد عنايته، وهو من أمامها بوجوده لشهوده، حتى تبلغ برحمته المأمول، بشرية مبشرة، وإنسانية محذرة، أوزارا تقبر، وأرواحا تطلق، برقاب تعتق.

ثم هي مرة أخرى أشباحا من الأرض تخرج، يوم تعود أرواحها من السماء مردودة، فإذاها مرة أخرى بعينها لعينها من الأرض موجودة، برسالة لمرتهاها، أو لجديد لها في معناها، فإن خرجت يقظة، وبربها وبالقضاء معتبرة، بدأ مسيرها وبدأ رشادها، وبدأت الحياة لحياتها. (لا يدخل ملكوت السماوات إلا من ولد مرتين)^{٣٠}. (ولا يدخل الجنة عجز)^{٣١}.

إنها الحياة في دورة القوالب، وفي دورة القلوب.. إنها في دورة القلوب إلى جديد مولد فطري، وإنها في دورة القوالب إلى قديم وجود، غير مرضي، ففي وحدانية القلوب والقوالب، علم النفس ما قدمت وأخرت، وخروج ظلال الإنسان بعمله من أزله، ليعلم بشهادته لنفسه في حياة قلبه، يوم يحيا بقلبه لقواله جديد نفسه لأبده، فيقوم معنى الحق له، ومعنى أمر الله لأمره.

إن الإنسان بإنسانيته يربح أنه هو كل شيء، وإن الإنسان بفقدان إنسانيته، يفقده، فهو لا شيء، ولا وجود له. إن الإنسان هو العدم، يوم يفرط في أمره من أمر الله. وإن الإنسان هو الوجود، يوم يحرص على أمره بأمر الله. وإن الناس في قائمهم، بين مفرط وحريص، حريصهم الحق، ومفرطهم الباطل. إن المفرط هو ما عرفت عنه رسالة الفطرة في قديمها، بالشيطان الرجيم، يرحم من عمله

فيهلك. وإن الحريص هو من عَرَفَ عنه بعباد الرحمن المصطفين، والمكرمين. {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} ٣٢.

إن الروحية بصلاتها وعلومها ومعارفها، وقيامها وقائمها، وقيومها، وعارجها ودانيتها تقيم الدين، على حق لا عوج له، على ما عَرَفَ الحق، بعقائد الدين في جوهرها، مجتمعة في زاوية الحق فيها، في بيئات الأديان، وإن اختلطت فيها جميعا زاوية الحق لها، مع قشور أغلفتها بالمأمور به والمنهي عنه، مع الزمن. فؤسسو الدين في كل عصر، وفي كل أمة، وبكل لسان، جاءوا بزاوية جوهرية من زوايا الحق دون التعريف بجماعه.

إن الدين اليوم، في ظل رسالة الروح، ووصلة الروح، وقيامة الروح، وقائم الروح، وقيوم الروح على عالمنا عالم روح، لقلوب في أركانها أول عوالم الروح، وبدء عوالم الروح، وأول عوالم الأشباح، وبدء عوالم الأشباح، يأتي من الروح بجماع زوايا الحق، في بيان وتفصيل يقبله العقل، ويسنده العلم، يكشف عن الطريق لقائم الحياة، وأنها إلى قيام بوجود عند كاسبها، أو إلى قيام في وهم من موجود، عند فاقدها. فالإنسان بتوقيته في حكم المفقود، يوم يقوم القائم الموقوت، بوهم الوجود، ولا وجود له، فالعدم مآله وفي انتظاره. فالإنسان هو الحياة، عبرت عنها الأشباح، وقامت الأرواح.

فماذا نحن في أمرنا؟ وما هي وصلة الروح وصلت إلى عالمنا، وإلى حسنا، وإلى مداركنا، وإلى قائمتنا، وإلى قيومنا، وإلى حياتنا، فقطعت جبهة قول كل خطيب، (الموتى يتكلمون) ٣٣.

إن الدين اليوم يقوم على أساس من الواقع، ومن المشاهدة، ومن الفطرة، ومن العلم، فإذا قلنا إنه قام في الماضي على أساس من العقيدة والمنطق، فقد استوفى الدين مراحله من القيام على العقيدة، والمنطق، وانحرف به محترفوه إلى ضلال أنفسهم به وإضلال أتباعهم بالدعوة إلى أنفسهم، وابتعدوا به عن المنطق وعن الجادة، إلى اعتقاد معنى الشيطان فيه، باسم الرحمن له....

بجدل في الله بغير علم يقوم، وبغير كتاب ينير، وبغير نور يسرى تمسه القلوب، وتشرق به العقول أو يمسها ويشرق منها، وساروا بالدين إلى غير سليم غاية يهدف لها، ولكن إلى باطل، وإلى غش، وإلى خدعة، وإلى تجارة، وإلى استغلال، وإلى أنانية منحطة، {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد} ٣٤.

إن العاقل ليتساءل: ما هو السبيل لكشف العمل الصادر عن هؤلاء المجادلين في الله بغير علم؟! إن أمرهم لا يخفى على العقل اليقظ ولا على الإحساس الفطري السليم، فما كان عملهم إلا اتباع كل شيطان مريد، باسم الله، وباسم رسول الله، وباسم الحق، وباسم الصدق، وباسم القيامة

والقيوم، وباسم الساعة واللقاء، للحق أو الجزاء، وباسم المعرفة، وباسم النور، وباسم الحياة، وباسم الروح، يتبعون كل شيطان مريد مناصرين، وبمظاهر الغيرة على القيم العليا مجادلين.

يجادلون في الله بغير علم، تعالى الله عن وصفهم وعن كل وصف، وعن علمهم وعن كل علم وعن إحاطتهم، وعن كل إحاطة، وعن قيامهم وعن كل قيام. إنما الأمر له، والحكم له، والشرف له، والفعل له، والحكمة له، إنه يُحَكِّمُ^{٣٥} بالشيطان، كما يُحَكِّمُ بالرحمن.. فتعالى الله عن وصف الجهلاء، وعن علم المرائين. (إن الله ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر [ينتقم به ثم ينتقم منه])^{٣٦}.

أبرز الله رسوله المرة بعد المرة، ولم يخفه بعد إبرازه كلها أبرزه. وأعلى الله رسول الله، ولم يغيبه في عليائه، وأدنى رسول الله، ولم يقبره في ليل سكينته، يتلو كتابه على مكث ليين لهم، يقوم ويتقلب في الساجدين، يتكلم بكل لسان، ويقوم بكل إنسان، ما استيقظ في الله قلب، واستقام فيه قلب. {واعلموا أن فيكم رسول الله، لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم}^{٣٧}. وما كان الله ليعذبكم وهو فيكم، وما كان الله ليعذبكم وأنتم تستغفرون، فاتقوا الله، وارجعوا إلى الله، واستغفروا الله، وحرروا قلوبكم من سجنها، وحرروا عقولكم من ظلامها، وطوروا قلوبكم من ركودها، لعلمكم ترحمون.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله

اللهم يا من جعلت من رسولك داني رحمتك بأزلك، وأقمتها علينا لدائمنا بدائمك لأبدك.. اللهم برحمتك به فألحقنا به قياما وسلاما، ووجودا وإيماناً، ولا تجعل حياتنا منا بدءاً من أنفسنا، بقائم عدلك، وقيوم فعلك، فقد قبلنا بإيماننا به وجهاً لك هديتك.

اللهم لا تجعل لنا بدءاً مختبراً، بمولد فطرتنا، مفطورين على عدلك، وقائم أمرك، وألحقنا بتقديم أمره، وأزلي أمرك به، وسر بنا في أبدي أمره وأبدي أمرك، رحمة منك بنا، وإيماننا منا بك وبرسولك، لا إله غيرك ولا معبود سواك.

اللهم إنا نعلم أن القول واقع علينا، وأن الناموس مطبق فينا، وأن قضاءك لا مرد له.. اللهم الطف بنا في قضائك، ووفر من حظنا في مغفرتك من عطائك، وعاملنا برحمتك في ابتلائك، ولا تمنحنا رد أعمالنا بعدلك في جزائك، فقد عرفناه ناموس مغفرتك وعفوك من جزائك، فأوفر لنا به حظنا من منتك ومن عطائك.

لقد قبلنا رسول الله، رحمة مهداة، فلا تسترد منا الهدية، ولا تمنع عنا دوام العطية، وادفع عنا به شر البلية، وارجعنا به إلى أحضان رحمتك الرضية، وأنوار طلعتك البهية، وروح قيامتك العلية، وقيوم قدرتك الغنية.

اللهم بحكمتك وبِعزتك، ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، وأصلح أمرنا حكما ومحكومين، غافلين ويقظين، راشدين وجاهلين، مجاهدين ومتابعين، واجعلنا محلا لرحمتك، ولا تجعلنا آية لابتلائك ونقمتك، في اختبارك لخليقتك.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

مقدمة الناشر للكتاب (تعاليم سلفبرش) طبعة ١٩٣٨ السيد ا. و. أوستن: (هذه التعاليم التي يدلي بها سلفبرش والتي يصر على أنه ليس هو مؤلفها بل هو الرسول المكلف بنقلها من المصادر العليا، ولا يقصد بها أن تكون إعجازا في البلاغة التي يدلي بها مخلوق أوتي كل الحكمة.

وليس من تعاليم الروحية أننا نجرد أنفسنا من غريزة النقد، وأن نوافق بدون تفكير على كلام إنسان آخر سواء كان هذا الإنسان في هذا العالم، أو في العالم الآخر.

كما أنه ليس الغرض منها خلق دين جديد إذ أن الإلهام لا ينقطع أبدا، وإنما يتوقف على ما لدينا من استعداد لاستقباله.

إن سلفبرش يحتكم إلى المنطق ويقول إن أي شيء لا يتسع له منطق القارئ يجب أن يرفض أو أن يترك على الأقل حتى ثبت صحته في المستقبل.

ويجب أن ندرك أن كل فصل في هذا الكتاب ليس بالضروري أن يكون خطابا متصلا نطق به الروح المرشد في جلسة واحدة، بل قد يكون مستخرجا من أحاديث استغرقت ثلاثين أو أربعين جلسة. وإنما كانت مهمتي أن أجمع الأفكار المتشابهة في مكان واحد).

واضح من هذا أن ما جاء به سلفبرش كان إعجازا في البلاغة، وأن فيه كل الحكمة، وأنه متفق مع دائم الفطرة، وقائم الصبغة للوجود، واتصال شقي الحياة بدائم الإلهام، تجديدا لما جدد به الرسول دائم الرسالة.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الأحزاب - ٦
- ٢ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحكم من يخال". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ٣ أحد الأمثال الشهيرة والدارجة، التي تستخدم للتعبير عن مدى تشابه أو تقارب شخصين في التصرفات أو طريقة التفكير وتوفقهما معا. ومثل "الطيور على أشكالها تقع"، يعود إلى نصف القرن السادس عشر.

- ٤ حديث شريف ذات صلة: (إن لله ملائكة سياحين في الأرض، يسوقون أهل الذكر إلى أهل الذكر). وبداية الحديث الشريف: "إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ: فَيَحْفُوهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا..." صحيح البخاري. صحيح الترمذي.
- ٥ سورة الرعد - ١١
- ٦ استلهاما من {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ}. سورة الرعد - ٢٣. {وَرَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}. سورة غافر - ٨
- ٧ سورة الأعراف - ١٧٢
- ٨ سورة آل عمران - ٣٤
- ٩ سورة ابراهيم - ٢٤-٢٥
- ١٠ سورة الرعد - ١٧
- ١١ حديث شريف تقول معظم كتب الأحاديث إنه لم يثبت عن الرسول ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.
- ١٢ من حديث شريف: "حياتي خير لكم تحذرون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم". أخرجه النسائي والطبراني.
- ١٣ من الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم؛ إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيت المقدس وأكاف بيت المقدس". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبرة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة". أخرجه الحاكم.
- ١٤ قول مأثور دارج.
- ١٥ عبارة متناغمة مع مقولة من خطبة للإمام علي - كرم الله وجهه: "...اعلم أن لكل ظاهر باطنا على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبت ظاهره خبت باطنه..." بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.
- ١٦ جزء من حديث شريف. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فَضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.
- ١٧ من الحديث الشريف: "أنا سيد ولد آدم ولا نخر وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا نخر وأنا أول شافعٍ وأول مشفعٍ ولا نخر ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا نخر". صحيح ابن ماجه.
- ١٨ سورة الملك - ٤
- ١٩ سورة الذاريات - ٢١

- ٢٠ سورة النجم - ٣٩
- ٢١ سورة الرعد - ٣٣
- ٢٢ سورة المدثر - ٣٨
- ٢٣ سورة الزلزلة - ٧-٨
- ٢٤ من حديث قدسي: "يا عبادي! إنما هي أعمالكم تُردُّ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح. أيضاً الحديث: "يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه." صحيح مسلم.
- ٢٥ سورة البقرة - ٥٧
- ٢٦ إشارة لما تتضمنه الدساتير في نظام الحكم الملكي عموماً.
- ٢٧ سورة الزلزلة - ٦
- ٢٨ سورة الحج - ٢٧
- ٢٩ سورة الإسراء - ١٤
- ٣٠ من كلمات السيد المسيح عليه السلام: "الحق الحق أقول لك: ما من أحد يمكنه أن يرى ملكوت الله إلا إذا وُلِدَ ثانية." (يوحنا ٣: ٣)
- ٣١ حديث شريف: "أتت عجوزٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لها صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة عجوزٌ فبكت، فقال: إنك لست بعجوزٍ يومئذٍ قال الله تعالى إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً" [الواقعة ٣٦، ٣٥]. الراوي: الحسن البصري، المحدث: العراقي. تخرىج الإحياء للعراقي.
- ٣٢ سورة النحل - ١٢٨
- ٣٣ إشارة إلى الأرواح التي تتحدث من خلال الاتصال الروحي.
- ٣٤ سورة الحج - ٣
- ٣٥ أضيف التشكيل "يُحَكِّم" وفقاً للنسخة الأصلية المراجعة من السيد رافع
- ٣٦ حديث شريف: "إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر." أخرجه البخاري ومسلم..
- ٣٧ سورة الحجرات - ٧

(٤)

إنسان الخليفة أزواجاً بألوانه
 لإنسان الحقيقة معراجاً بعنوانه
 أمر الله الأبد القائم، لأمر الله الأزل الدائم
 اسم الله الحاجب لاسم الله الواجب
 في الوجود المطلق اللانهائي
 لله ورسوله

حديث الجمعة

١٧ جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ - ٢٣ أكتوبر ١٩٦٤ م

أعوذ بالله، لي ولكم، وأستغفر الله، لي ولكم، وأحمد الله لي ولكم.. ما كنتم لي أنا وكنت أنا لكم، بما كنا أنا وأنتم لرسول الله، وكان رسول الله لنا، أنتم وأنا، بما كنا به لله، وما كان الله به لنا، قياماً في الله ورسوله، بالله ورسوله.

أشهد (اللهم)، بلا إله إلا الله، وأشهد (اللهم)، محمداً رسول الله، بنور السموات والأرض لي عقلاً وروحاً. وأشهد رسول الله بالحق لي، إنسان الوجود، بقيام آدم لوجودي فيه، آدم الأوادم لوجوده.

وأشهد صاحب العزة وربها من الله، يوم جاء شديد القوى لنور السماوات والأرض، الإنسان الروح الأمين، لآدمه، لإنسانه المحمد يوم كان له منه، قاب قوسين أو أدنى، ليشهده مشاهده مثل نوره، ليكون الناس في متابعتة، إلى الله أكبر، وذلك يوم نوقن في قيامنا أن الله ما ظهر بحقه في شيء، مثل ظهوره في الإنسان، من الروح والناس، على ما نحن فيه من الحق، برسول اصطفاؤه منهما.

فبرسول الله معنا في دوام ذاتاً وروحاً، يقوم ويتقلب في الساجدين، على ما هدينا، عليه نجتمع وله نتابع، نُشرح لنا الصدور، وتنجلي فينا الأمور، وينقضي منا الفجور، وتَعمر بنا الدور، فترفع وتوضع بنا بيوت الذكر للمذكور، يذكر فيها اسم الله، صدورنا مشكاة مصباحه، مشرقاً بدائم فجر نوره وإصباحه.

إن البشرية قبل محمد، وإن البشرية بمحمد، وإن البشرية بعد محمد، قامت وتقوم بأمر لله جديرة بالنظر، مليئة بالعبر. فن قبل محمد، قامت البشرية أبناءً مُكرمين لآدم مصطفى أميناً لربه، طلبه أبناءؤه، ونادوه سعياً إلى رب العالمين، وقد أمسكته يد الله نفساً متوفاه، عين وجود للسموات والأرض يمسكه أن يزول (أبانا الذي في السموات)¹.

وبمحمد قائم الفطرة ورسولها وجماع حقائقها قام جديداً قديماً، قامت به البشرية أوادم، لقائم من قديم إنسان آدم، لقديم لآدم.. رفيق لرفيق، فاستقامت الطريق، وأسفرت خلة الحقائق في الحق المحقق، وقامت خلة الخلائق بالقلوب والقوالب، فتكشفت المحبة بقائمها بين الحقائق، كما قامت المحبة بنشر الحياة بين الخلائق، فقام بقيام المحبة التعارف بين الحقائق والخلائق، فقامت المعرفة لحقائق الخلائق، وخلائق الحقائق.

فقام الذكر المحدث بخلقه وحقه، رفيقاً للذكر القديم في حقه وخلقته، هو له رفيق وأنيس، فقام معنى الإنس على الإنس لمعنى الإنسان، مثني وفرادي، فبعث الإنسان، مظهراً للإنسان، وقائماً للعنوان فقام مثل نوره، بهياكل كبير الإنسان، في مظهره من الأكوان، بآدم وأبناء لآدم، هم في الحق عوالم وحقائق وأوادم.

هذا ما كان قبل محمد إلى محمد، فلما تواجد محمد آدم في الدورة الخالدة لآدم، في إنسانه للحق جديداً بذاته، لمعناه بقديم، عَرَفَ الآدم الآدم، وعُرِفَ الآدم والآدم، وعرف الآدم من الآدم، وعرف باطن الآدم بظاهر الآدم، عرف قديم الآدم بجديد الآدم، رحمة للعالمين وقدوة للعابدين، فكان محمد بذلك مبعوث الحق بالحق، وأول العابدين، حقاً وخلقاً، وقدوة دائمة به للعالمين.

كسب محمد لمعاني العبودية معاني الحق لحضرات الحقيقة، وتواضع بمعاني الحق له، لمعاني العبد فيه، فأصبح به الرب والعبد متعادلين في دائرة الحق الواحد لأحديته، شقي وجوده، ومظهرين من وجود الحقيقة المتوحدة به له فيه بموجوده. هما حقان متساندان، أو هما عبدان متوحدان، أو هما حقيقتان متحدتان لأحد بهما، أو لأحد لهما، وبذلك عرف الله، وقدر الله حق قدره، وجوداً مطلقاً لانهائياً، عنونه الإنسان.

فكانت القيامة، بقيامه، قائمة بأخطر لون من ألوان القيامة، في ألوان للقيامة عديدة لا تحصى. كشف بقيامته بدائمه عن دائمها لدوامها، وعن قائمها لقيومها ومقيمها، يوم علم عن الساعة على ما عرفها لنفسه بنفسه في نفسه، وقد عرفها لمحّة الحياة الآنية بالنسبة للأبد له، فقال (لكل منكم ساعة)^٢، (من مات فقد قامت قيامته)^٣، وأنذر (بعثت والساعة كهاتين)^٤، وعرف عن صاحبه في أثره يجيء في متابعته ببيان رسالته {وإنه لعلم للساعة}^٥.

فكانت القيامة عنده هي يوم يلقي القائم بالحياة، القيوم عليه بها، في قيام الله على كل نفس بما كسبت، معجلا الله له برحمته بها لكل من تقبل لأمره وهديه، فتواصى بالحق فيه مع من يؤاخي، ورضي بقضائه، وصبر وانتظر لرحمته وعطائه، فكشف عنه غطاؤه.

بعثت والساعة كهاتين، مشيرا بأصبعيه للتعريف بأنه والساعة رجلان في الله، رجل رحمته، ورجل عدله، وأنه سبق بوصفه رسول الرحمة خليله رسول العدل، بنسبة طول إحدى أصبعيه عن الأخرى، مشيرا إلى أنه إذا جاء زمان رجل العدل، أخرجه الله من أهل بيته، فملا الأرض عدلا، كما ملئت جورا.

وهذا ما عناه عيسى بقوله (ما جئت لأرحم، بل جئت لأدين)^٦ (اقبلوا نيري فإن نيري عليكم لطيف)^٧، وما ظهر رسول الله يوم ظهر، إلا بما هو لزميله رسول العدل (يظهر فيكم رسول الله الذي يأتي من بعدي بما هو لي من الله، فإن الأرض لا تستطيع وطأته، فذاك روح القدس)^٨، (يحل فيكم روح القدس فتأتون أفعالي)^٩.

وما ظهر عيسى يوم ظهر، إلا بقبس من رحمة رسول الرحمة، (أنا أولى الناس بابن مريم)^{١٠}، (من كان مني كنت منه)^{١١}، عليّ مني وأنا من علي)^{١٢}، فكشف عن وحدانية الإنسان مع قديمه، على ما قدرها عيسى بدوره، (أنا في الآب والآب فيّ)^{١٣}، هو أبي وأبيكم. وكشف عن وحدانية الإنسان بقائه مع قادمه (إذا جئت في القيامة دعوتكم بيا إخوتي)^{١٤} فيقول الرسول (أول من تنشق عنه الأرض أنا)^{١٥}، (لا مهدي إلا عيسى)^{١٦}. (يظهر ثلاثون دجالا كلهم يدعى أنه رسول الله قبل أن يظهر ابن مريم)^{١٧}، {يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا}^{١٨}. (يخلق الله له صورة يتجلى بها على الخلق يوم القيامة)^{١٩}.

إن رسول الله لم يظهر بعطائه، كما أنه لم يظهر بأمر الكلمة لله بعد، من غلبة الرحمة على العدل فيه، وعزة الرحمة على قدرة العدل عنده. إنه القيامة الكبرى بعد قيامة الكلمة. (لا تقوم الساعة إلا ويظهر على الأرض آدم)^{٢٠}، {إني متوفيك ورافعك إلي}^{٢١}.

أرسل هداية ورحمة للعالمين يد قدرته، وكتاب هدايته، وكنز وقسم مغفرته ورحمته، مؤجلاً الله به لغضبه، ولقيام حجته على من تقوم عليه حجته من المنظرين، (لا تقوم القيامة إلا على لقع بن لقع)^{٢٢}، عانيا القيامة برد الأعمال، أما القيامة بقبول المقبول، فهي قائمة ودائمة، {إما العذاب وإما الساعة}^{٢٣}.

فكان بذلك محمد معلماً، خالفاً بتعاليمه وعلمه، جعل علمه نوراً، وجعل كسب تعاليمه في الانتشار بالنور وجوداً، كرماً وجوداً، مشهراً أن (من نوقش الحساب فقد هلك)^{٢٤}، هادياً الناس، (أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا)^{٢٥} من أنفسهم، مجهولة عليهم في يومهم، معلومة لهم في غدهم، معلناً أن من طلب الله وجده، يوم جاءه الله وقد نفخ فيه من روحه، ثم أسفر له أقرب إليه من حبل الوريد، قيوم قائمه بالحياة، وقد سقطت أسوار المادة عنه.

فكانت القيامة في قائمها، بدائمها علماً لإنسان معرفتها، يطلبها يوم يتعجل إلى لقاء القيوم عليه، بشوقه ومحبه. {يا أيها الإنسان، إنك كادح إلى ربك كدحاً فلاقه}^{٢٦}، {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}^{٢٧}، {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً}^{٢٨}، و{لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله}^{٢٩}، {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}^{٣٠}، من ربها منظورة.

وذلك يوم يقوم رسوله ويتقلب بنوره في الساجدين، نور الله يمشي به في الناس، يحرق به الرقاب، ويذهب به بظلام القلوب والعقول، ويشعل به جذوة النفس، فيشرق نور الله في القلوب والرؤوس، فتتهز الأرض من القلوب مترنمة رابية بالحياة، ذاكرة مذكرة بالله، بيوت يذكر فيها اسم الله، تُرفع لتمام، وتبعث لتجتمع وتلم. فيشهر بها الله أكبر، يوم يعرف لها لا إله إلا الله، ويوم تتصف لمحبيها عبداً له بحمد رسول الله، {رجلاً سلباً لرجل}^{٣١} خالياً من شركاء متشاكسين.

فالقيامة في دوام قيامها تعجيل برحمة أو تعجيل بجزاء، أعمال ترد أو ساعة يشهد فيها العتق والفرج بكرة حياة، بقيام لا إله إلا الله، دخولا في حصن رحمته، في متابعة رسول الله ومحمد، مع أعلامه لقيامه، دوام سبيله، وعامل بصيرته.

به يدرك دائم القيامة للعقل، في إدراك العقل لصمدية الفطرة، وأبدي الحياة لأزلها، بما هو قائم ومدرک، ومعلل عنده، ومتأمل منه من الآيات لله، لا تنقطع في الآفاق، ولا في النفوس. وهذا هو علم الدين، وفقه الدين. {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}^{٣٢} في قيامه ودوامه وسلامه وكلامه، بالوجود لا جديد فيه، من خلق أو حق، {وإنه لعلم للساعة}^{٣٣}.

أما التعريف بالقيامة والتهيئة لاستقبالها في سفورها، للفرد وللجماعة أو للبشرية، فتقضية لها شأن آخر فهذا أمر يمس النشاط العام والسياسة والتطور الاجتماعي. إنها يوم يكشف الغطاء فعلاً للفرد أو

للجماعة أو للبشرية، عن الرحمة أو عن الابتلاء في دورتهما الخالدة، {وتلك الأيام نداؤها بين الناس} ^{٣٤}، {كل يوم هو في شأن} ^{٣٥}، {وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها} ^{٣٦}، {ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض} ^{٣٧}.

فإذا ارتد البصر من كرتيه إلى النفس، في قيامها من باطنها لقديمها بظاها لقائمها، ومن قادمها بجديدها إلى قائمها بمبعوثها، وتحدث الفؤاد للعقل بما رأى، فرأى العقل بحكمته ما أدرك القلب بشهوده، أدرك القلب حكيمًا ما رأى العقل محكمًا، فتعادل الرأس وقد عرف أنه مضغة مخلقة لقلب، مع القلب وقد عرف وأدرك أنه مضغة مخلقة لعقل، فاستقام الأمر في قائم الإنسان لقيومه، فهما يصدر عنه سواء من القلب أو من العقل، ولو استقام حال الفرد لاستقام حال الجمع، ولو استقامت حال الجماعات لاستقام أمر البشرية.

فالعقل والعاطفة، والخارج والداخل، في قائم الإنسان، والظاهر والباطن لأمر الرحمن به، والغيب والشهادة لله فيه، باسمه المؤمن، والإنسان عبدا وربا، هو القديم والقائم، وهو القائم والقادم، لازدواج أمر الإنسان، {وخلقناكم أزواجاً} ^{٣٨} لمعاني الحي القيوم له، اتجاها لسبق أو اتجاها للحاق.

بمحمد استدار الزمان في قائمه لقادمه، على ما كان في قديمه، معلوم قائمه، برحمة الله، للحي القيوم بالحياة وإنسانها بمحمد، باقتداء القديم، وحياة القائم، وتعالى القادم، حتى إلى عين قديمه بأحسن تقويم، لأمر قائمه، ببعث قادمه بعين قديمه، في ذات قيامه.

بذلك يصبح الإنسان الخلق في الفطرة برسول الله، إنسانا حقيقيا بالصبغة، فأصبح للرحمة عنوانا، وللإحسان ساحة ودارا ومكانا، ولطريق الحياة سفينا وركبا، ولأعلام النجاة علما وحقا، ولسفن الخلاص سبيلا ورتلا، ولد عصرا، وقام دهرا، وعنون أبدا، وبعث أزلا.

برسول الله ومحمد، أصبح الآدم إنسانا، ودانى وقارب الإنسان آدماء، فلا آدم ولا إنسان، بل حق في قائم بعنوان، لقيوم بحقيقة، لقادر بحق، لخلص بصدق، لإنسان الوجود، قياما عزيزا في الشهود.

بذلك قام آدم على آدم، وإنسان على إنسان، وهذا ما تواجد للبشرية برسول الله، بمحمد الله، بآدم الله، بكلمة الله، بروح قدس الله، بإنسان الله، بحق الله. {وقل جاء الحق وزهق الباطل} ^{٣٩}. {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} ^{٤٠}. {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد} ^{٤١}. فكان للبشرية الخلد، {إنما خلقتم للأبد وإنما تنقلون من دار إلى دار} ^{٤٢}.

أما ما بعد محمد، فهو كوثر محمد بما كان، في ظهور كثيره بما يكون، به تواجد على الأرض وسمائها آدمان، متعاونان، محسنان، عنوانا لإنسان غيب لهما، من مطلق الغيب بالإنسان.

هما آدمان من السبق، لحقيقتين من الحق، لأمرين لإنسان لهما، من إنسانية الرشاد، ينتظر الناس أن يعززهما ثالث من غيب الله هو في الطريق إلى الأرض، يظهر بذات من غيب الخلق هي في الطريق للظهور من الأرض...

حتى يتواجد باجتماعهما في قيام متحد، في السماء الدنيا للأرض في محمود إنسان كامل، مواصلا الرسالة بجديد حق جامع، هو بظاهره لقائه ثلوث لأوادم خلق، مظهرا لثالث لإنسانية حق، تعنون حقا في أحديته، ظاهرا لله بوجه متعدد بواحديته، قائما في الله باسمه بأحدية، {ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم}³، ولا أكثر من ذلك إلا هو معهم، ولا أدنى من ذلك إلا هو معهم، اتجاها إلى أعلى. ويقولون ثلاثة رابعهم كلهم اتجاها إلى أدنى.

فإذا قام آدم، حقا واحدا، على بنيه، كان هو معه ومعهم به فيه. وإن قام آدمان متعاونان، على أبنائهما، كان هو معهما، ومع أبنائهما بهما، هو الله ورسوله لهما. وإن قام ثلاثة من الأوادم، متكاتفين متساندين متوحدين متحابين متواصين بالحق، على أبنائهم من الناس، كان هو معهم، الله ورسوله وكلمته لهم ومع الناس بهم.

إن التجدد من الخلق إلى الحق، بهشم المادة غلافا وهيكلها باسم الباطل، وإطلاق وبعث الروح باسم الحق، لقيام وظهور مسيح الإنسان بآدمه، إنما هو في تعدد الكلمة الأزلية بظلال أبدية، لموجود اسم الله ورسوله، بموجود وجه الله ورسوله، في المطلق لموجود الله ورسوله، فيها لها فيها، ظاهر الإنسان لبطونه منه لأزله، وانبعائه لآزله في آباده لمعرفته بظلاله، في حضرة تجليه بخلائقه، لتبعث فيه بحقائقه، لقيام حضرات عرفانه وإحسانه.

إن الله، معية الوجود، موجودا واحدا، ومعية كل وجود، كلها أوجد الموجد به وجودا، من وجود، ليعلم عن موجوده بوجوده، وعن معنى رسوله له بتواجده، في جديد وجود، هو لعينه في شهوده. بذلك عبر الإنسان، وعبر به الرحمن، عن قانون فطرته، يوم ساوى الله بين آدم أبأ، وولده في جلده، {خلق فسوى}⁴، ويوم ارتفع بالولد إلى معاني الأب، مسويا بينه وبين جديده في جلده، فتجدد آدم في جلايبه، وتواجد آدم في وحدانية لبابه لقوالبه بجماع حقائقه، إنسانا بأحديته، وعلمها على عينه لسبقه، يوم تحرر بلبابه، من أوزاره بأجساده لمادته، إلى أحديته بروحه.

بهذا جاء رسول الله، وبهذا جاءت رسالته، وبهذا ظهر بفطرته، يتجدد دائما بجلده، ويتوحد دائما بلبابه وحقيقته، أصل الأصول فيما لا ندرك، وآدم الأوادم فيما نشهد وندرك.

جعل الله في معرفته، وموصوفه، واقعا في حياة الإنسان، وفي حياة العنوان، {وإن الدين لواقع} ^{٥٠}، {فأيما تولوا فثم وجه الله} ^{٥٦}. الله {قائم على كل نفس بما كسبت} ^{٥٧}. الله من وراء كل نفس بإحاطته. الله معية كل نفس أينما كانت، وكيفما كانت، ومتى كانت، أقرب لكل نفس من جبل الوريد.

أظهره الله على الدين كله، وأبان له ما في صدره من ملكوت السماوات والأرض، {ألم نشرح لك صدرك} ^{٥٨}، فنبع عن نفسه، مظهرها ومخبرها، لكلمة الله تمت، {وتمت كلمة ربك} ^{٥٩} فقال له (لا فرق بيني وبينك) ^{٥٠}.

فكان روح قدس لله، قامت وعمت، ظهرت ذاتا لروح عظيم تجمعت وتكاثفت مظهرها وهيكلها بشرا سويا، وروحا مرثيا، وأمرها ظاهرا عليا، وسرا لله خفيا، ووجها لله دنيا، ظهر والله من ورائه محيط، والله أقرب إليه من جبل الوريد.

قام والله له، بما كسب في قديمه، مغفور الذنب.. والله له، في قادمه مقبول التوب.. والله له، في قائمه مستور العيب...

ميسر الأمر في قائمه، أمة، معفوا عنه، أهلا وصحبا، لبیت مرفوع، عنوانا لرحمة الله مهداة، جاء موضوع بيت رسالة، يوم يتابعه مرحوم من الله، يطلب رحمة الله، ويهتدي بهدي الله وبرحمة الله.

جعل له نور أنزل معه يمشي به في الناس، يقوم ويتقلب في الساجدين، يغير الناس به أنفسهم، إليه تنسب ظلالا له ما غيروا ما بأنفسهم، مما يجري بهم مجرى الدم من الشيطان إلى وجوه به للرحمن.

ذهب عنه وصف الخلق لأناه، وبعث بموصوف الحق لمعناه بأعلاه، قامت به العزة له عن الله، آدما لا يدري في الله معناه لإنسان الله، إذ هو في عمائه عنه إنسان مولاه، فحن بغريزته إلى ساكن قلبه، لقبيلته، مستنجدا برحمة ربه لنصرته، بيت ذكره، لعلمه لاسمه، لأعلام أعلامه به ومن حوله، حن إلى الله، هو له البيت، ونوره لقلبه الحق، وقيامه بحياته للحج القيوم، قائم الصدق. فأعين على شيطان ذاته لوزره بمادته، حتى أنه عنه وضع، وله الغطاء رفع.

وهدي لمجافة مادي صفاته، مجاهدا لها متطورا بها، فكشف عنه غطاؤه، وقام بالكشف جزاؤه، فانتقل من قديمه لقائمه، ومن قائمه لقادمه، فقام في قائمه بالقديم والقادم، فجاءته البشرية بشرا، وقامه الذكر القديم لله ذكرا محدثا.

ثم وهب رحمة الله، عطاء، لأرض جزائه نعمة وآلاء، فأشرقت سماؤه بنور عطائه، لنور كسبه على أرضه لقيامه نورا على نور، وأمرنا على أمر، وإنسانا على إنسان، وآدما على آدم، رجل سلم لرجل، ما

قام فيه شركاء متشاكسون لقائمه قط، في قائم بقديم وقادم. فكان السلام وعلم السلام، وأرض السلام وسماء السلام.

ثم توالى عليه رحمت الله، وأنوار الله، نورا على نور، حتى ليغان على قلبه من أنوار الله، فيكشف قادم النور، عن قائم النور، لقديم النور، في نور قلبه، بنور إنسانه لعقله، لأنوار عنوانه، طبقا فوق طبق يرفع، وطبقا بعد طبق يوضع، حتى استدار الزمان به له فيه، على هيئته، كيوم خلق الله السماوات والأرض، بقديمه لقديمه، به له، رفيقا أعلى، فعرفه في داره، وقامه في قراره، وأشرقه بأنواره لأنواره، بنور قيومه لقائمه، لأنوار عنوانه في قائم ودائم إنسانه.

كان محمد بذلك كله، الإنسان، حقا وخلقا، وكان جيئة الحق صدقا، وكان سفور العنوان فعلا وأمرًا، من عرفه عرف الله، ومن قامه قام بالله، ومن أسلم له أسلم لله، ومن آمن به آمن بالله، ومن شاهده في معناه، شهد أنه لا إله إلا الله.

ومن عرج معه في مسراه، شهد الله أكبر، فذكر بالله، وأشهد الله، وأعلم الله، وخلص بالركب إلى الله، داعيا إلى الله، إماما للناس بالله، مأموما بقائم ودائم رسول الله.

لا يتناهى الله ورسوله عنده، ولا يتناهى الخلق منه له، بمشروع الحياة الأبدى، معززا منظورا من قائم الحياة الأزلي، ظاهرا على الدين كله، قائما بالدين كله، سفينة لركب الحياة من سفن الحياة لا عد ولا حصر لها، معلما بالدين كله، علما على الدين كله، إنسانا من إنسانية، وحقا من حقائق.

مالي والدينا.. (الدينا دار من لا دار له^{٥١}، أنا في الدينا عابر سبيل^{٥٢}، استظل بظل شجرة ثم مضى^{٥٣}). (عد نفسك من الموتى [تكن مؤمنا]^{٥٤}، عش في الدينا كأنك غريب أو عابر سبيل^{٥٥}). إنها مزرعة الآخرة لمن عرفها، وعرف كيف يكسب منها. {ولا تنس نصيبك من الدينا^{٥٦}}، {وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة^{٥٧}}. هذا ما جاء به رسول الله، برسالة الفطرة لله، بشهادة لا إله إلا الله، وشهادة محمد رسول الله.

اللهم يا من جعلت بالإسلام (الظاهر مرآة الباطن)^{٥٨}.. اللهم اكشف عنا غطاء الغفلة عن أنفسنا، واحم بفضلك ظلامها، حتى نشهد في مرآة قلوبنا ما له أعددتنا، وله خلقتنا...

لنصنع أنفسنا على عينك، بإرادتك في إرادتنا، ولنخلق أنفسنا بيدك بقدرتك في قدرتنا، ولنعد أنفسنا لمعرفتك بحكمتك لفطرتنا، ولنعدها للتعريف عنك برحمتك بصفائنا، فنكون بها كتبنا وقراءها، صحفا وأقلامها، موجودات ووجودها، ووجود وموجده، ظاهرا لباطن، وباطنا لظاهر.

في قائم حقك برسولك، ظلالة له نقوم، في مشهود حقك به، لمعاني عبدك بناء، أحدا لك إليه نسلم، وبه فيك نسلم، يوم به بك نعلم ونتعلم، نحن به فيه نسير في ركب الحياة، وباسمك واسمه نتناجى ونتكلم، ولأقطار الحياة نقطع، وحظنا منها نتسلم، ومن أحوال التوحيد به نسلم.

سيرا إليك في أنفسنا، منزلها أنت عندنا عن الإطلاق، وعن التقييد، فما كان التقييد إلا لنا لنعرف عنا، وما كان الإطلاق إلا لنا لنعرف عنك، بعق رقابنا من سجون ذواتنا، لتتحرر نفوسنا سبعا في السماوات والأرض، مترنمة بالحياة، بك نحيهاها، وبك نقومها، وبرسولك نشهدها، ونعلمها.

اللهم به فقوم أمورنا، وقوم جوارحنا، وقوم أحوالنا، وأنزل السكينة على قلوبنا، والسلام على أرضنا، وول أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا بما كسبنا، رداً لأعمالنا، ومن غضبتك فقنا، ومن عدك فعافنا، إليك نجار وإليك المصير.

وبك نشهد أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

أضواء على الطريق

قال سلفيرش عندما قدم استجواب في البرلمان الإنجليزي، لو أصبح قانونا لعمل على تقييد العلاج الروحي..

(ليست كل البرلمانات ولا كل الدكاتوريين، ولا كل الكنائس قادرة على إطفاء نور الحق.. لأنه من الله. إنه سوف يستمر ويجب أن يستمر. القوانين الطبيعية التي نجتهد في الكشف عنها، لا نقرر بقوانينكم. ولا يمكن أن يؤخر العلم بها قوانينكم التي هي من صنع البشر. ليس لنا علاقة بقوانينكم التي صنعها الناس بعقول قابلة للذل. إننا نعظ بقوانين الروح الأعظم وهي ليست قابلة للتغيير أو التبديل أو التحول. كانت دائما قادرة على كل شيء، وسوف تكون. لا يهم ما يقوله الناس عنا أو عن الحق الذي نحاول أن نقره.

كل الذين جاهدوا للإصلاح، كل من كان لهم مثل عليا، والذين سعوا لخدمة إخوانهم كان عليهم أن يتحملوا الاحتقار والسخرية والضحك، لأنهم كانوا في المقدمة ولأنهم سبقوهم قليلا في خط التطور. هؤلاء عندما انتقلوا لعالمنا، اعتبرتموهم أمثلة مُشرفة، في حين أنكم بدأتُم في صلب العباقة بين ظهرائكم. إن الحق أمامه مواقع كثيرة عليه أن يحارب فيها قبل أن يستقر.

لا تخافوا.. إن القوة التي جاءت بنا للوجود، القوة التي نادتنا لخدمتكم، القوة التي نجاهد لنظهرها في سرائركم، هي نفس القوة التي خلقت كل حياة. إنها لا يمكن أن تسقطكم طالما أنتم لا تسقطونها. سوف تستمر الأرض في دورانها حول محورها خلال الفضاء، وتستمر الشمس في إشراقها، وتبقى

النجوم في أفلاكها المرسومة. سوف يعلو وينخفض معه المحيط وسوف يستمر الربيع والصيف والخريف والشتاء في الظهور في متابعها المقدر، لأن القوة التي وراءها لانهاية ولا يمكن أن تفشل).

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ الصلاة الربية في الإنجيل: لوقا ١١: ٢
- ٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٣ حديث شريف: "إذا مات أحدكم؛ فقد قامت قيامته؛ فاعبدوا الله كأنكم ترونه، واستغفروه كل ساعة". أخرجه الديلمي في الفردوس، ورواه العسكري في الأمثال.
- ٤ حديث شريف: "بعثت أنا والساعة كهاتين"، (وفرق بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام) صحيح البخاري، ورواه أحمد ومسلم والترمذي.
- ٥ سورة الزخرف - ٦١
- ٦ إشارة للآية: "للدنونة أتيت أنا إلى هذا العالم" يوحنا (٩: ٣٩)
- ٧ استلهاما من آية الإنجيل "احملوا نيري عليكم، وتعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب." (مت ١١: ٢٩)
- ٨ استلهاما من آية الإنجيل: (إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لَأَقُولَ لَكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ.) (إنجيل يوحنا: ١٦: ١٢، ١٣)
- ٩ يتوافق مع: "وأما المعزي، الرُّوحُ الْقُدُسُّ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ." يوحنا ١٤: ٢٦
- ١٠ حديث شريف: "أَنَا أَوَّلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةِ قَالُوا: كَيْفَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَاتٍ، وَأُمَمَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ." صحيح مسلم.
- ١١ إشارة إلى معنى جاء في أحاديث شريفة أخرى: "إن عليا مني وأنا منه". رواه الترمذي والنسائي في السنن الكبرى. و"حسين مني وأنا منه". أخرجه الترمذي وابن ماجه، وأحمد باختلاف يسير. أيضا: في حق جليبيب لما استشهد بعد قتله سبعة من المشركين، فقال صلى الله عليه وسلم: هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه. رواه مسلم.
- ١٢ حديث شريف: "إن عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي"، أخرجه ابن حبان واللفظ له، والترمذي وأحمد باختلاف يسير.
- ١٣ إنجيل يوحنا: "أَلَسْتُ تَوْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الْآبِ وَالْآبِ فِي؟ الْكَلَامُ الَّذِي أَكَلِمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لَكِنَّ الْآبَ الْحَالَّ فِي هُوَ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ." (يو ١٤: ١٠).
- ١٤ إشارة لقول المسيح عليه السلام بعد القيامة أنه قال للمجدلية: "اذهي إلى إخواني وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يوحنا ١٧: ٢٠). وتلك كانت المرة الأولى التي يدعو فيها تلاميذه بكلمة أخوتي. قبل القيامة، كان يسوع يدعو تلاميذه "أحبائي"، "عبيدي"، أو "تلاميذي".

- ١٥ من الحديث الشريف: "أنا سيد ولد آدم ولا خفر وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا خفر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا خفر ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا خفر." صحيح ابن ماجه.
- ١٦ حديث شريف رواه ابن ماجه.
- ١٧ حديث شريف: "لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله." صحيح مسلم، وصحيح البخاري.
- ١٨ سورة طه - ١٠٨
- ١٩ من حديث شريف طويل: "إن الله يتجلى لهم يوم القيامة ثم يأتيهم في صورة غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه. ثم يأتيهم في الصورة التي رأوه فيها في أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا." صحيح البخاري.
- ٢٠ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢١ سورة آل عمران - ٥٥
- ٢٢ حديث شريف: "لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالديناء، لكع ابن لكع." سنن الترمذي.
- ٢٣ سورة مريم - ٧٥
- ٢٤ حديث شريف عن عائشة أم المؤمنين: "ليس أحد يحاسب إلا هلك قالت: قلت: يا رسول الله جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عز وجل: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَوْفَ يَحَسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا} قال: ذاك العرض يعرضون ومن نُوقِشَ الحِسابَ هلك." صحيح البخاري.
- ٢٥ مقولة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصها: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أخف عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر، كذا الأكبر {يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية}" أخرجه أحمد في (الزهد)
- ٢٦ سورة الانشقاق - ٦
- ٢٧ سورة البقرة - ١٨٦
- ٢٨ سورة مريم - ٩٣
- ٢٩ سورة آل عمران - ٦٤.
- ٣٠ سورة القيامة - ٢٢-٢٣
- ٣١ سورة الزمر - ٢٩
- ٣٢ سورة فصلت - ٥٣
- ٣٣ سورة الزخرف - ٦١
- ٣٤ سورة آل عمران - ١٤٠
- ٣٥ سورة الرحمن - ٢٩
- ٣٦ سورة الإسراء - ٥٨
- ٣٧ سورة الأعراف - ٩٦

- ٣٨ سورة النبأ - ٨
- ٣٩ سورة الإسراء - ٨١
- ٤٠ سورة يوسف - ١٠٨
- ٤١ سورة الأنبياء - ٣٤
- ٤٢ مقولة للخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز: "إنما خلقتم للأبد، ولكنكم تنقلون من دار إلى دار." أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
- ٤٣ سورة المجادلة - ٧
- ٤٤ سورة الأعلى - ٢
- ٤٥ سورة الذاريات - ٦
- ٤٦ سورة البقرة - ١١٥
- ٤٧ سورة الرعد - ٣٣
- ٤٨ سورة الشرح - ١
- ٤٩ سورة هود - ١١٩
- ٥٠ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٥١ حديث شريف: "الدنيا دارٌ مَنْ لا دارَ لَهُ ولها يَجْمَعُ مَنْ لا عقلَ لَهُ ومالٌ مَنْ لا مالَ لَهُ." أخرجه أحمد والبيهقي.
- ٥٢ استلهاما من الحديث الشريف، "كن في الدنيا كأنك غريب أو كعابر سبيل". أخرجه البخاري والترمذي وابن ماجه وأحمد.
- ٥٣ استلهاما من الحديث الشريف: "مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ ثم راح وتركها." أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد
- ٥٤ حديث شريف ذات صلة، رواه عبد الله بن عمر: "أخذ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببعضِ جسدي وقال: كُنْ في الدنيا كأنَّكَ غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعدَّ نفسَكَ في الموتى." جاء بهذا اللفظ عن ابن عدي". وأخرجه البخاري بلفظ: "أخذ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنكِبي - أو قال بمنكِبي - فقال: (كُنْ في الدنيا كأنَّكَ غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ)، قال: فكان ابنُ عمرَ يقولُ: إذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المساءَ وإذا أمسيتَ فلا تنتظرِ الصُّباحَ وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ".
- ٥٥ من الحديث أعلاه.
- ٥٦ سورة القصص - ٧٧
- ٥٧ سورة القصص - ٧٧
- ٥٨ عبارة متناغمة مع مقولة من خطبة للإمام عليّ - كرم الله وجهه: "...اعلم أنَّ لكلَّ ظاهر باطنًا على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه..." بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

(٥)

الإنسان العابد للإنسان المعبود لإنسان الحقيقة بإنسان الشهود أمر الله لأمر الله في ناموس الوجود الأمر الوسط لأمرين للدنو وللصعود

حديث الجمعة

٢ رجب ١٣٨٤ هـ - ٦ نوفمبر ١٩٦٤ م

إن الدين لواقع.. إنه واقع لا إله إلا الله.. وكتابه الله أكبر.. وعلمه رسول الله.. وآدمه محمد الله.. وإنسانه اسم الله.. وطريقه حق الله.. وإمامه كلمة الله.. وجنته روح الله..

جاء رسول الله للناس من الإنس والملك والجان بالبشرى فكانوا بشرا، كما جاءهم بالإنذار من إبلاسههم بشياطين قواهم، وكشف عن العلم بالوجود معلوم الإنسان أو الكائن عن نفسه، يوم يعلم أنه في الله، لا غائبا عنه، ولا محيطا به، ولا متعددا معه. هو في قيام به، قياما حقيقيا بأمره، وعبدًا لأعلى من رفيق، وربما راعيا لأدنى من صديق.

إذا كان كذلك، فما يكون موضع المناسك في دين الفطرة، ودين الواقع؟ ما يكون القيام والقعود؟ ما يكون الركوع والسجود؟ هل العبادة في القيام والقعود؟ أو الركوع والسجود؟ أم العبادة في القيام بالمعبود، في وحدانية العبد، مع المثل المنشود، الذي يمثل الأعلى، وهو الحق المعبود، لا سجد ولا قعود، ولكنه الواقع المشهود؟

فهل يقوم أمر الدين، بوثن يسجد لوثن، أو عفن يسجد لعفن، أو حيوان يسجد لحيوان؟ أين هو معنى الإنسان للإنسان؟ إن الأعلى في خدمة الأدنى في دوام، ما كان هناك دين وديان.. وما كان الأدنى في خدمة الأعلى إلا إذا كان هناك ملك للشيطان بسلطان من طغيان، فتحكم الأعلى في الأدنى

بالبهتان، استمتعا بالسلطان، وإذلالا لأهل الكفران، وقد فقدوا عن الحق معنى الاسم ومعنى العنوان، واهميه في مرید من شیطان.

يتلاقى هيكل الإنسان مع هيكل للإنسان، للتواصي بالحق للحرص على معنى الإنسان لهما، وكسب معنى الإنسان لاجتماعهما في وحدتهما. ولكن شبه الإنسان بالجسمان يرفض إلا أن يكون حيوانا يتابع حيوانا، وشيطانا يعبد شيطاناً، إيماناً وهمياً بالأوزار من الأبدان، بعيداً عن القلوب بالحياة وبالإحسان.

إن من يسجد بجسمانه لجسمان، واهما أنه يستقبل وجهها للرحمن، ظانا أنه يعرف الله، فهو ما عبد الله، وما عرف الله، ولكنه تجاهل الإله، في طواياه، وفي نواياه. فإن رأيت مثلاً أعلى للقلوب في كثرته من الجسد فسجدت بجسمانك لجسمانه، بوهم العبودية لوجه الله بقلبه لرحمائه، فأنت في واقع الأمر به لاحق، وأنت إن صدقت الإيمان بما هو فيه قائم، أدركت أنك بعين أمره به قائم، وسيتكشف لك يوماً أنك به قائم. فأنت بفعلك لمن هو فيك وفيه مبادل.

فإذا تطلب إلى الناس في دخيلة نفسك بهذا السجود المادي منك في الحقيقة؟ وماذا ترجو من الله أن يكون لك؟ إنك تطلب إليهم بدورك أن يتابعوك على فعلك، وأن يسجدوا لك يوماً أو في الحال على ما سجدت لتمثال، سجوداً بتمثال. فلا تخدع نفسك بهذا باسم الإسلام والإيمان. (كم من مصلٍ لم يزد بصلاته من الله إلا بعداً)¹.

أين هي القلوب تتألف؟ أين هي القلوب تحيا وتصغي وتألف؟ إنها عن الله ملتفتة، إنها لكلام الله غير صاغية باسم الإصغاء، ومنحرفة وملتوية باسم الاقتداء، نافرة من الله معها باسم الإيمان وباسم الولاء. ويوم قام قائم بالله داعياً إليه، ما دعا إلى ولاء لجسمانه، بل دعا إلى الولاء لرحمائه، قائماً على كل نفس بما كسبت، أقرب لكل نفس من جبل الوريد، بيته القلوب وعوالمه القوالب.

إذا كان هذا من حركات القوالب هو الإيمان! فكيف يكون الكفر! وإذا عرف هذا بمعاني الكفر، فكيف يكسب بعد ذلك الإيمان؟ وقد مسخ الإنسان على مكانته، من الطغيان، ومن الانحراف، ومن البعد عن الجادة، ومن البعد عن الحق، ومن البعد عن الله معه وعلى نفسه.

إن متابعة الطاغوت باسم اللاهوت، أمر لا ينتهي إلى الله، ولا ينتهي إلى الطاغوت. فالطاغوت لا بقاء له، إذ لا تجدد له، إنه مفني لظلاله غير مجدد لمثاله، مستأثر معتز بحاله، على ضلاله، حتى يهلك باجتثاث شجرته وانقضاء ثمرته، {فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}²، {كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض فما لها من قرار}³.

إذا كانت تعاليم الإسلام، وتعاليم الفطرة، تقول لك إن الله أقرب إليك من جبل الوريد، فكيف تسجد الله فيك لحيوان أمامك، ما رأيت فيه إلا معنى الحيوان؟ وما تكشف لك ولن يتكشف لك بمعنى الإنسان، إلا يوم يتكشف لك معنى الإنسان فيك. (المؤمن مرآة المؤمن)٤.

إن الذين يطوفون بالبيت حاجين، ويستقبلون البيت مصلين، نصباً لكلمات الله في بيت يذكر فيه اسمه بدين، لله مسلمين، وعلى ذكره في أنفسهم عاكفين، وعلى تطوير فطرتهم بالله عاملين لبدء الحياة لأبوابها طارقين، والطريق إليها سالكين، وفي معارجها إلى تمام بها متطورين، وقيوم قيام بمعناها له يسلمون وبإيمان به يقومون، إنما يقومون في منسك معبر على أن الإنسان رب للإنسان.. وأن الإنسان عبد للإنسان.. وأن الإنسان في خدمة الإنسان إيماناً بأيمان، أو في استهلاك وإهلاك له طغياناً بطغيان.

فإذا استقبلت البيت، فأنت تقوم في منسك، تهيئ وتُعبّد نفسك فيه لطلب القائم من وراء أسوار وجدران البيت، على ما يليق أن تفعل بجوارحك اتجاهها إلى من هو من وراء جدران قلبك فيك من المجهول عليك فيه وهو من تذكر في هذا البيت باسم الله، فأنت إنما تعني المعنى الحي لشاغل هذا البيت، المضي بالحياة على عالم ذاتك، فما عرفت الله بعد، فأنت إنما تطلبه بظاهر الغيب بك، بظاهر بيت لغيب له، لمعنى قلبك، في عالم ذاتك، لمعنى وجودك، حتى تتكشف الأغطية لك يوماً في دورة من دورات تواجدك الفطري.

إن الذين هم في البيت بدورهم في الفطرة، من أهل البيت يسجدون متنسكين اتجاهها إلى جدران البيت، محجوبين بها عن حوله ممن يطوفون بالبيت حاجين أو يصلون إليه مستقبلين، فيصلون ويسجدون بدورهم في منسك من وراء أسوار البيت، فهم أيضاً إنما يُعبّدون أنفسهم ويسجدون لما هو حول البيت، مما هو وراء جدران البيت، فهم يسجدون ويعبدون أنفسهم للناس، ولخدمة الناس، يوم يدركون لمناسكهم، فهم إنما يطلبون الحق بظاهر الغيب، بظاهر الخلق بظاهر الناس، (رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره)٥. {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}٦، وهذه هي صلاة القلب وجهه في خدمة القلب بجوارحه، وأبعاضه، وصفاته. فهم يبدأون مناسكهم من القلب قلوباً تتسع وتتسع في خدمة الجوارح. وهذا هو دين كلمات الله وعباده في خدمة خلق الله طلباً لمرضاته وانتشاراً بحقائقه وصفاته.

وما داموا فريقان أسوار البيت بينهما، فكلاهما يعبد نفسه لمجهول عليه، لا يقين له به، ولا واقع له عنده فهو يعبد نفسه للغيب عليه هو ظاهر وجود له، فإذا تساقطت الجدران بينهما أو شفت عما وراءهما لهما، أو نُفخ في الصور، فتكشفت الوجوه للوجوه، وعرف الناس الناس، عرفوا الغيب من وراءهم بإحاطته هم له وجوه لوجوه، بوصف العبد لأنانيتهم وبوصف الرب لوحدهم بغيرهم لعينهم،

فأدركوا قول الله لهم ولرسوله {وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم} ^٧، {يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً} ^٨، وأدركوا حكمة الرسول وهديه بقوله (سيد القوم خادمهم) ^٩، وقوله (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) ^{١٠}.. وأدركوا ما في قوله {إن الله وملائكته يصلون على النبي} ^{١١} بوصفه الله له أمة به، على وصفه النبي لهم أمة بهم، أو أنه المصلي بهم، قائماً على كل نفس، عليه معلما لهم عنهم به، وأدركوا مراد الله بقوله لرسوله، {... إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} ^{١٢}، وقوله {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً} ^{١٣}.

وكلا الفريقين ممن في البيت وممن حول البيت ما عرفوا الله لأنفسهم بعد على ما يليق بمعرفته، لأن الله ما زال من وراء ظهورهم بإحاطته، ولم يستقبلهم لهم فيهم بحيط طلعت له لمطلقة، أحدية وجودهم لقائم وحدانيتهم في تعدد صفاتهم أسماء له، فما شهدوا إلا بعيونهم لباطن قيامهم، وما شهدوا إلا وجوها لباطن جلود نوعهم، تقابلوا أشباحا من نور، أو أشباحا من طين، أو أشباحا من نار. فما اجتمعت قلوبهم أرواحا للأحد الواحد الصمد لعليتهم، لأنهم بفردوس أنفسهم، قياما بمن صلوا عليه، وصلى عليهم، عبدا وربا، وقد انقلب إليهم رحمة الله، فانقلبوا إليهم انقلابا إليه، مرحومين في أنفسهم، فأدركوا قوله تعالى {هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور} ^{١٤}، عرفوا ذلك لهم باطن أمرهم، لظاهرة في قوله {وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم} ^{١٥}، وقوله {يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً} ^{١٦}، فأدركوا حقيقة هدي الله لهم بقوله {وفي أنفسكم أفلا تبصرون} ^{١٧}، وقوله {... اتقوا الله وآمنوا برسوله} ^{١٨}، وقد أذن له أن يسفر بالحق {قل جاء الحق} ^{١٩}.

إن الله لا يعرف إلا في اجتماع القلوب، إن الله لا يعرف إلا في وحدانية القلوب مع القلوب لقائم وقيام أحديته، لا قوالب، لا وزر، فالكون كله لإنسان الله قالب {وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين} ^{٢٠}، والقلوب إذا ما تألفت وتعارفت، اتحدت ما تعددت، فلا ساجد ولا مسجود له، ولا قاعد ولا مقعود فيه، ولا قائم ولا قيوم عليه، ولكنه الواقع، ولكنه الحياة، ولكنه شهادة أنه لا إله إلا الله، وقيام محمد رسول الله، حق الله للأنا بوصف العبد الآدمي للواحد المطلق وللأحد اللانهائي، لكل من تحقق بالله آدميا وعبدا له، ظاهر اسمه، وكتاب علمه. هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} ^{٢١}، {ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد} ^{٢٢}.. جعله {كافة للناس} ^{٢٣}، {أول العابدين} ^{٢٤}، والحق منه للمتحققين.

كيف تنشُد حق الله لمعناك، وأنت تحقر قيام الله في معناك، ساجدا لأسوار ما عرفت ما وراءها، وما انقلبت لتكشف ما وراءك، وتزعم أن هذه هي المناسك السليمة، وأن هذه هي العبادة القويمة، وأن هذا هو التعبيد، وأن هذا هو التوحيد؟

إن الإنسان للإنسان قبلة معنوية لمنشود قيامه في أحدية الله، والإنسان للإنسان وطن لمنشود سلامه، تتوحد لبناته بكلمة الله. فكيف تسجد الأحدية لأبعاضها لأحدهما؟ وكيف تفتت الأحدية بذاتها بهما لمعنى الواحدية لصفاتها لصفاتها؟ إن من في البيت ومن حول البيت قيام واحد لكلمة لله واحدة بآدم واحد بإنسان واحد لاسم لله الواحد.

إن تعبيد النفس للمعبود، إنما هو تهيئتها لتكون للمعبود قياما ووجهها وبيتا وذكرها وسلاما، واسما وعلمها وإعلاما. والله المثل في السموات والأرض.

فكيف تكون له كذلك، وأنت تبدأ بالكفر بمعيتك لك، وقيامه بك.. تبدأ بالنكران لك بذلك.. تبدأ بالبهتان لأمره بك.. تبدأ بالنسيان لأمره بك.. تبدأ بالمخالفة لفطرته لفطرتك.. تبدأ بالمعاندة لصبغته لصبغتك...

لا تريد أن تغير ما بنفسك من ظلامها، وقد طلب إليك أن تغير ما بنفسك؟ وهل معنى أن تغير ما بنفسك إلى ما بنفس مختارك لمثالك للمثل الأعلى لمعبودك، ومحبوبك، القيام في مسرحية قوالب؟

هل تعبيد نفسك له، ليكونك فتكونه فيه، ظلا له بمعانيه ومغانيه، في أن تنخي أمامه، أو تسجد أمام ظاهر قيامه أو قعدته أو نصبه، دون أن يكون لك نظر إلى ما في قلبه، ليكون قوام ما في قلبك، فتلقاه وتعرفه وتنظره من داخلك في داخلك بقلبك وفي قلبك؟

إن عرفته قالبا لقالب احتجب بقلبه على قلبك وعاملك بحقي فتنته. وإن عرفته قلبا لقلب احتجب عن قلبك بقالبه، وعاملك بنور هدايته.

ما هذا الفهم العقيم! ما هذا العنت المليم! ما هذا الجهل! ما هذا الظلام! ما هذا الفجور! ما هذا الانحراف بالأمر! إنك إنما تعبد نفسك للقائم على نفسك، للأقرب إليك من حبل الوريد يوم ترى وجه المعبود عندك في رائد لك محال منك بامثال أمره إليك، في الاستماع لجهره، بالإنصات لسره، في ضميرك وسرك، في الشعور بالحب والتحاب، في الرضاء عما يريد بك، وعما يريد لك، وعما يريد منك.

اكشف عن نفسك لك، ألا تريد أن تسجد اليوم ليسجد لك في غد؟ فأين هي لا إله إلا الله؟ وأين هو الحق؟ وأين هو الواقع بمعنى الحق؟ إن كل ما هو قائم في الوجود، ما قام فيه، إلا لأن الوجود أرادته كذلك، وما كان الوجود في ذلك وكذلك، إلا الله الذي تجادل فيه، ولا وعي لك عنه، ولا فهم لك فيه، ولا صدق منك معه، ولا علم لك به.

ما كانت المناسك في أي ملة، وفي أي دين، ومع أي نبي أو إمام، أو حكيم، حاملة لمعاني التعبد للنفس لله، ولكنها كانت إشارة رمزية لمعان لما يقوم فيه الناس، بعضهم لبعض، بحق أو بباطل، بأمر مشكور، أو بأمر مجحود، ووسيلة عملية للتذكير بالعلاقة بين الذاكر والمذكور. إنها لون من المعاملة، وجزء من المعاملة التي هي أساس الدين (الصلاة عادة، والصوم جلادة، والدين المعاملة)^{٢٥}.

إن المعاملة القائمة بين الناس مع بعضهم البعض، إنما تعبر عن حقائق قائمة في الوجود، وظاهرة للشهود، إذا لحق لطيف الله الأبصار فأبصرت، أبصرت أن ما تشهد عين ما تتواجد، فانعكست البصائر في البصيرة فيما تشهد، وانعكست البصيرة في البصائر فيما تقوم، فقام الإنسان بين قلبه وقلبه، أزواجاً خلق، وأزواجاً بدأ، وأزواجاً ينتهي، وأزواجاً يتحقق، وأزواجاً يتواجد، ويتخلق.

يتخلق بمحصلة ما تعامل به مع الناس، في معاملة قديمه لقائمه، وتواجد قادمه بقائمه، وبعث الأقدم له في الأحداث منه في دورة الحياة له، {ذرية [طيبة] بعضها من بعض} ^{٢٦}، {وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم} ^{٢٧}، (من صلح أصلحنا له من صلح من آبائه وأزواجه وذرياته) ^{٢٨}.

يكون للإنسان ذلك، يوم يعرف كيف هو. بين القلب والقلب يتوحد، أحدية إنسان، وقيامة عنوان، فيتكاثر روحاً، بذكر الله يتجدد، بظلال لها من نور المذكر نتعدد. ثم هو يمشي بها في أشباح لها من الناس، لمعيته لهم ظلالاً، للذكر يتجمع، وعلى أصله لمعناه يتوحد. فيقوم اسماً وعلماً على الواحد الأحد، في فردوس نفسه لذاته ومعناه، كلمة لله، الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن به له فيه كفواً أحد.

فإذا قام محمداً رسول الله، وشهد به الله أكبر، علم أنه على ما هو، لا نهاية له، سيرا فيمن لا نهاية له، وأنه على ما هو متعدد كواثر متكاثر بمعناه لمعناه لمعاني خلوده لوجوده بتواجده يختفي بدؤه حتى لا بدء له يعرف، وتتخلق به آزاله لحقائقه حتى لا أزل له يدرك، وتواجد منه آباده لخلقه حتى لا أبد له.

فيعرف أن الله، وإن كان قوام قيامه بلا إله إلا الله، وحقيقة علمه باسمه رسول الله، لوجوده وقيامه ومعناه، فما زال هو فيه، هو الحق منه، وموصوف العبد له.

بذلك كان لا نهائي الله عنده، هو ما قبله مما لا يعلم، وهو ما بعده مما لا يحيط ولا يدرك، ولا يعلم. أحاط بذلك من أحاط به، بما أحاط به من العلم عنه، بقيامه بمجهوله له، بمجهول أنه الله في القيام عليه. (ما عرفني غير ربي) ^{٢٩}، فما عرفني بعد، به كان محيطاً بكاتب قيامه لمعاني أنه وجهها وحقا وعبداً لمن دعاه بمولاه. {قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون} ^{٣٠}، {هل تعلم له سمياً} ^{٣١}.

إن العبد والمعبود، إنما هو هو في اسمه ومعناه يوم هو في قيامه (اللا هو)، يوم تتابع حكمته عاطفته، فيسجد العقل للقلب، بيتاً للرب، ويوم تتابع عاطفته حكمته وإدراكه ووعيه، فيسجد القلب للرأس

والعقل معنى ووصفا للرب، ثم يسمو بعقله، ويرتقي بحسه وعاطفته وقلبه، فيتوحدا لا فرق بينهما للأعلى لأحديتهما عليهما روحا وحياة لهما فيتواجدان، لربهما، وأمرهما، فلا عقل ولا قلب، ولا قلب ولا عقل، ولا قلب ولا قلب، ولا قلب ولا قلب، ولا مادة بكثيف، ولا فناء إلى معاني اللطيف، ولكنه الحق والمعنى، ولكنه القيام الإنساني الذي يعنى، ولكنه اسم الله وكفى، وعبادا شرفوا بما اصطفى، أو كرموا بما وفى.

هم في موصوف صفات أحديتهم بمعانيم بين آب، إلى غيب بجمعه من خلق أو آب إلى الشهادة من الغيب بجمع من حقائق، أو بين أب في شهادة أو أب في الغيب، هم بين موجود وما أوجد، في قيام بوالد وما ولد، في سلام وإسلام، سلام الأب لبنيه، وإسلام الابن لوالديه، في لا إله إلا الله، في واقع الفطرة، في واقع الحياة. {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ^{٣٢}، فمن يكون من هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ من يكون!! وأنفسهم ما تكون؟

{وأنت حل بهذا البلد، ووالد وما ولد} ^{٣٣}.

أنت البلد لعالمك، لدارك مظهر، أنت الوالد، أنت الولد منك لك جوهر.. أنت الإنسان قبل الوالد، وأنت العنوان بعد الولد.. أنت الحق، ممن يسمونه ولا يعرفونه.. أنت تعرفه وأنت تقومه وتشرفه.

أنت كلمة الله.. أنت روح قدس الله.. أنت قائم الله الحي، أنت قيوم الله القائم على كل نفس آمنت بك وبالله معك.. أنت اسم الله وعلمه لعالمه بك.. أنت كتاب الله لقارئه، وجماع كله لعاشقه.

أنت الدين كله، يوم أظهرك ربك على الدين كله، ظاهرا من ربه بالدين كله، في الله ذي المعارج، في الله أكبر، في اللانهائي باللانهائي لمعناه، للانهائي معنك، في لانهائي مرتقاك.

فكيف يكون الرسول منك برضائه، وأنت لا ترتضي أن تكون منه برضائك، وتصمم على أن يكون غيرك، فتسجد لغيرك، بوهم الطلب لمعناه؟ وهو ما سجد لمولاه على ما تسجد، فما كان سجوده لمولاه، إلا طاعته على ما أمر {استقم كما أمرت} ^{٣٤}، {قل الله، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون} ^{٣٥}، {وقل جاء الحق، وزهق الباطل} ^{٣٦} {فلنولينك قبلة ترضاها} ^{٣٧}، فأشهر الأمر بقوله (القلب بيت الرب) ^{٣٨}. قل بعثت بالحق، فلا خلق ولا باطل لي، لأني خرجت عن معدومي إلى قائم قیومي، فلن أعدم بعد اليوم وقد توفيت نفسي، ولن أحرم منه قياما في حاضر حضرته بإنسانه بعد هذا القيام، وقد بُعثت بحقي أنا في مؤمني القوم، وأعطيت الكوثر لحقي نفسي بدائم بيتي بعترتي مني ومن المؤمنين بالله معي، لا إله إلا هو إليه المصير. (إذا كنت بين يديه علمني كلاما أخاطبه به) ^{٣٩}، (إذا كانت

القيامة انقطع كل نسب وحسب وسبب وصهر إلا نسي وحسي وسبي وصهري) ^{٤٠}، (أنا هو الحق والطريق والقيامة والحياة) ^{٤١}. (أنا هو روح القدس) ^{٤٢}.

بهذا جاء دين الإسلام أو دين الفطرة، أو دين القيام، أو دين القيمة، أو دين الوجود على ما هو الوجود، أو دين الوجود بكل مشهود، وبذلك زُحِجَ الإنباء عن مكانته من الأولوية إلى المرتبة التالية للعبودية (علماء أمتي كأنبيا بني إسرائيل) ^{٤٣} لقيام الحق في المعينة والشهود، في معنى الحياة والوجود، لمن يخرج من العدم إلى الحياة، مستقبلاً نور الحياة، ممن جعل الله له نوراً يمشي به في الناس، ليكونوا بمعناه ظلالاً للحق، بقيوم معناه لقائم معانيهم، ذكراً محدثاً لذكر قديم.

وما كان عصر الرسول في هذا كله بدعاً من الخلق، متميزاً فيه عن سائر عصور الأنبياء والأولياء والحكماء والعباد.. ولكنه كان مثلاً إنسانياً للاحقيه من بشرية الأرض ليكونوا في متابعة له، ولسابقيه على ظهوره، قياماً به، لمناصرتهم له فيه واجتماعاً عليه به استكمالاً لصفات الكمال الإنساني لهم وذلك في دائرة رسالته للأبيض والأحمر بأزمانها إلى أزل، وعوالمها وأكوانها في جميع أوانها إلى أبد، حقاً من حقائق وعبداء من عباد، وإنساناً راشداً من إنسانية الرشاد.

على هذا قام الإسلام، ورضيه الله ديناً لسائر الأنام من كل الأمم وفي كل مكان، يتجدد ويقوم، كلما أسلم مسلم، على ما رسم دين الإسلام بالوعي الفطري والكشف الروحي، وكلما تجددت معالم الإسلام في معلوم قائم به من إنسان، لا عوج له.

أما أن يزعم القائلون باسم الإسلام أنهم المسلمون، وهم لكلم الله بالإسلام محرفون، وعن هدي الله ملتون، فهذا هو البهتان المبين وطريق الضالين المضلين. والله بينهم برسوله بعباد الرحمن لا ينقطعون، والله معهم وفي أنفسهم أقرب إليهم من جبل الوريد وما يدركون، وهم له معهم مباحدون، وعليه منكرون، وله جاحدون، وهو من ورائهم بإحاطته قائم قيامهم، وقيوم قائمهم، بلا إله إلا الله، عماد الدين.

إنهم يوم يشهدونها ليشهدوهم بها، فيرونهم بلا إله إلا الله كافرين فهم الخاسرون. أما المؤمنون، فيوم تكشف عنهم أغطيهم، بكشفها يسعدون، إذ ينفخ في أسوار مادتهم من قيامهم، فيجتمع قيوم إرادة الحق بهم مصطفىين، على روحه فيهم بقديمه لقيامهم وقيومه لجمعهم، ليكونوا أقباس نوره، بأرواح قيامهم لمعاني الحياة فيهم مغفورين، وعن أوزار مادتهم متخلين فيتحد قديمهم بمعاني الأقدم لهم، بجديدهم وقادهم، قياماً بوحدانية الله لقائمهم، على ما عرفها واجتمعها مثلهم الأعلى لله رسولا له بناموس الله

في وجوده بقيام القديم بالقادم في القائم، ويوم يستقبلها حقاً له الجديد القادم، من القديم المتكئ في القائم المتحقق.

فكان في هذا ساعة الإنسان بالحق والرضا وتحقيق الاصطفاء. وفيها خلاصه من ساعته برد الأعمال بالجزاء وفيها تعاسته. وبذلك قامت أقانيم الإسلام من الآب للقديم والآب للقائم والابن الولود للقادم في أحدية الوجدانية للإنسان، مثلاً وقامها وعنونها الأمر الوسط من حاضر الإنسان، بوصف الحق المبعوث، في إناء الخلق الزاهق، لحقي العبد الخالد {علمت نفس ما قدمت وأخرت}.

هذه هي لا إله إلا الله، وهذا هو الإسلام، فلا تزعموا لأنفسكم من وضع أو هامكم، أموراً تتابعونها بوهم الاستقامة، وأنتم في مسلكها في طريق الندامة. فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولو شاء الله ما فعلوه ولكنها فتنته، للذين يزعمون الإيمان بهديه ورسالته.

أشهد أنه لا إله إلا الله، أشهده فيمن صلح من الناس الحق من الله ومن رسول الله، وفيمن لم يصلح بعد من الناس، الله عليهم حفيظ، آدم الخلق في معنى أديمه وخلقه مقاما بحكمته، وبألوانه لأثوابه، ودثره لصفاته، بكوثره لقيامه، في غفلة عن أحديته في واحدته، بكتابه لعلمه، وبتعاليمه لطريقه إلى غايته، من حقي معناه بموقوت خلقيته، لمواصلة رسالته، وبيان حقيقته (لحمي مني وإن تنت والعرق مني وإن مال) ^{٤٥}، (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) ^{٤٦}، (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) ^{٤٧}.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله

أسأل الله أن يلهم قلوبنا الإصغاء، وأن يوفق نفوسنا لتلبية النداء، وأن ينير عقولنا لاستقبال العطاء، وأن يُقوِّم جوارحنا للاستقامة على أمره إلينا، حتى لا نفرط في أمره بنا لنا.

أسأل الله أن يؤلف بين قلوبنا، حتى نتوحد، وحتى ندرك الواحدية، وحتى نحقق الأحدية، وحتى نتحرك من أرض البلاء، ونزحزح إلى أراضى العطاء.

أسأل الله أن يلهمنا التوفيق، وأن يمن علينا بالتحقيق، وأن يسترنا عنا بأنفسنا مفرطين، حتى لا يطبعنا بطابع المبلسين فنكون من الطاغين.

نسأل الله راجين، وإليه مفتقرين، وعوالم أنفسنا له رادين، ولها له معبدان، ولتشریفه بلطيفه طالبين، حتى نكون أسماءاً وأعلاماً للمعلوم، ربا للعالمين، ببسم الله الرحمن الرحيم، في قائم، وقيام خاتم وطابع وفطرة وصبغة المرسلين، والأئمة الهادين، والعلماء العاملين، والأولياء المكلفين، وعباد الرحمن المسخرين لخدمة العالمين.

هو كتاب وإمام النبيين، وقيوم وقيام العابدين، ونور وروح المحققين، العابد لمعبوده في العابدين، والقائم بقيومه في القائمين، الراكع الساجد في الساجدين، وهو المسجود له في العالمين، وهو ذو القعدة في العارفين، وهو ذو الحجة للواصلين، وهو الذي ينتهي إليه أمر كل دين بالإحسان من المتدينين.

إنه وجه الغيب، وخليفة الشهادة للمؤمنين، وقيام الحي القيوم للأحياء العارجين، يقوم ويتقلب في الساجدين، ويُنصَّب قبة للطائفين، ويبيتا للعاكفين، وما الساجد في السجود عنده، إلا العارفون للأمر فيهم بالأمر فيه، وبالحق فيهم للحق فيه، وبالحياة فيهم للحياة فيه، فهم متابعيه إلى لانهائي معارجه، وإلى لانهائي معانيه.

هذا هو الإسلام دين الفطرة، فقيم تكون النبوة بعد إنسان هذا العلم، وبعد تعاريف وهدى وتعاليم جامع الكلم؟ إنه رسول الله الذي يبقى معكم إلى يوم القيامة على ما عَرَفَ كلمة إعلامه ومقدمة قيامه، عيسى بن مريم إنسان الرجاء لنفسه ثنوى كلمة الله من الإنسان المعبود العابد لربه، القائم بغيوب الله شهادة بها جماع كلماته وحضرة ذاته. فكان عيسى عليه السلام عَلم الرجاء، وعلم الأمل، ومقدمة القيام لتمام قيامه بآدم سلامه، الذي عرف من ربه فعلم، وتلقى من ربه فسلم، {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} ^{٥٨} يوم يبعثه ظاهرا بمقام كلمة الله لباطن لقائم لقيوم روح قدس الله، مصداقا لما سبق أن بشر به سبق قيامه، {إني متوفيك ورافعك إلي} ^{٥٩}، وما بشر به لأناه {ولسوف يعطيك ربك فترضى} ^{٥٠}، رافع الرتب صلى الله عليه وسلم.

هذا هو الإسلام، وهذا هو الدين، فلا تشوهوا هذا الدين، ولا تشوهوا هذا الإسلام بأمور بعيدة عن الإسلام، وبعيدة عن هذا الدين، بوهم إحساسكم أنكم موجهون، وأنكم لا تقدرون على مخالفة ما هو بكم قائم، والله يقول غيروا ما هو بكم قائم، {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} ^{٥١}، {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلبوا تسليما} ^{٥٢}.

ليس ما فيك مما هو بك قائم، كله من الحق، (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم) ^{٥٣}، فاعرف الشيطان فيك، قبل أن تعرف الله لك. إن الشيطان فيك، إنما هو قيوم قيامك، في قيامك بقلبك.

إن معنى الشيطان لا يستطيع أن يدخل إلى قلبك، إلا إذا أذنت أنت له، وقبلت أن يكون معنى، للرب لك، ولكن هذا المعنى للشيطان، دون إرادتك، لا يستطيع أن يتقدم إلى قلبك قيد أنملة، فلا تظن أنك مقهور على أمرك، لا، {إن كيد الشيطان كان ضعيفا} ^{٥٤}، {وما كان لي عليكم من سلطان،

إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم}٥٥، {إني أخاف الله رب العالمين}٥٦، ذلك يوم تحاسبك نفسك، {فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم}٥٧.

الله أقرب إليك من حبل الوريد ومعك أينما كنت. وما الشيطان الرجيم المستعاذ بالله منه، إلا أنت، فلا تجعله معنىً بعيداً عن قيامك. أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، {ولو نشاء لمسخناهم على مكائهم}٥٨. {.. فإذا هم مبلسون}٥٩. إنه قيامك، وإنه معانيك، فإن أردت أن تغير فغير بإرادتك وعقلك ما بك من إرادة لما تطلب لجسمائك إلى معقول لك فيما تعقل بفطرتك على ما بشرت وإليه هديت، والله معينك يوم تستعينه...

أما أنك تصف نفسك بالكمال، وتراك في الاستقامة، ثم تقول الفقير إليه تعالى ثم تطلب كمالاً أو استكمالاً، فأين هو الافتقار إليه تعالى، ما دمت تراك مستقيماً؟ وأين هو الاعتزاز به والرجوع إليه، ما دمت تراك به عزيزاً؟ إن الافتقار إلى الله والاعتزاز به أمر لا ينقضي شأنه، إن ذقت الافتقار إلى الله، أو ذقت سلام ورحمة الاعتزاز به. إن في الافتقار إلى الله سعادة لا تقدر، وفي الاعتزاز به سلام لا يضطرب.

وهو أمر خطير، لا تستطيع لغة الكلام أن تعبر عنه، ومقاييس الأمور والأشياء ليس فيها ما يستطيع أن يقدره أو يعبره. إن الإنسان اتسع لله وهو في طريقه إلى الله، اتسع لله وهو إلى الله بالله من الله في الله، في اللانهائي الذي لم تتسع له السماوات والأرض. فكيف يمكن تقدير الإنسان للإنسان، أو تقدير الإنسان لنفسه، يوم يصبح إنساناً، أو يوم يعقد العزم على أن يكون إنساناً؟ فليس الإنسان هو موهوم قيامه بدثاره من حاضره، بهيكلة من مضغة القلب بأركان الجسد.

إن طلب الإنسان ليكون إنساناً إنما هو أمر خطير، إن فيه الحقيقة، إنه القدرة.. إنه العزة.. إنه العلم.. إنه المعرفة.. إنه الكتاب.. إنه الحياة.. إنه الدين.. إنه الوجود.. إنه الحق.. إنه الطريق.

تقبلوا منا ما نقول، يتقبل الله منكم ما تفعلون، نحن لا نستطيع أن نفعلكم، ولكنا نستطيع أن نقول لكم، وأنتم تستطيعون أن تفعلوا وتفعلوا، فتقولوا ففعلوا. إن الله لا ينظر إلى أقوالكم، ولكنه ناظر إلى قلوبكم، وما يصدر من قلوبكم من عمل نتيجة إدراككم، واستقامة طواياكم، وصفاء نواياكم، فإذا صدق عملكم قام أثره محسوساً لكم في قيامكم فازددتم صدقاً ويقيناً واستقامة وكسباً وعملاً.

نسأل الله أن يولي أمورنا خيارنا، وأن لا يولي أمورنا شرارنا بما كسبنا.

نسأل الله أن يأخذ بنواصينا إلى الخير.

نسأل الله أن ينزل سكينته على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا.

نسأل الله أن يدفع عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، وما هو به أعلم.
نسأل الله أن يجعلنا ممن قبل برحمته، وبجوده وبكرمه، وألا يجعلنا ممن عاملهم بعدله، وردّ عليهم أعمالهم
بجزائه.

لا إله إلا هو إليه المصير.

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أضواء على الطريق

(إنسان اليوم غيره إنسان الأمس، وإنسان الغد غيره إنسان اليوم). (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ حديث شريف ذات صلة أخرجه الطبراني في الجامع الصغير للسيوطي بنص: "من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً". كما أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان".
- ٢ سورة الرعد - ١٧
- ٣ سورة إبراهيم - ٢٦
- ٤ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يُكفّ عليه ضيعةً، ويحوطه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٥ حديث شريف: "رُبَّ أشعثٍ أغبرٍ ذي طمرين، مُصَفَّحٍ عن أبوابِ النَّاسِ، لو أقسمَ على الله لأبره". أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه.
- ٦ سورة النحل - ١٢٨
- ٧ سورة التوبة - ١٠٣
- ٨ سورة الأحزاب - ٥٦
- ٩ حديث شريف. أخرجه أبو القاسم الشهرزوري في ((الأمالي)) كما في ((سلسلة الأحاديث الضعيفة)) للألباني.
- ١٠ حديث شريف: "ألا كلِّم راع وكلِّم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلِّم راع وكلِّم مسؤول عن رعيته". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ١١ سورة الأحزاب - ٥٦
- ١٢ سورة النحل - ١٢٨
- ١٣ سورة الكهف - ٢٨
- ١٤ سورة الأحزاب - ٤٣

سورة التوبة - ١٠٣	١٥
سورة الأحزاب - ٥٦	١٦
سورة الذاريات - ٢١	١٧
سورة الحديد - ٢٨	١٨
سورة سبأ - ٤٩	١٩
سورة آل عمران - ١٣٣	٢٠
سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩	٢١
سورة الأنبياء - ٣٤	٢٢
سورة سبأ - ٢٨	٢٣
سورة الزخرف - ٨١	٢٤
من مقولة للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "الصلاة عادة، والصوم جلادة، ومعاملة الناس هي العبادة."	٢٥
سورة آل عمران - ٣٤	٢٦
سورة النساء - ٩	٢٧
استلهاما من {جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ}. سورة الرعد - ٢٣. {وَرَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}. سورة غافر - ٨	٢٨
حديث شريف ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".	٢٩
سورة الأنعام - ٩١	٣٠
سورة مريم - ٦٥	٣١
سورة الأحزاب - ٦	٣٢
سورة البلد - ٢، ٣	٣٣
سورة الشورى - ١٥	٣٤
سورة الأنعام - ٩١	٣٥
سورة الإسراء - ٨١	٣٦
سورة البقرة - ١٤٤	٣٧
عبارة دارجة عند المتصوفة يذكرونها كحديث قدسي يتناغم مع الحديث القدسي (لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) الذي أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد.	٣٨
عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.	٣٩

- ٤٠ حديث شريف: "كُلُّ نَسَبٍ وَصِهْرٍ يَنْقُطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا نَسَبِي وَصِهْرِي". رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي، ورواه أحمد في مسنده، كما جاء أيضا بلفظ: "كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي". أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)).
- ٤١ "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي». (يو ١٤: ٦). أيضا: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» (يو ١١: ٢٥)
- ٤٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٤٣ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر". أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". أخرجه أبو داود والحاكم.
- ٤٤ سورة الانفطار - ٥
- ٤٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٤٦ حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي: "ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمر الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته".
- ٤٧ حديث شريف. أخرجه الترمذي في صحيحه، والدارمي
- ٤٨ سورة الإسراء - ٧٩
- ٤٩ سورة آل عمران - ٥٥
- ٥٠ سورة الضحى - ٥
- ٥١ سورة الرعد - ١١
- ٥٢ سورة النساء - ٦٥
- ٥٣ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم". أخرجه مسلم والبخاري. وكذلك: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم". أخرجه أحمد بلفظه، والترمذي والدارمي. باختلاف يسير.
- ٥٤ سورة النساء-٧٦
- ٥٥ سورة إبراهيم - ٢٢
- ٥٦ سورة الحشر - ١٦
- ٥٧ سورة النحل - ٩٨
- ٥٨ سورة يس - ٦٧
- ٥٩ سورة الأنعام - ٤٤

(٦)

التواجد بالحياة في الحياة بالدخول في قيوم إنسان الحق، بقائم كلمته بإنسان الخلق علم إنسان الله لجماع العبد والرب للإنسان الأعلى في علميته على الوجود المطلق اللانهائي

حديث الجمعة

١٦ رجب ١٣٨٤ هـ - ٢٦ نوفمبر ١٩٦٤ م

تصحیح التاريخ الهجري: ٢٢ رجب ١٣٨٤ هـ

لا إله إلا الله، شعارنا.. لا إله إلا الله، حقيقتنا.. لا إله إلا الله، قيومنا في قيامنا بخلقيتنا لحقيتنا. بشهادتنا بنا، أنه لا إله إلا الله، نأخذ كتابنا بأيماننا، ونقرأه لعالمنا، ونقومه لعلنا، ونعتلي به المنابر، خطاب الحق منا بنا إلينا، لبشرى صلاحنا وسعادتنا، في إدراكنا لوجودنا، في وجوده، بموجودنا، في موجوده، بشهودنا لنا، بمشهوده بنا، في شهوده منا، شهودا لنا، فينا بنا، فطرة بدايتنا، لكمال نهايتنا، في استقامة قيامنا، لقيومنا بنا، في قيامتنا.

محمد رسول الله، طريقنا لكفائتنا، وقيومنا لقيامنا بسعادتنا في قيامتنا به، به نشهدنا الله أكبر وجوها له، شهداء على الناس، الرسول علينا ولنا الشهيد، والناس لنا بنا نفوسنا بالحق للذكر الجديد، والفيض المديد.

حول لا إله إلا الله، تدور عقولنا، وتطوف نفوسنا، وتستضيء منها بها لها هياكلنا، ونقدس بها عندنا معانينا، وتتجدد بها لنا فينا مبانينا، وتنطلق بها في الواسع العليم لطائفنا، ساجدةً بها وراء حقائقنا، لمراقينا.

كيف لا؟ ونحن متابعون لقدوة الفطرة، وإنسان الله، وعبد الله، وحق الله، الرجل الرشيد، محل الرأي السديد، العقل الكلي لمرتضيه، والنفس الكلي لمن دخل فيه، والمخلص لمن وفى معه بعهده،

والمُسْعِدُ لمن دخل في وعده، والمعلم لمن حَصَلَ من رشدِه، والمُحْيِي لمن تحقَّق في حقِّه، والمبْقِي لمن دخل في ساحة خلقه، كسبا لمعناه لمعاني عبده، وسعيا فيه إليه لقائم حقِّه، لقيوم ربه، مفتقرا لإلهه في عظمة غيبه، قائما بإلهه في رحمة قربِه، وجها لوجه لمن هو بإحاطته قائم على كل نفس من خلقه، هو الشاهد والمشهود في كل وجود، به التواجد لمن وجد، وإليه المنقلب لمن فيه تقلب، فبه سَعِدَ.

فالإنسان المتواجد خلف من تواجد فوجد، يرى بعين الحق من خلال إنسانه في الخلق، بقائم الحق، ما تواجد من ورائه إلى أزل، في شهوده لإمامه إلى أبد، في مرآته بما يشهد، كلما تواجد فشهد، شهد وجه من هو من خلفه لأطواره بأزله، أمامه لعينه لوجهه لأبده، قياما بالقائم على كل نفس بما كسبت، الأقرب إليها من حبل الوريد، بقيامها به وجه إحاطته.

الحاقة ما الحاقة.. كسبت نفس ما شهدت، وكسبت ما به قامت، وكسبت ما من ورائها أدركت في شهودها لمن أمامها علمت.. كسبت ما عملت، {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)^٢. (ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره بالإنسان)^٣، وما ظهر الله لشيء مثل ظهوره للإنسان، (كن كيف شئت فإني كيفما تكون أكون)^٤، {وما تشاؤون إلا أن يشاء الله}^٥.

الله عند موحده، بإدراك وكشف وحدانيته، هو مصدر الإرادة لكائنه في كل كائن، ومصدر المشيئة لشيئه في كل شيء، تناسقت به الإرادات المطلقة للكائنات، والمشيئة المطلقة للأشياء، باجتماعها فيه في اجتماعها في إنسانه.

فإذا ما دخلت الكائنات والأشياء في إنسان الله، ظهرت متناسقة، لا تعارض، ولا اختلاف، بين عناوين الرحمة وعناوين الجبروت، وأجهزة البلاء وأجهزة العطاء، أو بين أحواض الوهب ومعايير الجزاء والكسب، أو بين ساحة الرجاء وقبلة الدعاء، أو بين سكينه الافتقار وقلق الازورار. فكل الأمور في الله متناسقة، تناسقت في إنسان الله، فظهر الإنسان الكلي الوجود، جمال وجه المطلق، وجلال طلعتة، وإحاطة سعته، وانتظام فعله. كما ظهر الإنسان بعزلته عن ربه، وإنسان حق، بكامل عجزه، أمام ظهور الإنسان الكامل، بكامل قدرته، {قدَّرْ فهدى}^٦، {يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد}^٧. إنما هو الإنسان للإنسان، والإنسان مع الإنسان، في الحق الجامع للإنسان بالإنسان.

ظهر الله، وهو الظاهر والباطن، بالإنسان. وبذلك ظهر الغيب للإنسان، في الإنسان، بالإنسان، وقد كُشف عنه غطاؤه فعرفه اسم الله، وكلمة الله بالوجود للوجود عند الوجود، وغاب الإنسان في سعته عن الإدراك عند الإنسان لدوام قيامه لموصوف ومعنى الغيب لله، فكان الوجود ظاهر الموجد له، وكان الموجد له في حقيقته، وجودا ظاهرا إنما هو وجود لباطن، موجد له، فكان كل وجود ظاهر موجد، وكل موجد إنما هو في موجوده وجود، في الوجود المطلق اللانهائي لله أو للحقيقة، الذي هو باطن آحاده بإنسانية الرشاد أو الحقائق.

بلا إله إلا الله، صارت الأشياء بتطورها كائنات.. وبلا إله إلا الله، صارت الكائنات في مرتقاها معنويات.. وبلا إله إلا الله، تجسدت المعنويات بلطائفها روحانيات.. وبلا إله إلا الله، امتزجت الروحانيات، إلى موجود حقائق، في قائم من آيات، جمعت فيها، بوحدانيتها، لحقي أحديتها، ما أبرزت، فكانت لله تمام كلمات لقيوم حضرات، فتواجدت من فعلها الكلمات للبيان، كائنات، وتجمعت الكائنات موجودات، وتجلت الموجودات بالأشياء، وتعارفت الأشياء بأعلامها بيوتا، وظاهر حضرات، بها تواجد خلقي الإنسان، من حقي الإنسان، اسما لله وعلمها عليه في بيوت للحق، بالحق رُفعت، وللبيان والإحسان بالحق وضعت.

فلما دب بقدميه على الأرض الرجل الرشيد، مرة ومرة، كلما بدأ من انتهاء، لانتها من بدء، ليخضع لله معه، في نفسه، نفس الرجل العنيد، لقي العون العتيد، والفيض المديد، بجنود لم تروها، يوم اصطفاه لنفسه إنسان الله، وقد ظهر بحكمة الله، في سربال موجود ضال، من إنسانية خلق الله، هداه إنسان الله وآواه، وطوره لمعناه، في عوالم الله، وجودا وشهودا، وجعل منه على الأرض خليفة له، ورسولا منه، أسجدهم لخلفه، أسجدهم لله، وأقامهم أسماء الله، بقائم اسم الله له.

طلبوا منه المعرفة عن مشرفه، على ما عرفه معرفه، طلبوا إليه أن يتحدث إليهم عن إنسان الله، فعرفهم لهم، لإنسان الله لقديمهم في أحسن تقويم، وبشرهم لهم، بإنسان الله لقابلهم، يوم يتابعونه، ويؤمنون به، منشودهم من الحق يعرفونه، به وفيه ومعهم في أنفسهم يشهدونه، ليكون لهم من هو معهم، لمعيتهم بمعارجه يوم يدخلونه، يدخلون في عهده ووعدته يوم يتابعونه، ومعه في الله، وفي روح الله لا يرتابونه، ومن روح الله لهم لا يئأسونه، فإنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الذين بروح الله بهم يكفرونه، وعن المسير خلفه رسولا وروحا لا يتابعونه ولا يواصلونه، وعن استقبال نعمة الله منه، قاسما، الله معط به، عن حظهم منه بظلاله لا يفرطونه، وهم كلما تابعوه في معارجه، فن الله به، يعطونه، كلما يطلبونه، عطاءً غير مجذوذ، هدية من الله يأخذونه، بعد أن يوفيههم أجورهم، جزاء لا يمنونه، وغير منقوص، من رحمة الله، في موجود الله، من وجود الله، يستوفونه، لموجود الله في

موجودهم، لوجود الله في دائم وجودهم، بتواجدهم لا يجزونه، له المنّة، فما كان العمل المهيئ للجزاء، إلا هو منه عطاء، في صورة الجزاء يأخذونه.

قَدَّرَ فهدى، قَدَّرَ كل قادر، أعطاه القدرة، قدره على كسب الاهتداء بفعله وبقدرته، وقد جعل الاهتداء لحقه نبعا من نفسه، يوم جعلها محلا للاصطفاء، اهتدى يوم اهتدى، بفعل نفسه من الأكبر نفسا له، بإرادته إرادة للأكبر صدرت عنه. أرادت فكان لها ما أرادت، وشاءت فكان لها ما شاءت، وانفعلت بالهدي في طريق الحياة فكان في انفعالها الهدي والحياة، فاهتدت واهتدت فحييت وحييت. وما هداها يوم اهتدت، إلا هداها، عنها صدر، يوم دخلت في شعارها لها، بحكم خلقها ونشأتها، وسر وجودها وإيجادها وتواجدتها، يوم عرفت لها أكبر تابعته واقتدته، فدخلت في حصن لا إله إلا الله، من دخلها وقامها كانها، فقام شعارا لها ورسولا بها، فكان لا إله إلا الله، وصار لا إله إلا الله، فكانت لا إله إلا الله، لنفسه وعقله شعار روحه، ومدار سبوحه، وبيت قبلته، بقائمتها، وقيام قيامها، لدائمها له، وقيامها في قيامتها بقيومها به، {من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه} ^٨، يهتدي إلى نفسه، يحقق خيرا لنفسه، {ومن ضل فإنما يضل عليها} ^٩، يمتطيها إلى الضلال، فيظلمها ظلما لنفسه لمعنى أنه. فن قاما قدوة بها، كان رسولا بصلاحيته للاقتداء، امتداد الرسول بها.

بذلك أثنت النفوس على من علمها، يوم علمته عين قيامها لها فيها به لأمرها، وحمدت تواجدها يوم تواجدها، فحمدت إليه حمدا إلى الأكبر، هي حقه منه بقائمتها وقيامها يوم صلت عليها، قبلة لها اتجاها إليه وقيامها به فيه، فيمن عرفته أصل وجودها، يوم عرفتها بلا إله إلا الله لا إله إلا الله. وعرفت أصلها بها قبلة الصلاة، هي ظل له لظلال من أزل نوعها لا بدء له، ظلال هي أوادم بداياته لظهوره بخلقه لإنسان رشاده بحقه، بهما ظهر الغيب وملؤه لمعاني الله وملائكته، كلما قام اسم الله وكلماته بإنسان آدم وبنيه، ظاهراً لباطن وباطناً لظاهر، يتجهون في ظهورهم وبطونهم برحمته إلى قبلة الصلاة، إلى مشهود حقه برسوله وعبدته جماع بينهما والعروة الوثقى لهما.

فباسم الله وملائكته لمشروع الحياة الأبدية، قام خلق الله إلى قبلة الصلاة لكسب الحياة أبدية، فاتصلت برحمة الله أزال الإنسان بحقائقه بآباده بخلائقه في رسول الله، يوم قامت الخلائق بحق الله بدين القيمة، وتجمع الحجيج من العالمين، للقلوب وللأشباح من النفوس والأرواح، على من به قامت قبلة الصلاة في العالمين فصلى بشبحيته إلى القبلتين للإنسان للقديم والقادم، وبه بعثت ووضعت، وبعثت فرفعت بيوت ذكر الله، بنفس ومن يلوذ بها من النفوس بألوانها، إمام جمعها.

نفس للحق يدعو بها الحق بحقها من الأعلى.. يا أيها الإنسان.. يا أيها الناس.. هلموا إلى مؤذناً بالحج لقبلة صلاته فيه، ليشهدوه فيهم لقبلتهم بهم في قيامهم به، يوم تدعو نفسه نفساً للأعلى جمعها منها،

لقائم وصلتها وحياتها بالأعلى لهم فرد جمعها متواصيا بالحق بدائم الصلاة والحج، فقامت بذلك الصلاة أبداً، على ما هي قائمة أزلاً، بالصلاة على المصلي عليه سرمداء، العروة الوثقى للحياة وللوجود والتواجد في الله ذي المعارج، لمعاني الأمر الوسط في سرمد قيامه بين أزلي الأمر وأبدى الأمر، دوام رسالة الله ودائم هديه.

فصلت بذلك على النبي معنىً ووجوداً في الإنسان آزال الإنسان، بدائم قيامها بحقيتها، كما صلت عليه آباد الإنسان بدائم جديدها بخلقيتها، فمن خلاله عروة وثقى صلى القديم على الجديد، كما صلى الجديد على القديم، فتجدد القديم، وتقدم الجديد، فاجتمع به العالمان، وقام هو في العالمين طريق الله.

بذلك صلى عليه الله وملائكته، في قديم أزلي بإنسانية رشاده صلاةً منه عليه، ومن خلاله على عباده، لتنام إرادته في آباد الإنسان لبعثه بحقه اسماً لله بالصلاة عليه والصلة به، بهم تجددت لهم إنسانية رشاده لتعرف لفعلمها بحقها في معرفتها عنها بها، بلا إله إلا الله، ثم عرفتها في معارجها بجديدها لها، الله أكبر، في الله أكبر، يوم جددت شعارها الله أكبر برسول الله، لمعارج لا إله إلا الله، لقيامها وقيومها، فصلت الإنسانية بآبادها على العروة الوثقى لأزالها.

فقامتها اسم الله، في ظاهره ذكراً محدثاً بدائم خلقه، لظاهر الله لحقه، كما هي له بسبقها في غيبه وباطنه، لباطن الله، بقديم ذكره، فكانت في صلاتها ومن صلى معها مستقبلاً قبلتها، في معاني بيته ونُصبه ومعناه لمطلقه تواجداً، ولرحمته جوداً ووجوداً، أمراً رأته في شعار لا إله إلا الله، لحقه وخلقته، وحدة للإنسان، شهدته وأيقنته في صلاة الله وملائكته بقديم الإنسانية وجديدها، على رسول الله الدائم لها، وقائم الإنسان لقديمها وجديدها، معنى دائماً قائماً، يكسب للإنسان، ولكل إنسان في دائرة خلقه وحقه.

فعرفته مصلياً وملائكته، عليه أبداً، بمن صلى عليه من الخلق في قائمه الأبدى، على ما صلى عليه ظاهر الحق بالإنسان قديماً بقائمه الأزلي، فعرفت المصلي عليه من القدم، بقائم المصلي عليه بحاضر ظلاله إلى الأبد، بدءاً من حاضر قيام الحق له به، تشهد قائم رسالة الله ودائم هديه، {حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى}¹.

{فإذا قرآنه فاتبع قرآنه ثم إنا علينا بيانه}¹¹، {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}¹²، وما عبر بقوله سنريهم إلا تعريفاً عن الماضي، لا بدء له، يتواجد في القابل، لا انفضاض له، يُدرك في القائم، ولا غيبة له، يوم يقوم القائم من الناس ومن الأشياء، ومن الكائنات، بقيوم الحي على كل قائم حي، من شيء أو كائن، لطيف أو كثيف، بلا إله إلا الله، شعار الفطرة، وشعار

الإسلام، وشعار رسول الله في دوام، {ويوم القيامة يكفرون بشرككم} ١٣ يوم يعرفون لمن عقبي الدار. وقد جاءهم الحق بكم، وانتهى الأمر كله إليكم، بعثا بالمقام المحمود للأعلى عليه أثنيتم، ومنه وبمقامه خلفكم فعلى الناس له خلفتم، لا يشركون بالحق لكم بهم وعليهم في إحاطتكم بهم وجوها لكم. {لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى} ١٤.

إن الرسول لا ينقطع له تواجد في أبد، ليشهد قائم الأبد به قائم الأزل له، تعريفاً عن لا أزل ولا أبد له، القائم لا غيبة له، الواسع لا إحاطة به، القريب لا إنكار عليه، البعيد لا نوال له، في شعار الإسلام بلا إله إلا الله، وبالله أكبر، بقائم محمد رسول الله، في كل من حمدت صفاته، وفي كل من حمد الله فعله، وفي كل من حمده الناس في معرفتهم لمعارفه، فطلبوا قيامه لقيامهم بدوام المثل الأعلى لكوثر رسول الله به بينهم، {فلا وربك لا يؤمنون، حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً} ١٥، (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ونفسه التي بين جنبيه) ١٦، {من يطع الرسول فقد أطاع الله} ١٧، فكيف يتحقق لطالب الإسلام، وهذا شرطه، والرسول شعاره وطلبه، إذا غاب الرسول عن الشهود وعن الوجود بين الناس كلها تجددوا ولم يتجدد بينهم بهم لهم، قرنا بعد قرن؟ (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها) ١٨، (علماء أمتي كأنبيا بني إسرائيل) ١٩.

من كان الرسول له كل كفه، مؤمناً برب الرسول للرسول كل كفه، مؤمناً بالله لربه كل كفه، دخل في معارج الله، ودخل في السلم مع الله، ودخل في معراج الشفع والوتر، طلباً للشفع والوتر بالله ورسوله، في الوتر بالله، بشهادة لا إله إلا الله، وقيامه بها، وفي الشفع بقائم رسول الله وشهوده لقيامه به، بشهادة محمد رسول الله علماً على الله بلانهايته، وجوداً مطلقاً، إيماناً بالغيب، يعرفه ويراه وجه شهادته، وجمال طلعتة، وجلال قدرته، ويد قربته، وقدم سعيه، وعين شهوده، وأذن سمعه.

بهذا قام الإسلام.. وبهذا قامت رسالة الفطرة.. وبهذا قام الحق من الله في الوجود، فقام الوجود بما تواجد فيه من الحق لموجوداته. وكان الإنسان في الأشياء أشرف الأشياء، وفي الكائنات أبقى الكائنات وفي لطيف الحياة ألطف ما في الحياة، فكان في عوالم النور أشرق الأنوار، وكان في عوالم النار أعز نار، وأقدس نار، وأقدر نار، وكان في عوالم الليل أظلم ما في عوالم الظلام، ليل الحياة وسباتها وسكينتها، {والليل إذا يسر} ٢٠ سارياً في كل كائن في ليل حجابته، بظلامه لجلايب الإنسان بأوادمه لأطوار عوالمه، وهو في ظلامه، متخلفاً به عن ركب الحياة بنور إنسان الحياة، كلما تخلف كان ظالماً لنفسه، ولا ظالم له، منظراً في جديده أمره لمعلوم يومه، {وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} ٢١.

جاء إنسان الرشاد.. إنسان الحكمة.. إنسان العقل.. إنسان الاستقامة. جاء من أعماق الوجود، جاء من ظلمات الوجود، متصاعداً، متواجداً، مستقيماً، على ما يجب أن يكون عليه إنسان الظلام، في استقامته في حجاب الظلام، حتى بلغ السماء الدنيا، ولم تنقطع بحثاً عن الحق حيرته، إذ لم تقم له فيه قبلته، ولم يتوفر له منشوده من الحق لسكينته.

فإذا هو ناشئة الليل على كمالها، وهو على شدته في وطأته على ما هي نشأة الليل، وعلى استقامته لكمالها في مقامه من الليل بنسبة الاستقامة لقائمه وفق أهليته بطبيعته لناموس عالم هذه الطبيعة، لم يحقق حجاب الظلام بعوالمه له بُغيته، ولم يهدئ انطلاقه الفكري فيه نفسيته، حتى تداركته رحمة الله من عنايته، فإذا هو يستقبل قبضة انشقاق السماء عن قديم له، بروح الله، قبس نور الله، قائم عوالم النور في قديم تواجده وتطوره، فيلتقي قديم ظلامه بقديم نوره، في قائم أمره بهيكله لهيكله، من قلب وقالب {وخلقناكم أزواجاً} ٢٢.

فأعلنها الله به بكتابه معه داويةً في الخافقين، ظهور الرجل الرشيد، والأمر الجديد للأمر القديم فيه، والذكر المحدث للذكر القديم له، خليفة الأعلى لذوات الله لأحدثه، فيقول مُشهرًا به أمرًا له، {أتى أمر الله فلا تستعجلوه} ٢٣، أتى أمر الله ولن يغيب، نزلت البسملة عليه على ما نزلت على كل نبي من قبله ثم رفعت معه تمهيدا لظهوره، أما هو فقد جاء الحق بحجيته رجلها وإنسانها، فقد أعطيت له ولأمته.

الخير فيه وفي أمته إلى أن يقوم أمرٌ جديد لله، وما هو إلا جديد أمره، على ما هو جديد أمر الله لقديم أمره به في دائم ناموس الفطرة، لظهور الإنسان بالصبغة، بعث والساعة صنوان، لأمرين لأمر لأمر في الله بالرحمة والقدرة والإحسان، وما سبقها إلا كما سبقت إصبعه السبابة إصبعه الوسطى، من حيث الزمان، وما هو وإياها في يد الله، إلا إصبعان، (وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء) ٢٤، أتى أمر الله به، فلا تستعجلوه، حتى يتكشف لكم لمن عقبي الدار.

{ومن آياته خلق السماوات والأرض، وما بث فيهما من دابة، وأنه على جمعهم إذا يشاء قدير} ٢٥، وها هو في الرجل الرشيد، جمعهم في أمر جديد، انشقت الأرض عنه، وانشقت السماء عنه، فاجتمع فيه غيب الله وظاهر الله في العالمين، بعالم له لقديم خلق الله، وقادم خلق الله، ولقائم خلق الله، جعل خاتم المنبئين وطابعا بحاله للعالمين، وإماماً للعابدين.

أول العابدين لا آخر لهم، أول العابدين من بعده، علماً وعينا لأول العابدين من قبله مظهرًا لمخبر، فكان بذلك أول العابدين قبلًا وبعداً، وأول العابدين قياماً في شفع ووتر، بوتره لشفعه مع الأعلى والأدنى،

فكان خاتم النبيين وقدوتهم وإمامهم، وما كان ختاماً لهم (علماء أمتي كأَنْبياء بني إسرائيل) ^{٢٦}، (الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة) ^{٢٧}.

يقوم ويتقلب في الساجدين، روح القدس للمحبين، وقيامه الحق بالساجدين، بالحق قاموا، قيمةً على العالمين، من ربهم مشهودين، نصباً في قبلة المصلين، ووجوها للعاشقين، أقامهم لقيامه بمثله، ونصّبهم لبيوته لنصبه، وقد أمر وأذن له في كثره لتعددته وتكاثره {فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب} ^{٢٨}، إماماً ورباً للعالمين، {فصل لربك وانحر} ^{٢٩}، حقاً للمتحققين، سارياً فيهم بنوره. فما قام رسول الله، قيوماً على قائم، بقيمة من الناس، إلا مصطفىاً من الساجدين، لقبلة متجهين، وبسجود الله متقين، بيتاً لله من الناس مستقبلين، في شهادة لهم، على ما كان من أمرهم إلى يوم الدين، وعلى ما يكون من أمرهم، كلما تجدد بينهم أمر بدين. {فانتظروا إني معكم منتظرون} ^{٣٠}، أو سارعوا إلى مغفرة من ربكم ورحمة، تجدونني معكم، ولكم معين.

وعهدنا إلى موسى وهارون أن اتخذوا من بيوتكم قبلة للمصلين، لمن يطلب من الناس أن يدخلوا في عهد الله، دخولا في عهدكم مؤمنين، لبيت ذكر الله فيهم بكم مستقبلين ولكم مسلمين، ولاسم الله نصبا منكم متخذين، وجوها له بكم ناظرين، ولها بمعانيكم وجها له ساجدين، فهذا هو ما كان في فطرة الأولين يوم سجد الملائكة لآدم أجمعين، وأبى إبليس فكان معنى المستكبرين.

هذا ما جددته الأمين رسولاً به دائم وجهه الله متجدداً بين الناس بعلم عن علم بدين في كل وقت وحين، ولكنه خاطبهم على قدر استعدادهم لما يعقلون، وقد جاءهم بالذي هو أحسن مما عرّف آبائهم الأولون، يوم عرّفهم أن نصب السجود لأوادم الله، وأن بيوت الذكر لاسم الله، وأن أعلام الله بإنسان الله، وأن أسماء الله بإنسانية الرشد لله إنما هي أمور أولية في الدين، وإنها أمر لا يمتنع كسبه، وقيامه وظهوره، على مؤمن بالله ورسوله أو مسيح إنسانه، طالبا له مع قدوة اقتدائه في حاضره بأصل أو ظله لإنسان معرفته، جعل منه الأعلى عينه ومعناه وبه سواه، فقامه نفسه وجها لله، على ما أمره الله، قدوة وأسوة بما هداه، فاستقام بسنته عين سنته، وجدد شرعته على ما هي شرعته، وعرف الله على ما هو الله.

بشر أن الله معطٍ لمتابعيه، كما أعطاه، وجاعل منهم نصباً على ما جعله، وبيوتا على ما تفضل عليه فأقامه، وحقائق على ما حققه، وأسماءً له، على ما قامه اسماً أعظم له، فقال متابعوه على حق، (ليس الشأن أن تعرف ما هو الاسم الأعظم، ولكن الشأن أن تكون أنت الاسم الأعظم) ^{٣١}.

ولن تكون أنت الاسم الأعظم، إلا إذا تابعت من قامه، فكنت علماً على من كان عليه علم، في الله ذي المعارج في الباقي المتجلي بالخلائق. ويوم يتواجد منك عليك علم، على عين ما عرفت وتواجدت من علميتك على علم الله، عرفت كيف كان العلم لله عندك علماً لعلم، وعرفت أن من كان علماً عليك، كيف هو علم على معلمه بك ومعلمك، وعلى من كنت ومعلمك عليه علم، {سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى} ٣٢، {يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك} ٣٣.

سبح اسم ربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، اتقوا الله ويعلمكم الله، (وكفى بالعلم في الأمي معجزة) ٣٤. ما زالت قائمة في طريق القوم (عليه عن الله آخذه، وغيرنا ما قاله السلف) ٣٥، وهي علوم الفيض، أو ما يسمونه العلم اللدني، أي من نبع الذات (إنجيلي في صدري) ٣٦، (قوم أنجيلهم صدورهم) ٣٧، وهو ما تقدمه الرسالة الروحية في هذا العصر في صورة معللة للعقل قابلة للتطبيق والنفاذ والقيام والعلم والتحقيق والكسب في أساليب عديدة للوساطة بين العالمين، بوسطاء الغيبوبة الكاملة، كنصب قبلة، يقصد فيها المعلمون، وبوسطاء الغيبوبة الواعية، لدوام قيام النبوة بالعارفين.

بدين الفطرة، بالإسلام، عرف الله، وقدر الله حق قدره، فكانت أمة هذا الإعلام وهذا العلم أمة من الأنبياء أخرجتها شجرة الجنس تحمل ما حمل، حاملة شعار لا إله إلا الله، والله أكبر، قياماً بحق رسول الله في قائمه، وفي كل قائم بقيامه، قيوماً به على قيام له، بدائم قيومه عليه، لدائم قيامه به، {رجلا سلما لرجل} ٣٨.

جعله الأعلى شهيدا على الشهداء، على ما أتى الله به شهيدا عليهم في قبل لهم، وعلى ما يأتي الله به شهيدا على الشهداء في بعد لهم، عين ما شهد من فعل الله بقائمه به لقائهم به، وقد أخذ من كل أمة بشهيد، وجاء به شهيداً على هؤلاء في دائم خلقه كلها تجدد الخلق، وفي دائم أمره كلها تجدد به أمر، وفي دائم وجوده كلها تجدد به وجود لوجود.

أظهره الأعلى على الدين كله، على ما علم آدم الأسماء كلها، فكان آدم وقد علم الأسماء كلها، علماً له وإعلاماً عنه، وبشراً به، وكان هو يوم أظهره الأعلى على الدين كله، كمالاً لآدم لمعنى ذاته روحاً متجسداً، وظهوراً له متجدداً بما آل إليه في تمامه وكماله مسرماً.

كما كان في الوقت نفسه بدءاً للإنسان بحقه إلى جديد كمال له، لا يُجَزَّ ولا يتوقف، يوم يُعرَّف عن نفسه بمعنى الإنسان لله، لقيامته بحقه في قابل بآدم منه، على عين ما قام من إنسان آدم له، بموصوف

الرفيق الأعلى له، فبذلك عرف الله حق معرفته، وقُدِّرَ الله حق قدره، بإنسان الله وعبدَه ورسوله لذاته ومعناه، وقدم معناه قدوة للناس بما علم، يوم آمن الناس بالله، على ما يليق بالإيمان بالله، مع محمد الله رحمة مهداة.

فكان الرسول أمراً وسطاً، وكان به خير الأمور الوسط، يوم عرف الأمر الوسط، لقائم الحي القيوم، أمر الله علماً على آزال الأمر في الله، وأصلاً لأباد الأمر في الله، فكانت أُمته بذلك أمة وسطاً، وبذلك كانت خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وهو قائمها من الله بلا إله إلا الله، وتنهى عن المنكر من زعم وجود ما هو غيره، وهو الموجود لا شريك له، بحكمته في كل ما أوجد. تأمر بالمعروف وهو الله لها، وتنهى عن المنكر وهو زعم القيام لغيره، ووهم القيوم لغير حقه، بقائم خلقه، وتنهى عن المنكر من الشرك به بموجود المشرك، وتؤمن بالله بشعارها لا إله إلا الله، وتحمل رسالته، معرفة به بشعارها الله أكبر، قياماً بشعار قيامها برسوله، تشهدها محمداً رسول الله، يوم تشهد أن محمداً رسول الله، فتم وتعم النبوة الفردية، وتبدأ النبوة الجماعية في إمامة العبودية الحقية، وقد صارت أُمته في وحدتها مع عترته نبوة جماعية للجنس كله، نبوة دائمة، متجددة، وحضرة قدسية متصلة، لإمامة عبد الله ورسوله.

هذا هو الحق من الله، وهذا هو الحق من رسول الله، وهذا هو الحق من الفطرة.. فبماذا طلبنا الحق؟ هل طلبناه برسول الله؟ هل طلبناه بكتاب الله؟ هل طلبناه بنور الله؟ هل طلبناه بروح الله؟ هل طلبناه بوحدانية الله بنا؟ هل طلبناه بالفطرة أمّا وأباً لنا؟ أم طلبناه بقائم قيامنا معزولاً عن الله، وعن رسول الله، وعن نور الله، وعن فطرة الله، مرددين لفظ (الله) بعيداً عنا، وعن وجودنا، بموجود متخيل عندنا، هو العدم بعينه؟

ونحن في طلبنا للصالح، وللإصلاح، والاستقامة، وللعدل، وللإشراكية، وللديمقراطية، وللحرية، وللمساواة، نبغاً عن أنفسنا مستقلة عن الله ورسوله، وعن نور الله وروحه، وعن فطرة الله وصبغته، فإننا في فطرة الشيطان، ولسنا في فطرة الرحمن، نحن في فطرة الضلال، ولسنا في فطرة الهدى، نجادل في الله بغير علم، ونتبع كل شيطان مرّيد، بموهوم الاستقامة، وموهوم الإصلاح، أو موهوم الضرورة، أو موهوم الأمر الواقع.

نضع نصباً لنا في قبلة الصلاة، شياطين أنفسنا، وشياطين الجنة من منشود غيبه علينا، فلا عرفنا الله في شهادته، ولا عرفنا الله في سعته وعظمته، ولا عرفنا الله في غيبه وقدرته، فأدركناه يدبر أمر ذواتنا، ولو ترك ذواتنا لنا ندبر أمرها، لتعطلت دورة الحياة فينا، وتعطل دوام قيامنا بمعانينا. أنظروه كيف يدبر أمر قلوبكم، وأمر دورة الدم فيكم. أنظروه كيف يدبركم من علة إلى رجل سوي مع من

قذفها. أنظروه كيف يخرج بكم من ظلام أنفسكم إلى معاني الرجل الحكيم العليم. انظروه كيف يخرج بكم من معنائكم بالرجل العنيد إلى الكريم الحليم، العاقل الرشيد، صاحب العقل السديد.

أنظروه كيف يعلمكم، أنظروه كيف يأخذ بنواصيكم، أنظروه كيف يرتقي بمعانيكم، أنظروه كيف يسدد الخطى لخيركم، أنظروه كيف يضل السبيل بسعيكم بكفركم، بعنادكم، برد أعمالكم إليكم. تأملوه في آياته لكم في أنفسكم وفي الآفاق. اطلبوا اليقظة، اطلبوا الرحمة، اطلبوا الرحمن، اطلبوا الرحيم، اطلبوا من جعله الله لكم هدية ونعمة، {واعلموا أن فيكم رسول الله} ^{٣٩}، بالحكام والعلماء والأتقياء، ولا تتابعوا بينكم الأغبياء البلهاء، من تعلقوا بالمادة فعبدوها، وشدهتهم الدنيا فريبوها، فما بحق سادوها، ولا بعدل قاموها أو قوموها.

اطلبوا من جعله الله لكم أحواض رحمته، لا تنقطع.. اطلبوا من جعله الله لكم النعمة متصلة لا تجز، يقوم ويتقلب في الساجدين، نُصباً للطالبين، وبيتاً للمصلين، وطريقاً للسايرين، وحوضاً للواردين، وبحراً للسابحين، ووجهاً للذاكرين،

{فسبح باسم ربك العظيم} ^{٤٠}، {سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى} ^{٤١}، واسبح في {جنة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين} ^{٤٢}، واقتحم عقبات النفس، وعقبات الوجود، وأعتق رقبتك من التقييد، وانطلق بعقلك فوق السماوات وتحت الثرى، وتجول في الله الواسع العليم، اسما له وعلماً عليه، ورسولاً منه، وحقا من حقائقه، قَوْم الدنيا، وأقم الدين، وأعتق رقاب العبيد من الطغاة المستعبدين، يستعبدون الناس، لغير الله مستعبدين.

أمر الرسول من الأعلى له، أن خُذ من الخلائق، من شئت، يوم تشاء، بمشيئته. وانطلق به إلى عوالم الحقائق، تصطفيه بما علمته به من أمره لعالمها، إذ هي تقبله بوحدانيته معك، تراه منها لها، فتقبله لمجتمعها بين نفوسها، وقد طلبها وارتضاها بهيمته، فارتضته، يوم تقبله أنت وترتضيه لنفسك، وقد قبلك وارتضاك لنفسه كل عالم.

فلا الإنسان في عالم خلقه محلاً للقهر، ولا الإنسان في عالم حقه محلاً للقهر، فلن يخرج الإنسان إلى عوالم حقائقه لخالقه إلا بإرادته، ولن يقحم الله، على هذه العوالم في عليّ مقامها، من دونها من عوالم البدء الثلاث الأول بدءاً من عالم البشرية الأرضية، إلا من تقبل وترتضي، ممن تختار وتصطفي.

هكذا كان الإنسان الذي عرفنا وبه شرفنا، كان علماً على الإحسان، ورب الإحسان، وإله الإحسان، وحقيقة الحياة، وحقيقة الكائنات، وحقيقة الوجود، فما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان، وما ظهر الله بشيء مثل ظهوره بالإنسان، وما ظهر الله لشيء مثل ظهوره للإنسان. فهل

رضيتم أن تكونوا من الإنسان، وبالإنسان، وإلى الإنسان، فقبلوا رسول رحمته وإنسان حضرته،
وقيوم قيامه لطلعته، كوثرًا متجددا بينكم في قيام أزهر، شائته أبت؟

لا إله إلا الله محمد رسول الله

اللهم يا من هو هو على ما هو، لا جديد فيه، ولا موجود بمعاني غيره معه.. اللهم ألحقنا بإنسان
قيامك، لإنسان قيامك بإحسانك، لإنسان غيبك، بواسع عظمتك، وجلال قدرتك.

اللهم أشهدنا محمدًا رسول الله، وأدخلنا به في حصن لا إله إلا الله، وأبقنا به بها فيها، حتى نشهدك
به، الله أكبر، والله أكبر، والله أكبر، في الله ذي المعارج، لا إله غيرك، ولا معبود سواك.. اللهم
قوم به سبيلنا فيك، وأمرنا منك، وطريقنا إليك، ووجهتنا لاستقبال قبلك، في الصلاة عليه، تخلقًا
بخلق من تخلق بخلقك من الصلاة عليه، من إنسانية السبق واللاحق.

اللهم صلي وسلم منا عليه، صلاة دائمة بدوامك، قائمة بقيامك، كريمة بكرمك، عزيزة بعزتك، لطيفة
بلطف رحمتك، بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين.

لا إله غيرك ولا معبود سواك.. اللهم به قول أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا، وقنا شر أنفسنا،
وشر الأشرار من خلقك، وأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلام والسلام على أرضنا، وقد جعلته رحمة
مدانية لنا، ورحمة قريبة منا، ورحمة متدفقة منك علينا. لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

(يا من رضي لمعناه من رضيت لنفسي، فاصطفيته منه لنفسي. ها أنت أنا، وها أنت هو، وها أنت
هم. يا من دخل فيمن أعلمت لنفسي فكان منه، فاصطفيته منه لنفسي فكان مني، فشهد الله معنا
جميعا. يا من عرفني قل عن لساني لمن يريد أن يعرف من هو أنا.. هو عبد من عباد الله، أي روح
من روح الله، أي قبس من نور الله، هو رسول من رسل الروح الأعظم اللانهائي).

من عبارات للسيد الروح المرشد سلفريش بدائرتة الإسلامية الروحية للمشرق العربي وللعالم من
القاهرة.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ٢ من حديث قدسي: "يا عبادي! إنما هي أعمالكم تُردُّ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه". الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح. أيضاً الحديث: "يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكُم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه." صحيح مسلم.
- ٣ مقولة صوفية تتناغم مع خلق الله للإنسان تكليفة لله.
- ٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٥ سورة الإنسان - ٣٠
- ٦ سورة الأعلى - ٣
- ٧ سورة فاطر - ١٥
- ٨ سورة الإسراء - ١٥
- ٩ سورة الإسراء - ١٥
- ١٠ سورة البقرة - ٢٣٨
- ١١ سورة القيامة - ١٨، ١٩
- ١٢ سورة فصلت - ٥٣
- ١٣ سورة فاطر - ١٤
- ١٤ سورة طه - ١٣٢
- ١٥ سورة النساء - ٦٥
- ١٦ إشارة إلى الحديث الشريف: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الْآنَ، وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآنَ يَا عُمَرُ." صحيح البخاري. "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين." متفق عليه.
- ١٧ سورة النساء - ٨٠
- ١٨ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.
- ١٩ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.
- ٢٠ سورة الفجر - ٤
- ٢١ سورة الأعراف - ١٦٠ ، سورة البقرة - ٥٧
- ٢٢ سورة النبأ - ٨

- ٢٣ سورة النحل - ١
- ٢٤ الحديث الشريف: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفِ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ." صحيح مسلم.
- ٢٥ سورة الشورى - ٢٩
- ٢٦ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.
- ٢٧ حديث شريف تقول معظم كتب الأحاديث إنه لم يثبت عن الرسول ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بخوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.
- ٢٨ سورة الشرح - ٤
- ٢٩ سورة الكوثر - ٢
- ٣٠ سورة يونس - ١٠٢
- ٣١ مقولة للسيد أبي الحسن الشاذلي.
- ٣٢ سورة الأعلى - ١:٢
- ٣٣ سورة الانفطار - ٦: ٨
- ٣٤ من قصيدة البردة للشيخ البوصيري: كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجَزَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالنَّادِيَةِ فِي الْيَتَمِ
- ٣٥ معنى تناقله الكثيرون من المتصوفة ومنهم الشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية عن قول أبي يزيد البسطامي: "أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علما عن الحي الذي لا يموت، يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي، وأتم تقولون حدثني فلان وأين هو؟ قالوا: مات عن فلان، وأين هو؟ قالوا: مات."
- ٣٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٣٧ من الحديث الشريف: "صَفَيْتِي أَحْمَدُ الْمُتَوَكِّلُ، لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، يَجْزِي بِالْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ، وَلَا يَكْفِيُ بِالسَّيِّئَةِ، مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجِرُهُ طَبِيبَةُ، وَأُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ، يَأْتِرُونَ عَلَى أَنْصَابِهِمْ، وَيُوضُّوْنَ أَطْرَافَهُمْ، أَنَا جِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، يَصِفُّونَ لِلصَّلَاةِ كَمَا يَصِفُّونَ لِلْقِتَالِ، قَرَابَتُهُمْ الَّذِي يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَيَّ دَعَاؤُهُمْ، رُحْبَانُ بِاللَّيْلِ لِيُوثَّ بِالنَّهَارِ." أخرجه الطبراني.
- ٣٨ سورة الزمر - ٢٩.
- ٣٩ سورة الحجرات - ٧
- ٤٠ سورة الواقعة - ٧٤
- ٤١ سورة الأعلى - ١:٢
- ٤٢ سورة آل عمران - ١٣٣

(٧)

إنسان الله وبيت الله عتره رسول الله وبيوت الله قبلة الصلاة سفن الخلاص والنجاة

حديث الجمعة

٣٠ رجب ١٣٨٤ هـ - ٤ ديسمبر ١٩٦٤ م

(نحن آل بيت، اختار لنا الله الآخرة على الأولى)¹.

(خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)².

(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)³، {فاتبعوني يحببكم الله}⁴، (ما أعطيته فلا أمتي)⁵.

(نحن آل بيت خلقنا للبلاء)⁶، {هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}⁷.

(من كنت مولاه فعلي مولاه)⁸.

(أنا مدينة العلم وعلي بابها)⁹.

(مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك)¹⁰.

(جعل الله ذرية كل نبي في ظهره وجعل ذريتي في ظهرك يا علي)¹¹.

(تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لا تضلوا أبداً، فإنهما لا يفترقان أبداً)¹².

(إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة)¹³.

في مثل هذه الأحاديث عن الرسول أو عن ربه تتركز قضايا الدين، وفقه العقيدة، وعمد الطريق، فماذا أدركنا من هديه؟ وعلى أي صورة استجبنا لأمره؟ وهل أفدنا في أمرنا من حكمته؟ إن الذي قال (أعطيت جوامع الكلم)¹⁴، ما عني بجوامع الكلم لفظاً ينطق به، وصدر عنه، كلمات الله وآيات منه. وما كانت هذه العبارات صادرة عن نفسه منفصلة عن نفس ربه، ولكن عن أمره أمر الله. ولكنه

عنى قياما ووجودا يبعث حقا فيه لأبدي خلقه كوثر لآدم، وتكاثر لبني آدم إنسانا وحقا وحقية لآدم ولبني آدم، لكل آدم، بيوتا لأوادم تُرفع وتوضع، طبقا فوق طبق، وطبقا عن طبق، وطبقا بعد طبق.

وما أبانه، أو علمه ظاهرا بحاجته وافتقاره كسبا لسعادته بظلال لاقتدائه من أنفسكم سفن حكمته، إلا إعلاما برسالته، ولكنه في الحقيقة، علمه، وقدمه، وجوده وتكاثره بغنائه بحكمته، وإحاطته بأمر أُمته، عين الأعلى، لعين معناه، بعد أن أحاط بأمر نفسه، قياما بأمر ربه لقائمه، عين قيومه، في قيامه بشعاره لا إله إلا الله، وبمدخله ومعراجيه في الله أكبر، بقيامه بالله أكبر، بقيامه بالله أكبر في أكبر في علمه عن الله، علما عن نفسه منه، وعن نفسه فيه، في مراقبها، وفي تدانيها.

عَرَفَ الله وعرفه، وقام الله وأقامه، وعَلِمَ الله وعَلَّمه، وأمَحَى عنه إلى الله، ومَحَى من طلب الله معه، عنه وعنه إلى الله، ثم محى الله بظاهره في الله لباطنه، في معراج يطول إلى ذات قدسه.

عرف الله وراء الإنسان، في عاليه، وأعلى، وعرف الله وراء الإنسان، في أسفله، وأسفل.

عرف الله، ظهر بالإنسان، وظهر للإنسان، وما ظهر مثل ظهوره بالإنسان، وما ظهر قبل ظهوره للإنسان.

فعرف الإنسان، ظاهر الله، وظاهر الإنسان، وعرف الإنسان، باطن الإنسان، وباطن الله. فرفع شعاره لا إله إلا الله، والله أكبر، وقدم هديه ونبوءته لنفسه مبشرا، جلية واضحة، ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان، وللإنسان وبالإنسان.

تعالى الله عنده وراء الإنسان، في اتجاهيه إلى الأزل والأبد وفي سائر اتجاهاته، في قائمه بالقيام في كينونيته لمظهره من الحق والخلق، وفي جميع ألوان مكوناته، وأشكال تجلياته، ومعانيه به بآياته.

تعالى الله عنده عن الوصف، وعن الاتصاف. كما تعالى على التسمية وعن الأسماء، فتعالى بعبده ورسوله عن الإحاطة به علما عليه في معانيه وأقداسه يحيط لا يحاط، ويدرك لا يدرك، ويعرف لا يعرف، وهو يوم يعرف، فإنما يعرف عند عارفه، في معرفته عنه به له ومنه، كما أنه يوصف يوم يتصف بأوصاف واصفه بصفاته له بوصف عبده وظله. فهو بحقه، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

ذاته ذات الوجود، وذات الوجود موجوده في وجود كل ذات لذاته، بكائنه أو شيء، على ما له به من أمر، وعلى ما له منه من صفات.

هدى السبيل شاكرا وكفورا.

شاكراً.. عرف نعمة الله عليه، بنعمة العدم له لأنّاه بماديته وقيامه مبعوثاً بالحق أنا ووجهها لمولاه.

وعرف في معنى الكفر، الكفر به، في الكفر منه لمبناه، لمن بوصف الإله عناء، وبالحق دعاء، وبعيدا عنه، لاسم الله رآه، فقام بمبناه، مبعوثاً بحق العبد لمعناه من الله، وعرف أن حقيقة الكفر بالله، إنّما هي في كفر الكائن بمعية الله، لقائم الحياة لذاته ومعناه، كلها أنكر على منكر منهما، للطائفتين والعاكفين والركع السجود، قيوم الحياة، مع من قام بالحياة من الله، مُعلماً ورسولاً ووجهها لله.

{من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها}¹⁰، {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى}¹¹، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)¹².

الإنسان نفسه حسيبه، وضميره رقيب، وعقله هاديه، وروحه مولاه ومواليه، هو قائم لا إله إلا الله، وقيومها، يوم يدخلها حصنا لله، فيدخل في حقل الزرع والحياة لكتابه وأناه واسما لله، يعهد لآدمه بمعناه لمبناه أن يكلف إبراهيم وإسماعيل من أبنائه أن يقيما القواعد من البيت لقبله الصلاة بإعمال قوانين الانتخاب ليظهر بيت الله لكلمة الله.

الإنسان هو قائم الحياة، عارية الله، يفقدها يوم ينكرها، هي الله.

الإنسان.. هو اسم الله، وهو قائم وقيوم الحياة يوم تزوج فيه منه معالم الحياة، ولا يكون له فيه ذلك إلا يوم يبايع على نفسه، فتقبل من الله عند نفس الله، برسول الله، فيعطيه الله، عوض نفسه جديد نفس، هي نفس الله، لعين معناه، نفساً لله، هو بها مسيح إنسانه، وكلمة بيانه، وآدم إحسانه، وروح عنوانه، واسم قائمه وقيومه، للانهائي مرتقاه، جعل له نورا يمشي به في الناس.. جعله قبسا من نوره في الأعلى في الموجود المطلق، لمعنى مولاه، قياما بوجود مطلق عتيقا من قيود خلقته وخلقيته، إلى قيام حقه وحقيقته إلى حرية إنسانه وإنسانيته لفردوس نفسه ومعناه لأنّاه أحدا من آحاد الله.

بهذا جاء دين الإسلام.. دين الفطرة، فطرة الله، وصبغة الله، فإذا يكون مراد رسول الله، يوم قال وهدى باسم الله، (من كنت مولاه فعليّ مولاه)¹³

ماذا أراد بأنّه مولى لمن يختار لنفسه عليّاً لمعنى مولاه، فيكون الرسول باختياره مولى له مولاه، ملتزما أمام الكافة بأن من يجعل من عليّ مولاه، يكون هو مولاه، وإلا فما كان الرسول له مولاه؟ إنه عنى أن يقول: سيد القوم خادهم، فمن رآني خادما له، وقد سودني على نفسه باختياره ورضاه سيادة لله عليه، الذي سودت ربي على نفسي فيه، فأظهرني لكم بعين معانيه، فمن ارتضاني له، راعيه، فليرتضيني عليّاً ليراعيه، وليتمم عليّ له معناه فيه، بمعناي له، وبمعناي منه، (عليّ مني وأنا من عليّ)¹⁴،

ف (من كنت مولاه فعليّ مولاه) ٢٠ فمن كان من رسول الله في قيامه باسم الله وهو قيام اسم الله، كان رسول منه عند قيامه باسم الله ورسوله.

{إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم} ٢١ فمن لم يدرك علياً أو العترة من صادفه منهم مولاه، فلم ولن يدرك رسول الله لمعنى المولى له، لأنه لم يدرك ولن يدرك دوام رسول الله، لدوام رسالة الله، لدائم هدى الله في قائم حق الله.

فكيف يزعم مثل هذا الشيء أو الكائن أنه، بالله ورسوله، قد قام هداة، أو حيا معناه، أو بعث حقه بالحق الأعلى من الله، وهو لا يصدق قول مولاه {إن شأئك هو الأبتى} ٢٢، لقد أعطيناك في معنى الخلق والحق سر التكاثر، فكنت الكوثر بمعناهما لمعناك، تقوم وتقلب في الساجدين ببصيرتك وهداك. إنما هي سبيلك تدعو على بصيرة أنت ومن يتابعك على دعوتك وحكمتك وبصيرتك، خاتم النبيين وطابع المرسلين لا انقطاع لهم، وجمع وركب العالمين وأول العابدين.. أول العابدين وأول بيت وضع للناس أجمعين. قل جاء الحق وزهق الباطل.

لقد كان لرسول الله في قائمه رسولا لله، رسالة، هي رسالة رسول الله، بما بلغ وبما حدث وبما سن وبما علم.. وبما أقام، وبما هدى، وكان لعلّي معه فيه به رسالة.

هي رسالة أهل بيت الله.. هي رسالة عترة رسول الله.. لبيان كتاب الله، ولدوام قيام رسول الله، بما سن وبما علم، وبما أقام بحديثه وهديه، عليّ أولهم والمهدي آخرهم، يتبعه الظهور الثاني لرسول الله، تنشق الأرض عنه. (جعل الله ذرية كل نبي في ظهره وجعل ذريتي في ظهرك يا عليّ) ٢٣، (كل بني امرئ يدعون إلى أبيهم إلا بنو فاطمة فأنا وليهم وأنا أبوهم) ٢٤...

حتى يحو الله عن الرسول معاني وأوصاف الخلق لوصفه بصفات عنه أزهرت، وأناه منها تخلص. {ما كان محمد أباً أحد من رجالكم} ٢٥، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ٢٦، إلى معناه بقائمه مبعوثاً بالحق واسما لله ووجهها له، إلى معاني الحق له، جعل الله له نوراً أنزل معه بمولده يمشي به في الناس، متجدداً بمبعوث حقه لتقديمه به، متخلصاً من جلاباب خلخته وخلقه، وقد حرره منهما ربه، يوم أدبه فأحسن تأديبه متخلقا بخلقه بظهور خلقه ليراه له ظلاً ووجهاً وليقومه فيه منه له عبداً ورباً، وليقوم به فرداً فيه العبد والرب حقاً.

أعلم الله به فردانيته بمفرداته، وليقوم الحق به له أحداً، عَرَفَ الله به أحديته، وجعل من فاطمة حلقة الاتصال بين حقه وأوادمه لمعاني خلقه وروح قدسه وحضرة رسوله وساحة رحمته، (فاطمة ابنتي روحي من أغضبها أغضبني، ومن أغضبني أغضب الله) ٢٧، (أنا روح القدس) ٢٨، (ما عرفني غير

ربي^{٢٩}، هي روح القدس لي، وأنا روح القدس لربي، ليقوم بحقه بكوثره لأوامه منها بواحديته، ليعرف الله به واحديته بآحاده فيعرف بمعرفته الأعلى، ويقوم بمتابعته الأدنى، وبذلك جعله رحمة للعالمين، يوم يعلمون، وجعله المثل الأعلى للمفتقرين، في عليين وفي سافلين، يوم هم بأعلى يفتقرون، فكان دينه دين الفطرة حقاً، وكان كتابه كتاب العلم حقيقة، نطقنا لنا أحواله بلسان حاله، عرفني في عليين، بقيامي بالله، في سافلين. فما كنت غير ربي، وما كان ربي لعارفي غيري، فأنا الحق لاسم الله بعليين، وأنا وجه الحق لاسم الله بسافلين، مشهود وجه الحق، لي ولعليين، وجوها للحق، به ناظرين، وبالحق لي ومني، هم لي ولهم منظورين. فكنت مشهود عين الحق، من سافلين، يرتقون، ويصعدون، وللأعلى مع رفيق لهم، له في الحق يطلبون، على ما علمت فعلمت، وعلى ما هديت فهديت، فحدثني بالحق مبعوثاً، عبد قديمي، بالحق موجوداً.

فمن لم يكن أمره لله ورسوله، في أمر نفسه لهما منهما، كان أمره فرطاً. فمن وسد أمره إلى غير الله ورسوله فهو في قيامه، وفي معيته قد وسد الأمر لغير أهله، وتعرض لفقدان أهليته، لوصف قيامه في بشريته بشراً طالبا لإنسانيته إنساناً، خروجاً من توقيته في اختباره لكسب معناه بقاءً بديوميته، بكوثر مبانیه، لأحدية معناه لمعانيه لتحقيق حكمة خلقته بكسب حقيقته لنفس ربه، أنا دائماً، ووجهاً له قائماً، بأزواجه ابنا مع أبيه، وأبا مع بنيه، أمراً وسطاً لمن يعنيه بدخوله في حصن لا إله إلا الله، وفي سلوكه طريق الله، بشهوده لشهودها محمداً رسول الله.

فبذلك وإدراكه والعمل له يوسد الأمر للنفس والعقل لله ورسوله، والله ورسوله أولى بالنفس والعقل منهما، في أمره بهما، الله أولى بعباده، هو عليهم حفيظ، وليس الرسول عليهم بوكيل إلا برضائهم، فهو هديته إليهم، أما الذين آمنوا بالله ورسوله فالنبي أولى بهم من أنفسهم، وهو حسبهم ونعم الوكيل، ارتضاهم لنفسه، فارتضاهم الله لنفسه، على ما رضيه لنفسه فهو رحمة الله للعالمين، وقريبه للمرحومين، وإحسانه للعارفين.

فما دعا رسول الله الناس بحقه في قديم أو بذاته في قائم، أو بظلاله في قادم إلا إلى ربه، وما دعاهم لمعرفته ومعرفة ربه لهم، إلا في كشف الغطاء عنهم بمعناه، قائم وقيوم معانيهم، بقائم وقيوم الحق برسوله لهم فيهم، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله، يؤتكم كفلين من رحمته} ^{٣٠}.

(إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة) ^{٣١}، انتظروا دورة أخرى للحياة بإنسانها وآدمها، وانتظروا لأنفسكم فيها كرة غير خاسرة، وفي مولد فطرة قد يكون لكم يوم ترجونه وتطلبونه وتحققونه على ما تشهدون من يومكم الذي أصبحتم تعرفون وتعلمون بركتكم في سبق خاسرة، وبالحقيقة لكم اليوم سافرة، وهذا هو أمر الفصل في رسالات الفطرة بدورة آدم، أو دورة الحياة تقوم وتشهد، على

الأرض، للمتخلفين عن رحلة الحياة، المتثاقلين للأرض، أشباحا وأرواحا، لما تقوم وتُشهد، في دوام، في عوالم الروح، لطبقات الإنسان، ترفع ببيوت من حصاد الأرض يذكر فيها اسم الله.

إذا دارت المعرفة.. إذا دار العلم.. إذا دار الدين.. إذا دار الفقه.. إذا دار الإصلاح، بعيدا عن الله ورسوله، بعيدا عن الفطرة وقوانينها وإمكاناتها وغلبتها فقد دار بعيدا عن دائرة سلامته، وعن دائرة توفيقه، وعن دائرة نجاحه، {والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماءً، فإذا جاءه لم يجده شيئا، ووجد الله عنده} ٣٢، {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون} ٣٣.

فمن وسد أمره لغير الله ورسوله، فقد ضل سواء السبيل، سواء كان هذا فردا، أو بيتا، أو جماعة، أو أمة، أو طبقة من طبقات الجنس، بإنسانية قيام في عصر، يمجدها الله في كل قرن، وكم ذهب الله من قبلهم بقرن وقرون، وكم أهلك من القرون، من بعد موسى، ومن قبل موسى، ومن بعد آدم، ومن قبل آدم، ومن بعد محمد، ومن قبل محمد، الله الأمر من قبل ومن بعد وله الملك وله الحمد في الأولى وفي الآخرة وهو على كل شيء قدير، وبإجابة المفتقرين إليه في الدارين جدير، {وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله} ٣٤، ما شهد إلا بوجه له بعبد لإنسان له، وما عرف لعارف له إلا في إحماء النفس عند النفس فيه.

فمن هم أهل الأمر، يوسد إليهم الكائن البشري، والكائن الإنساني أمره؟ إنما هم الله ورسوله. ومتى الله ورسوله؟ وأين الله ورسوله؟ وكيف الله ورسوله؟ فيجيب الرسول هما معكم أينما كنتم، (تعرض على أعمالكم فإن وجدت خيرا حمدت الله وإن وجدت شرا استغفرت لكم) ٣٥، (تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لا تضلوا أبدا، فإنهما لا يفترقان أبدا) ٣٦. (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك) ٣٧، (من كنت مولاه فعلي مولاه) ٣٨، (علي مني وأنا من علي) ٣٩، أعطيت الكوثر، وشانئ الأبترا، (حسين مني وأنا من حسين) ٤٠، فإذا عرفتموني عليا وحسنا وحسينا أمرا ظاهرا وإنسانا متكاثرا، وعرفتموني فاطمة روجا مستترا، فاعرفوني ولد الحسين، وإلا فما عرفتموني كوثر، وإلا فما عرفتموني متكاثرا، وإلا فقد وصفتهموني أبترا، اعرفوني في أنفسكم كما تعرفون الله لكم معنى الحياة فيكم.. اعرفوني في صحو ضمائرهم، وتحرير عقولكم.

إن عرفتم ذلك، فاعلموا، أنا أهل بيت خلقتنا للبلاء، اعلموا أننا أهل بيت لا ننطق عن الهوى، فقد بلونا الحياة بشقيها، وبعثنا بالحق بمعناه، نصيب كبد الحقيقة، بما نعلم، فيما فيه نُسأل، {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} ٤١، هو {الرحمن فاسأل به خبيرا} ٤٢، وها نحن قد خلقتنا للبلاء والإصابة،

في كل ما يحتاج له الناس، من معرفة، وما يطلب له الناس، أن يكشف لهم من أمر فلنا رسالة البيان لما جاء به القرآن.

لم نُخلق لتكون عبادةً للعالم وزينة لها فليست رسالتنا فيها لخدمتها وتزيينها ولكنا خلقنا فيها لنبعث بالحق لأهلها (إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الأولى)، لأمرنا في الأولى وفي الآخرة، كلها ظهرنا للناس فيهما، ولا غيبة لنا عنهما ولا سجن لنا فيهما.

(نحن آل بيت خلقنا للبلاء) وكما نحن، قد أبلىنا، وظهرنا بالبلاء، فنحن، نظهر ونقوم ونستقبل من الله الابتلاء لتكمل للناس بنا لهم أسوتهم في قدوتهم رحمة بهم وكال رحمته بنا.

أفسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا، وهم لا يفتنون؟ وهم لا يختبرون؟ ونحن ما خرجنا عن الناس، وما تعالينا على الناس، وما تعالينا في الله أن نكون غير الناس فنحن بخلقنا وحقنا قدوة الناس إلى رب الناس، نحن آل بيت خلقنا للابتلاء، وها نحن محل الابتلاء، (ها نحن آل بيت خلقنا للبلاء)، لنكون أسوة للناس بما نبلى به، من متاعب هذه الدار ونحن أئمتها، وهداتها رحمة من الله بهم فيما به يبتلون.

صبرنا ونصبر بما علمنا، وما صبرنا إلا بالله، هو حسينا عليه توكلنا، وإليه ننيب. {إنما نطعمكم لوجه الله، لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً}٣. من كان منا فأولئك الذين يفعلون فعلنا، {ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً}٤، مسكيناً مفتقراً إلى الله، يطلب رفده وغناه من نوره وحكمته، ويتيماً مقطوعاً عن ركب الحياة، يطلب من بالحق خلقه ووالاه، وبالرسول آواه، وبالرسالة تولاه.. وأسيراً لهواه، وأسيراً لذاته وشهوات نفسه ومبناه، لبدنه ما اشتهاه لنفسه وأثره وعزته وكبريائه وعلاه، لقصور عقله فيما يرتضي وفيما يرضاه، فيطلب التخلص مما به ابتلاه. {ويطعمون الطعام على حبه}٥ محبة لله، يشهدونه في خلق الله، الله من ورائهم، في علاهم بعلاه، والله من ورائهم، في دنائهم، بدنياهم بدنائه، يشهدونه لا إله إلا الله، ويكبرونه الله أكبر، لمعنى مولاهم ومولاه، يشهدونهم في أنفسهم وفي خلق الله، قائم الحق من الله.

(نحن أهل بيت خلقنا للبلاء)، نصدق في البلاء، ونصدق عند الابتلاء، لا تطغينا النعمة، ولا يئسنا الرجاء، إن كنا أرباباً على مقاعد الحكم، فنحن الخدم لمن نحكم، (أمة مذنبة ورب غفور)٦، نتسع بحلمنا للمسيء، ونتسع بعزتنا لمن ظلم نفسه بطغيانه، ونتسع بحكمتنا للجاهل، ونتسع برحمتنا للعالم، وما توفيقنا إلا بالله.

وإن كنا بين دهماء الناس، يخفيننا الله بين خلقه، عبادا للرحمن، نمشي على الأرض هونا، نخاطب الناس سلاما، ونذكر الله لأنفسنا ولهم، قعودا وقياما، وعلى جنوبنا من أحوالنا في مظاهر أحوالهم، بحالهم، صحوا ونياما، لا يرهبنا الطغاة، ولا تعوزنا النجاة، ولا يسجدنا الطغيان، ولا يضعفنا الحرمان. (نحن أهل بيت خلقنا للبلاء)، فنحن نصيب كبد الحز، في مناصرتنا للضعفاء لا ينالهم طغيان، بتصرف الله وحمايته. ونحن نصيب كبد الحز^٧، أعزاء على الأعزاء، ورحماء للرحماء، وكتب علم العلماء، ومصدر حكمة للحكام.

(نحن أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الأولى)، لقد جعل الله هويتنا، ورغبتنا، ودينتنا^٨ أن نعمل دائما وأبدا، كما عملنا بقائم لقادم، في قديم أزلا، فنحن قننا في الخلق بالحق أزلا، قياما بالحق للخلق أبدا.

(نحن أهل بيت اختار لنا الله الآخرة على الأولى)، نعمل دائما في أمر أنفسنا، أن نكون في قادم خيرا مما نحن فيه في قائم، كما عملنا في قديم، فبعثنا بحقنا في قائم، على وفاء لقديم.

لقد وجدنا ما عملنا حاضرا، لم تنفصل كرات القديم، عن كرة القائم، والآن نعمل حتى لا تفوتنا كرات القادم، من كرتنا في القائم، لأنفسنا، ولمن يعمل بعملنا، ولمن يتواءم في مسلكه معنا، ولمن يتحاب معنا محبة الله، يحبنا حبا لله، ونحبه محبة لله، نرضيه، مرضاة لله، ويرتضينا طلبا لمرضاة الله، نطمع أن نكون وإياه، في دائرة رضوان الله، ورضوان من الله أكبر، لا فرق بيننا وبينه.

هذا هو الإسلام، لا يغيب ولا يحتجب بعنوانه من المسلمين مع عترة الرسول.. هذا هو الخلق العظيم، والخلق العظيم للرسول حقا وعبدا، وهذا هو معنى، (نحن آل بيت، اختار الله لنا الآخرة على الأولى)، نرد كل الأمور إلى الله، لا نرد أمرا في اختبار، ولا نرد أمرا في بلاء أو في ابتلاء، بل نرضيه، ونستعينه لنصيب الحز فيه، ولا نرد أمرا باصطفاء، فلا يبطرنا الرضاء، بل نستعينه للإصابة في استعمال العطاء، فإذا وقعنا في خطأ نرتئيه نرتد عنه عندما نكشفه لنرضيه فإلى الله أمرنا، لأنفسنا نرضيه، ولمن يكون معنا فيه، قريبا منا نراه ونرتئيه، فلمن كان معنا، كما لنا، نرضيه ونرتجيه، نحن وإياه، في الله أخلاء، وفي الله أحياء، على ما كان رسول الله مع الأعلى بوصف ربه ومولاه، ومع الأدنى لوصف عبده ومعناه، وعلى ما كان مع حقه، وخليله ونفسه وعينه من الروح ومن الناس.

(بين أنا نائم أطوف بالكعبة...) ^٩ فأنا الناس نيام (رأيت رجلا آدم) ^{١٠}، وقد أظهرني ربي على الدين كله، فعرفت قبل آدم مائة ألف آدم، وبعد آدم مئآت الألوف من الأوادم، وعرفت أنه (لا تقوم الساعة إلا ويظهر على الأرض آدم) ^{١١}، فعلبت أن الله مُشهدى أمر ساعتكم.

فما كنت بينكم إلا آدم، ولن أكون في شهودكم يوما إلا بمعاني الآدم، يوم تكونوا في شهودي لعين معناه أودم تشهد آدمًا، وآدم يشهد أودمًا، إني أشهدكم وجوه الله، يوم تشهدوني لكم لله وجه.

(رأيت رجلا آدم، قلت من، قيل ابن مريم)^{٥٢}، قيل ابن الأرض، قيل ابن الإنسان، قيل ثمرة شجرة الجنس يتوفاه الله لمقامه فيه وقدمه منه، قيل كلمة طيبة، وشجرة طيبة، وسدرة منتهى، وعلم مرتضى، رأيت آدمًا نفسًا متوفاة لكمالها.

ثم رأيت (رأيت رجلا أحمر بدين، أعور العين، كأن في عينه نبقة)^{٥٣}، شغلته الأرض ومادياتها حتى أعمته، والنظر إلى الحق فيه أفقدته، (قلت من؟ قيل الدجال)^{٥٤}، قيل إنه دعي المعنى للأعلى، يزعمه مسيحا لعل نفسه، وهو الأدنى في قيامه وحسه.

إنه الكائن القابل لأن ينظر، وقد عمى عن النظر، يجابه الكائن القابل لأن يرى، والله من ورائهما باختباره وفتنته، فبه وجه الله يظهر وينظر، جز بحكمة الله عن أن يظهر، والله من ورائهما بحكمته، والله من ورائهما بقدرته، والله من ورائهما بوحدانيته، والله من ورائهما باختباره وفتنته. لو شاء ربك ما فعلوه، لو شاء ربك لهدى الناس جميعا، ولكن الناس تجمعوا خلف الأعور، وقُل من قام خلف المبصر.

إنهما شقا إنسان، إنهما وجهها عنوان، إنهما قدما كيان، إنهما مظاهر الإنسان في شموله، إنهما من أحوال الإنسان في قيامه وشموله، إنهما من ظلال الإنسان ظله في علاه في ظله في دناءه، وإنهما من أعلام الإنسان في تواجداته من حجابيه بالنور والظلام.

(قلت من قيل الدجال)^{٥٥}، وها أنا أعلمكم، فاعلموا عني، وخذوا مني، ولا تضيعوا علمي، ولا تخيبوا فطرتكم أن تكون في فطرتي، وحققتكم أن تكون في حقيقتي، اعلموا أن الله ليس بأعور بإنسانه هو في معيته.

إن للإنسان في الله مدارج ومعارج، إن الإنسان في الله أعمى، وإن الإنسان في الله أعور، وإن الإنسان في الله مبصر، وهو الإنسان، دائما، يكشف له عنه غطاؤه من عماه، فينظر في بصره بأمر دنياء، عبدا لها، لبلوغ زينتها، أمره كعبد لها، وهو ما صار إليه بعبادتها، فيعلم أنه فرط في أمر أخراه، كان له في دنياءه. فيطلب ويعمل لرجعته يرجعها له.

فإذا ما أعطي كرة تفتحت فيها عيناه، بدخوله في حصن لا إله إلا الله، كان نعم الاسم لله، مؤمنا مرآة مؤمن، ارتضى الله فارتضاه الله، وأنكر على نفسه، فبعث بإنسان مولاه، رفيقا أعلى لاقاه، مع

معروف رسول دانه، فكان إنسان الله، وكان عبد الله، وكان رسول الله، وكان الحق من الله، فمضى على الأرض هونا، فما بالدنيا أو بالآخرة فتته فأطغاه عن ذكر مولاه.

هذا ما جاءكم به رسول الفطرة، وقائمها، ورسول الله وقائمها، والحق من الله، وقائم حق الله، فجعل منكم أفراداً أسماءاً لله، وجعل منكم جميعاً بيوتاً لله، وجعل منكم أمماً حضرات لله، وجعل منكم إنسانية حضرة لآحاد الله.

قام فينا بشعاره لا إله إلا الله، فكان شعارنا به الله، فقمناه شعاراً لله، بشعار الله محمد رسول الله. نلتقي بشعاره وشعارنا في الله أكبر، والله أكبر فنرفع علم لا إله إلا الله، أزلاً وأبداً وسرمداً.

اللهم يا من تجليت بخلقك إنساناً لك، لا تقطع بنا تجليك، واجعل منا كوثرًا لمعانيك، واجعل منا عوالم لأسمائك وصفاتك ومعاليك.

اللهم لا تجعل لنا وجوداً أبترًا، واجعل بنا لك وجوداً أزهرًا، كلمات طيبة تنمو وتزهر أبداً، في جنان وجودك، وجنة شهودك، وحقى موجودك كوثرًا.

اللهم كن لنا في الكبير والصغير من شأننا، ويسر بك فيك لك أمرنا، وأتمم لنا فيك نورنا، وحقق لنا حكمتك من خلقنا.

اللهم وقد جعلتنا في قانون خلقك لنا، خلقتنا لنفسك، ورضيتنا لأمرك يوم رضيت عنا من صنعك.. اللهم لا تتخلى عنا، بما فعل السفهاء منا، وبما فعلت بنا سفاهات نفوسنا، ونزوات ذواتنا وأبداننا وشهواتنا.

اللهم لا تتركنا لخدعة الدنيا، تخدعنا وتفتننا، وتضلنا وتستهلكنا، وتهلكنا، وتحيط بنا فتمحونا، يوم تدفعنا للكنود فتجفونا.

اللهم يسر أمرنا فيها، لأمرك بها، واجعل من أمرك بنا، أمراً عليها، وأمراً لها، ولا تجعل منها أمراً لك علينا، وأمراً بنا.

وولِ اللهم بإرادتك، وبعزتك، وبرحمتك، وبحكمتك أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، ردا لأعمالنا، وكسبا لأفعالنا.

لا إله إلا أنت سبحانك، إنا كنا من الظالمين، اللهم أرجعنا إليك وكن لنا في عودتنا، وتقبلنا في رجعتنا، وأيقظنا من غفوتنا، وأحيِ قلوبنا، وقوم نفوسنا، وجوارحنا، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك، بكشف الغطاء عنا لقيامك، بدوامك وبقائك.

أضواء على الطريق

من هدي السيد الروح المرشد والمعلم الأكبر (سلفربرش) ..

(إذا كنت عبدا لخرافة قديمة أو لعقيدة عتيقة، أو كنت قد وصلت إلى قمة المعرفة الروحية، فلا تقرأ أحاديثنا.

أما إذا كنت تعرف أن الحياة ما هي إلا مخاطرة، وأن النفس تبحث دائما عن مجالات جديدة لتخترقها، وعن سبل جديدة لتكتشفها.. فعندئذ ستجد فيما نقدم لك تلك الحقائق الروحية الأساسية التي تقف وراء كل أديان العالم.

فلا يوجد في تعاليمنا شيء يضاد ما علمه مؤسسو كل الديانات، بل يوجد الصدق المتعلق بالحياة على الأرض والحياة الآخرة. فلو كنت مستعدا لقبوله فسوف تجده يضيء عقلك، ويخصب نفسك. ولن تجد شيئا يعصي منطقك أو يهين ذكاءك، لأن كل ما نقدمه، إنما يقدم بروح المحبة، والرغبة في الخدمة).

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ من حديث شريف: "إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا..." أخرجه الحاكم، والبزار، والطبراني. يتكرر هذا الحديث مرات كثيرة في هذه الخطبة. (ملحوظة: هذا الحديث سيتكرر عدة مرات).
- ٢ حديث شريف. أخرجه الترمذي في صحيحه، والدارمي
- ٣ حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي: "ألا كلّم راع وكلّم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلّم راع وكلّم مسؤول عن رعيته".
- ٤ سورة آل عمران - ٣١.
- ٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٦ استلهاما من الحديث الشريف: "إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا.." بحار الأنوار. المكتبة الشيعية. (ملحوظة: هذا الحديث سيتكرر عدة مرات).
- ٧ سورة يوسف - ١٠٨
- ٨ حديث شريف، يوم غدير خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلى الله عليه وسلم، بيد علي رضي الله عنه، فقال ألسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى قال ألسن أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى قال فهذا ولي من أنا مولاه اللهم وال من والاه اللهم عاد من عاداه. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.

- ٩ حديث شريف: "أنا مدينةُ العلم، وعليَّ بأبها، فمن أرادَ العلمَ فليأتِ الباب". المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم.
- ١٠ إشارة إلى الحديث الشريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق". أخرجه الحاكم في المستدرک.
- ١١ إشارة إلى حديث شريف: "إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب". أخرجه الطبراني، والسيوطي، وغيرهم من المحدثين.
- ١٢ إشارة إلى حديثين شريفيين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي.
- ١٣ من الحديث الشريف: ".. فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَاتَنْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَاتَنْتَظِرِ السَّاعَةَ". صحيح البخاري
- ١٤ جزء من حديث شريف. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فَضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخِمْ بِيَ النَّبِيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.
- ١٥ سورة الإسراء - ١٥
- ١٦ سورة النجم - ٣٩
- ١٧ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنما هي أعمالكم تُردُّ عليكم، فمن وجد خيرا فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه". الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح. أيضا الحديث: " يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم بإياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه." صحيح مسلم.
- ١٨ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلى الله عليه وسلم، بيد علي رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَى قَالَ فَهَذَا وَلِيُّ مِنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ١٩ حديث شريف: "إن عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي".، أخرجه ابن حبان واللفظ له، والترمذي وأحمد باختلاف يسير.
- ٢٠ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلى الله عليه وسلم، بيد علي رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَى قَالَ فَهَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٢١ سورة الفتح - ١٠

- ٢٢ سورة الكوثر - ٣
- ٢٣ إشارة إلى حديث شريف: "إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب." أخرجه الطبراني، والسيوطي، وغيرهم من المحدثين.
- ٢٤ حديث شريف: "كُلُّ بني آدمَ ينتمونَ إلى عَصْبَةٍ إلا وَلَدَ فَاطِمَةَ فَأَنَا وَلِيَهُمْ وَأَنَا عَصَبَتُهُمْ." الراوي: السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير، وأخرجه الطبراني في (الكبير)
- ٢٥ سورة الأحزاب - ٤٠
- ٢٦ سورة الأحزاب - ٦
- ٢٧ حديث شريف: أخرجه البخاري ومسلم، بصيغ متعددة، " فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي." كما أخرجه بعض الشيعة بلفظ: "فاطمة بضعة مني وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، من آذاني فقد آذى الله."
- ٢٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢٩ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكاظمي بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".
- ٣٠ سورة الحديد - ٢٨
- ٣١ من الحديث الشريف: ". فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَاتَنْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَاتَنْتَظِرِ السَّاعَةَ." صحيح البخاري
- ٣٢ سورة النور - ٣٩
- ٣٣ سورة البقرة - ١١، ١٢
- ٣٤ سورة الزخرف - ٨٤
- ٣٥ من حديث شريف: "تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت خيرا حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم." أخرجه النسائي والطبراني.
- ٣٦ إشارة إلى حديثين شريفيين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي.
- ٣٧ حديث شريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق." أخرجه الحاكم في المستدرک.
- ٣٨ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلى الله عليه وسلم، بيد علي رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَى قَالَ فَهَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنَ الْوَالِهِ اللَّهُمَّ عَادِ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٣٩ حديث شريف: "إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي."، أخرجه ابن حبان واللفظ له، والترمذي وأحمد باختلاف يسير.

- ٤٠ حديث شريف: "حُسَيْنٌ مِنِّي، وأنا منه، أَحَبُّ اللَّهِ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ مِنَ الْأَسْبَاطِ". رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان.
- ٤١ سورة النحل - ٤٣
- ٤٢ سورة الفرقان - ٥٩
- ٤٣ سورة الإنسان - ٩
- ٤٤ سورة الإنسان - ٨
- ٤٥ سورة الإنسان - ٨
- ٤٦ حديث شريف: "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِي عَارِضَتِي الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا ثَلَاثَةً أَسْطُرٌ بِالذَّهَبِ - لَا بَمَاءٍ الذَّهَبِ: السَّطْرُ الْأَوَّلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَالسَّطْرُ الثَّانِي: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَبِحْنَا، وَمَا خَلَفْنَا خَسِرْنَا. وَالسَّطْرُ الثَّلَاثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ". المحدث: الألباني. المصدر: السلسلة الضعيفة، وضعيف الجامع.
- ٤٧ تَكَلَّمَ فَأَصَابَ الْحَزَّ: تَكَلَّمَ فَأَقْنَعَ
- ٤٨ ديدن: عادة ودأب
- ٤٩ من الحديث الشريف: "بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُطَوَّفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبَطُ الشَّعْرِ، بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطَفُ رَأْسُهُ مَاءً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ ذَهَبَتْ أَلْتَفَتْ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ، جَعَدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَالُ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبْهًا ابْنُ قُطَيْنٍ". أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير.
- ٥٠ انظر الملاحظة السابقة.
- ٥١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومعناها في السياق.
- ٥٢ من الحديث الشريف: "بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُطَوَّفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبَطُ الشَّعْرِ، بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطَفُ رَأْسُهُ مَاءً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ ذَهَبَتْ أَلْتَفَتْ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ، جَعَدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَالُ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبْهًا ابْنُ قُطَيْنٍ". أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير.
- ٥٣ نفس الحديث الشريف. أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير. وفي حديث آخر للبخاري ومسلم أيضا: "إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ".
- ٥٤ نفس الملاحظة السابقة.
- ٥٥ نفس الملاحظة السابقة.

(٨)

الشیطان والرحمن فی کائن الإنسان هو لهما عالم، وهو بهما علما فی أمره من الرحمن رحمانا، وهیکله من الأكوان شیئا وشیطانا

حديث الجمعة

٧ شعبان ١٣٨٤ هـ - ١١ ديسمبر ١٩٦٤ م

بسم الله

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نعوذ بالله، أقرب إلينا من حبل الوريد، بروح الحياة منه، من الشيطان الرجيم، يجري منا مجرى الدم في بيت الذكر له.

نستعين عليه بالله، حتى يُسلم لله، ونتوسل برسول الله، حتى يؤمن بنور الله، ونتوكل على الله، حتى يخضع لذكر الله.

نجاهده في الله لله، طمعا في جوده، كما يجاهدنا في نفسه لنفسه لبقاء ظلام موجوده.

ندعوه إلى الله، حتى يستيقظ في موجوده لعدمه، ويدعونا إلى نفسه، حتى ننزلق إلى مآله لندمه. وكلانا في أمره المجاهد، ولزميله المعاند، حتى يجمعنا الأعلى على أمره لأمرنا أمرا له. (كان لي شيطان ولكن الله أعانني عليه فأسلم فهو لا يأمرني إلا بخير)^١. (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم^٢، ضيقوا مسالك الشيطان بالجوع والعطش^٣)، إن الإنسان بشيئه لأناه مع روحه لربه لكونه، {إن الإنسان لربه لكونه^٤}.
١٦٥ من ٨٩

يَدَّعِيه بدءاً للوجود، ويطلبنا للشهود، وندعوه إلى من أوجده، حتى يشهده، برسول الله إليه بنا، عقلاً ونوراً له ولنا، حتى يرعوي، وحتى توضع الأمور في نصابها فينطوي، وترد السيوف إلى جرابها، فلا نلتوي، فيقوم الروح لنا وله بيننا وبينه بالسلام، ويتواجد لنا وله مع الروح الأمان.

فنصير واحداً في الله بعد اثنين، ونرجع إلى الحق هو لنا ونحن له، نحن الاثنين. كلانا في نظرنا لنا للأعلى في الله عبد، وكلانا في وحدتنا لأخيه خليل وعليه دليل، وكلانا وجوه أحدنا في أحديتنا لأخيه خليل وعليه دليل، وكلانا وجوه أحدنا في أحديتنا بخصائصنا لصفات معادننا على عمله رب. وكلانا بأناه لعين أخيه يؤثر على نفسه مع مؤاخيه. وكلانا يخال من آخاه في الله، ويتوادم معه فيه خليل للخليل، ويعرف الود في الله والمودة فيه حبيب لحبيب، فيعرف الحب ويؤمن به ويدرك ويدعو إلى المحبة فيه.

{وخلقناكم أزواجاً}° بظاهر وباطن لكم، ظاهركم العبد لباطنكم الرب، وظاهركم الرب للأدنى، لباطنكم العبد للأعلى، والله من وراء العبد ومن وراء الرب، لمعانيكم للحق بهما، قائم إنسان الله بإحاطته وقيوميته لقائمكم لقيامه فيه.. أحاداً له به.

في الله نجتمع بفطرة الوجود يوم نعرفه بالحياة له بنا، فلا أنا ولا أنت ولا هو، ولكنه الله، ولكنه الحياة. وفي الله بها على الله لمعاني وجوهه لأمره بها نتحاب فنأترف، ونجاهد أنفسنا، فنفترق في معنى الاستقامة على طاعته فنختلف في النظر على ما يكون لمرضاته، صادقين فيما فيه نقوم، حتى يتلاشى يوماً قيامنا إلى قيامه. حاضراً لنا، كل منا على ما يدرك، لا يعترض على أخيه، ولا يعطل له عملاً فيه، بل يعينه على مراده ليسترضيه، محتفظاً بالود بينهما يستبقيه، ليكونا في الله واحداً فيه.

أنا لربي، عبداً له وحققاً منه، مع نفسي عالماً لكوني ووجوداً لأنائي بمعاني تتوصى بالحق، وتتوصى بالصبر، ونطمع أن تلحقنا يد المحيط بنا من الله، فتنتشلنا من عوالم الحمقى والحق، فعلى الله إيماناً به ومحبة له نأترف، وبوجوده في وجودنا نعترف، وعلى المجاهدة لإعلاء أمره وظهور كلمته بنا قد نختلف، فهو الغيب، في غيبة أحدنا عن أخيه بحقه فيه له. وهو الشهادة يوم نجتمع علينا فينا فيه، (المؤمن مرآة المؤمن)^٦، فترانا لبنات في بيوت معانيه، وفي بنيان عوالم معاليه.

نحقق ذلك لنا بعملنا يوم نتجمع، لبنات فيه، حول لبنة، بمن من بيننا يصطفيه، ننكر علينا معه ليجعل منها ومنا نصباء، للحائرين فيه، والدائرين حول أنفسهم في دائرة مفرغة من مبانيه، بعيدين عن مركز للحياة لدائرة وجود وتواجد فيه، طلباً لحقائقه ومعانيه اتجاهها لقبلتهم في أنفسهم، {وفي أنفسكم أفلا

تبصرون} ^٧ (إن لله كنوزا مفاتيحها الرجال) ^٨، مع معلم وخبير فيه، يدعو إلى الله مع كائن على بصيرة به وحقيقة فيه.

ما اجتمع الإنسان على الإنسان في الله بصدق إلا ويجعل الله منهما لهما فيه قبة حياة، تقام معها الصلة وإليها الصلاة، عندهما منهما ذكرا لله، وبقيام الصلاة في قيام الصلة بين العقل والقلب يذكر الله، (المؤمن مرآة المؤمن) ^٩، يوم يؤلف الله القلوب، وتعلو كلمة الله. فما قامت الصلاة، إلا لذكر الله، {وأقم الصلاة لذكري} ^{١٠}، وما أقام الصلاة، إلا ذكر الله، وما كان مذكور الله، إلا ذاكر الله، ذكر لذكر، يوم يتجمع على ذكر الله، قلب على قلب، {وألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم} ^{١١}، {يا أيها النبي لا تطع الكافرين والمنافقين، إن الله كان عليما حكيما} ^{١٢}، {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه} ^{١٣}، {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} ^{١٤}.

ويوم تتجمع القلوب، تتلاحق فتتحد، فتتلاحق القوالب فتنتظم. ويوم تتلاحق القلوب والقوالب، يشاد ويرفع البيت، فتقام منابر، وتعلو وتشرق مناراته، وتصيح بدعوة الحق مآذنه، فتعلو كلمات الله بكلمة الله الجامعة لها، {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه} ^{١٥}. بذلك تستقيم الأمور في الله، ويستقيم العمل الصالح، وتثمر الحياة، {في بيوت أذن الله أن ترفع، ويذكر فيها اسمه} ^{١٦}، هي قلوب اصطفائه، لإنسان عطائه، إنسان الله وعبد، إنسان الله ورسوله، {رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله} ^{١٧}، في بيوت موضوعة أو مرفوعة، {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا} ^{١٨}.

إنسان الله.. مأمول كل إنسان، ومطلوب كل إنسان، هو الحياة لكل كائن، ولكل شيء، يوم يطلب الكائن الحياة، ويوم يطلب الشيء الكيان، ليزحزح عن توقيت أنه بوصف الخلق، إلى موعود معناه، لوجه الحق، {فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز} ^{١٩}، {ولمن خاف مقام ربه جنتان} ^{٢٠}، جنة للقيام في قيام بإحسان، وجنة للهآل مدركة بحس وعيان قطوفها دانية، وجنى الجنتين دان، فهو من جنان إلى جنان، حتى إلى جنة أنه، بفردوس ذاته، لأحدية معناه، حرثا زرع، وحصادا جناه، بما قدمت وفعلت يداه.

الله قائم على كل نفس، وهو أقرب إلى النفس من حبل الوريد عند كل إنسان، والدنيا والآخرة في الإنسان تجتمعان يوم يسلم الله شيطانه، ويجمع له من القلوب بنيانه، ويحدد له في الوجود مكانه، فيقوم فوق الأزمان زمانه، وقد صار وجهها باقيا لله، كل من عليها فان يوم تمسكه الدنيا بسلطانها، وتشده إلى بنيانها، والذي يبقى ممن عليها من كان وجهها لله.

كل الذي فوق التراب تراب، ويبقى له معناه من الوجود بالحق، يوم يدرك أنه ليس هو مبناه، ولكنه هو المالك لمبناه، إنه ما به من الحياة، إنه ما به من الروح، وإنه بأحدية جماعه من المعنى والمبنى العبد للأعلى، والرب لما يصنع، يدا لمولاه، {والله خلقكم وما تعملون} ٢١، {إنما هي أعمالكم ترد إليكم} ٢٢، {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} ٢٣، {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى} ٢٤، إن الله بقيامه على كل نفس بما كسبت، جعل من كل نفس وجودا كاملا، أو نواة لوجود كامل، فيه كل قضايا وشعارات وحقائق الدين. وتكفل بالجميع لغايته به، وكلف من اهتدى بمن طلب الهدى، أزلا وأبدا، وطلب من الجميع أن يرى الله له معه، وأن يطلب الهدى مع من اهتدى، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله} ٢٥، {ولتركبن طبقا عن طبق} ٢٦، {المؤمن مرآة المؤمن} ٢٧. {المرء على دين خليله} ٢٨.

إن الذين يتجمعون متواصين بالحق في الحق، متواصين بالصبر صابرين بالله له، فإن يد الله معهم دوما، {يد الله مع الجماعة} ٢٩، بالغ بها مراده لها يوما، {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} ٣٠، وهو الله بظاهره لظاهرها وبباطنه لباطنها، وتنهى عن المنكر وهو ما غير الله بموهوم وجود لموصوف الخلق، لمعنى الشرك به بقيام النفس شريكا له في عزلتها عنه بمعناها، أو بشيء مبناه، فما كان الله في دين الفطرة إلا الحياة للأحياء، وما كان الشيطان في دين الفطرة إلا في عبادة البنيان والأشياء، قامت للنفس في حيرتها وظلامها في بحثها عما تحب وعما ترضى حجابا للحق بها عن الحق لها، عطلها عن إدراكها لإحاطة الأعلى بها من خلفها، هي وجه له.

فما كان إبليس للإنسان، إلا نفسه، يوم ينطبع بها في تيهها وضلالها، في غيها وبهتانها، في وهمها وكبريائها، في فهم عزلتها عن إرادة مبدعها وخالقها، بقائتها في قيامها لشيئها، في نسيانها للأعلى بوهم عليائها، في تجاهلها وجهلها للموجد لها بقديمها، {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} ٣١.

{الإسلام دين الفطرة} ٣٢. فما تكون الفطرة؟ وما يكون دينها؟ وما يكون الكائن البشري، والشيء الآدمي منها، في ميدان الفطرة ومجالها؟ وما يكون الرسول عند المرسل إليه؟ وما يكون الرسول من المرسل له؟ وما يكون الله للمرسل إليه، وللرسول، وللمرسل له؟

هذه هي قضايا الإسلام، يوم يقوم الإسلام حقا دينا للفطرة، وكتابا للنفس، وإشراقا من المعرفة، عند العارف، بانطلاق نور العقل، وإحاطته بظلام الذات كثيفة ولطيفة، وسلطانه عليها، يدا لله ممسكة بها، موقظة ومحركة لها، ونورا للفؤاد، متواجدا في القلب، ومشرقا منه. به قامت معرفة الإنسان عن نفسه في دائرة وجوده، بمعرفته عنه في دائرة حقه وحق رسوله.

آمن بالله حقاً، ولقيه رسولا، فتعارف إليه في نفسه حبا ومثالية، يوم دخل في بيته من ذاته قبله، ومن نفسه لهيكله وجوداً، ومن وجوده لمعناه عالماً، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون} ^{٣٣}، {ينقلب إليك البصر خاسثاً وهو حسير} ^{٣٤}، {فلنولينك قبلة ترضاها} ^{٣٥}، {يا أيها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي وادخلي جنتي} ^{٣٦}، {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا} ^{٣٧}.

بذلك كان في دخول الإنسان قبلته دخولا في جنته، بالقلب الواسع الرحيم، دخولا في أولى جنانه لعالم الروح الأول، وكان ذلك أمراً مُدرِكا لحسه، قرين دخوله في نفسه من النفس الكلية لكله، لقيها وعرفها لكوثر الرسول ومراكب خلاصه، محققا لنفسه نفخة الروح في أسوار بنيانه، نورا على نور، وروحا على روح، وحقا على حق، باجتماعه إلى جماعته بنيانا إلى بنيان، وطبقة فوق طبقة، يوم يدخل البنيان في بنيان أكبر، والطبقة في طبقة أعلى، والروح في روح أعظم، خلقناكم أزواجا وقناكم آحادا.

إن التزاوج والفرقة في الإنسان أمر متواجد فيه، بدءاً من أحده لوحدة ذاته في كيانه لكائه، فالصراع في الحب والبغض قائم فيه بين أبعاضه، وهو سعيد بالحياة ما تواءمت وتساندت أبعاضه، مواصل لها ما اتحدت، وما تخلى عن حاضر جسده من أجساده، كانها وينتظرها لمعنى أنه إلى معناه من الروح والحياة.

وهو شقي بالحياة دوماً، وفاقد لها يوماً، ما تنافرت أبعاضه، ولمعناه قبل مبناه هزمت وهدمت، (كل الناس هلكي إلا العالمون) ^{٣٨}، {بعضكم لبعض عدو إلا المتقين} ^{٣٩}، (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) ^{٤٠}.

يوم تتزاوج المجموعة اليمنى العصبية، والمجموعة اليسرى، يحيا القلب بجناحيه من الرئتين فيستطيع الصعود إلى الرأس ويشرق العقل بنور الله، فيستطيع الدخول إلى بيته من الصدر فتتلاقى الرأس مع القلب، إذ تتلاقى الإرادة مع العاطفة على مراد واحد، فيتزاوج الظاهر مع الباطن، والباطن مع الظاهر، إذ يتكشف اللطيف المحيط للقبلة بالمركز، إذ تتحول الذات فؤاداً لللطيف القلب العتيق المنطلق.

تتزاوج الروح مع الذات، في تزاوج قديم أسماء الصفات مع قائم المعنى للأناية بالحق للذات الروح المتجسد، فإذا ما قامت الحقيقة من مظهر الفرد إلى مظهر الجمع عروة وثقى، تزاوج الروح لقديم الأسماء، مع حاضر الروح القائم، لحاضر المسمى بالبشرية، بيت الله وإنسانه، فيتواجد المؤمن لموصوف الخلق لبطونه لمعنى المؤمن لموصوف الحق، ويعرف ويلاقي المؤمن بقائمه، لباطنه لاسمه المؤمن، فنعم الاسم لله، (المؤمن مرآة المؤمن) ^{٤١}.

وهكذا يظهر الحق بالإنسان يوم يبعث الإنسان بالحق، فنعم الاسم المؤمن، الرفيق الأعلى، فالرفيق الأعلى، فالرفيق الأعلى في الله ذي المعارج، حتى إلى المؤمن بنفسه الغني عن العالمين المطلق في معناه ومبناه، الذي عنونه الإنسان، في إيمانه بوجوده، الإنسان القائم في ذاته لذاته بذاته، بلا إله إلا الله، شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم.

من دخل في الانهائي لا يشهده مغيرا لوجوده، ولا يشهد غيره لوجوده، إلا أن يشهد لنفسه شهادة الأعلى لنفسه، ويعلم عن نفسه علمه لنفسه، بما شاء أن يعلمه عن نفسه، بمعلوم الله عنه له، عالما به في نفسه منه، اسما ووجها له، {شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة وأولو العلم} ^٢ شهدوا شهوده بشهادته لنفسه في أنفسهم، فما ظهر الله لمشاهده بوجوده ذاتا تشهد إلا برسول منه، وما ظهر بروحه إطلاقا يدرك إلا لعبده له، وما ظهر باسمه الله، إلا لعينه به، يتسمى وجها لوجه له، وحقا لحق منه، فالأسماء للكائن الإنساني في أطواره تفتي إلى اسمه لمسماه به، إذ يبقى اسم الله له، وتفتي أسماؤه لمبانيه بفنائها عنه إلى اسم بانيه ومظهره ومبديه.

فما ظهر باسمه الحق من الله ابقاء له بالأسماء الحسنى يبقى وتفتي أسماؤه، بما سماه به آباؤه، إلى اسم مبدعه، لذوات التسمي خلقها الخالق لنفسه في أطوارها لذوات صفاته، إلى مسماه لاسمه الجامع (الله) له في أحسن تقويم، علم الوجود المطلق، الكل وجهه.

نعم المسمى للاسم الخالد، أختبر فصمد، وعرف الله في وجوده الأحد، يوم به توحده، فظهر به وجه الآحاد وجها لها من وجوه الكل وجهه، وحقا لها من حقائق الكل حقه، وعبدا لها من عباد الكل عبده، فذلك هو عالم الرشاد.

لا يحجزه مكان له من الوجود، ولا ذات له في السجود، عالم سقطت عن أهله قيمة الأسماء، كما تحررت أعلامه عن معالم الصور والأعلام والأشياء. هذا العالم هو ما تدعو إليه الفطرة، وتقومه لها الصبغة. هو عالم الكمال الإنساني، لا يغيب فيه الحق، ولا يتردد فيه بين أهله لفظ (الله) لمعلومهم عنه لمعنى غيرهم به، لإدراك قيامهم به لجماعتهم له، {أليس منكم رجل رشيد} ^٣.

(ليس الشأن أن تعرف ما هو الاسم الأعظم، ولكن الشأن أن تكون أنت الاسم الأعظم) ^٤، ليس الشأن أن تشهد وجهه الله بآدمية رسوله، فتغيب وجهه الله! وهو المحيط من وراء كل شيء، بالأشياء يشهد، وقد اختفى عنك في شدة ظهوره بك، عن ظهوره لك، {فأيتنا تولوا فثم وجه الله} ^٥، تراه إذا لحقك لطيفه لبصيرتك، فنظرت بعينه إليه، فليس الشأن أن تشهد وجهه في الكائنات،

ولكن الشأن أن تكون أنت وجهها لله معلوم أمرك، وأنت في حاضرك من أطوارك بقاءم كرتك، لمشهود نفسك في مرآة أخوتك فيه، تراك بمعناك لمعنى وجهه في مرآة الوجود فيما ترى.

الكل يحمل معنى الوجه لله، نضر وجهه أو غبر، فأنت وجهه لمحج نوره بعوالمها ما كنت من عوالم النور، أو وجهه لمحج ظلامه بعوالمها ما كنت من عوالم الظلام، ولكن هل ستحرص على أمانة الوجه له؟ هل ستبقى لك أمانة الوجه له، أم أنها ستتخلى عنك؟ يوم تفرط في أمرك به، لأنها عارية، أنت عنها فيها مختبر، وهي لك في معيتك تنتظر، فهي بك تظهر يوم تكسبها وتربحها هدية من الله وهبة منه، رحمة بك، قدمها بدون مقابل منك، أو عمل يصدر عنك، {ليبلوكم في ما آتاكم}، أيكم أحسن عملا^{٤٧}، {والله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس} ^{٤٨}.

جعل الرسول قدوة مرضية كافة للناس يوم اصطفى محمدا من عالم الأديم لآدم ليكون آدم مرة أخرى، وجعله منه حقا يشهد ويقصد يوم اصطفى قبضة من نوره، حضرة من أهل نوره، حقيقة من عوالم نوره، لتكون لمصطفاه من ناشئة الليل، فقال لها كوني محمدا فكانته، فتواجد به الإنسان له أزواجا من النور، ومن الطبيعة، تطورت به الطبيعة إلى فطرتها لصبغتها بأطوارها، يوم امتزج بها أنواره ليبقى لها ولتبقى به، {آتيناك سبعا من المثاني} ^{٤٩}، {والنور الذي أنزلنا} ^{٥٠} معه، به تشهد، وبه نتواجد، وبه توجد، وبه تصطفى، وبه تعمل، وبه تخلق، كشفا لما كان متواجدا للإنسان بالآزال بلا بدء، وبشرا بما يتواجد للإنسان بالآباد بقاء بلا انتهاء، لخير الناس بما هو قائم بالعروة الوثقى لحاضر الحياة بين الآزال والآباد، {أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها} ^{٥١}.

فالإسلام بوصفه دين الفطرة، به يتحرر العلم من كل قيد، وبه يدرك العقل يوم يتحرر من قيود المادة لقيد ذاته، فينطلق في الوجود، خلق له، جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، ثم يعود ليجمع في ذاته سكينته له، ليتحرر من الوجود إلى الموجد، لا تقله أرض، ولا تظله سماء، {يا معشر الجن والإنسان، إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض، فانفذوا.. لا تنفذون إلا بسلطان} ^{٥٢}، {إن العزة لله جميعا} ^{٥٣}، {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} ^{٥٤}، يوم تمتد قدرة الله بعزته إلى رسوله برسوله من رسوله، فيصبح الرسول عزيزا بعزة ربه من الأعلى، ويوم يمتد الرسول بعزته من عزة ربه من ربه في الله ذي المعارج في المؤمنين {أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ^{٥٥}، فيصبح المؤمنون أعراف بعزة رسوله، من عزة ربه، فتعرف العزة لله جميعا.

(تعرض على أعمالكم فإن وجدت خيرا حمدت الله وإن وجدت شرا استغفرت لكم) ^{٥٦}، فما تكون الشفاعة؟ هل لها زمان؟ هل لها أوان؟ هل لها مكان؟ إنه يستغفر لكم في دوام، وتعرض عليه أعمالكم

في كل قيام، وهذه هي الشفاعة. ويوم ترتضونه لأنفسكم مثلاً أعلى ارتضاه الله لنفسه، فيرتضيك لنفسه، فهذه هي الوسيلة. فتى تكون الوسيلة؟ وأين تكون الوسيلة؟ وكيف تكون الوسيلة، إن لم تكن في امتداد نوره، ومحو ظلام نفوسكم، إلى مشرق نفسه؟

وهذا من الله لكم، يوم تزهق نفوسكم بباطلها وظلامها، وتبعث بنفسه، بحقها ونورها، على ما بعث هو بحق الله بقيام الأعلى من نوره لنفسه وأمره، إفاءً له عنه إلى مفنيه، ببقاء به لمعنى مبقيه.

قامت رسالته على أن يُشهر، وأن يُعلم، وأن يفعل ذلك للناس، ما تابعوه ولأنفسهم هدية من الله ارتضوه، يوم أمر أن يقول {جاء الحق وزهق الباطل} ^{٥٧}، {فأما اليتيم فلا تقهر} ^{٥٨}، فقال (ما أعطيته فلا متي) ^{٥٩}، يوم رد السبيل إلى ربه، {إن ربي على صراط مستقيم} ^{٦٠}، فرد ربه السبيل إليه، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} ^{٦١}، بُعث بالحق، فأشهر (والذي بعثني بالحق) ^{٦٢}، (والذي نفس محمد بيده) ^{٦٣}، (من محمد!) ^{٦٤}، (من رأيي فقد رأيي حقاً) ^{٦٥}.

عُرِف بالحق الذي عرفه وعرفه، لا يزول ولا يفنى عند المؤمنين بالله ورسوله لأنفسهم. فكيف يزول أو يفنى من بُعث بالحق؟ فيقول لنا الأعلى خطاباً له {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد} ^{٦٦}.. {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} ^{٦٧}، {إنا أعطيناك الكوثر} ^{٦٨}، فصل لربك، وامتد بنورك في ظلام القلوب، حرر به العقول من سجونها، واقتل المادة في وكرها، وانحرهم عنهم، وبك فابعثهم، اقتل نفوسهم بنفسك، وكل نفس أحييت بنفسك فقد أحييت بها الناس جميعاً.

{لا نسألك رزقا، نحن نرزقك، والعاقبة للتقوى} ^{٦٩}، لا نسألك عباداً، نحن نرزقك عباداً، إن الأعلى لك من الله {ألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم} ^{٧٠} يوم ذكروا الله لأنفسهم وعرفوه لقيومهم بقائهم إيماناً بالله ورسوله لهم بهم معهم وعليهم، فعرفوا النبي أولى بهم من أنفسهم.

إنك على خلق عظيم، لقد أظهرناك على الدين كله، وكلفناك أن تعلم الناس الدين كله، وأمرناك أن تخاطب الناس على قدر عقولهم، وهديناك أن تصبر نفسك معهم، حتى تحيا أراضى قلوبهم، وتفتح سجون رؤوسهم، وتنطلق أنوار عقولهم، وتشعل من جذوة الحياة حملناكها إليهم نار نفوسهم، وأن تشيد بهم لهم عوالم السماوات والأرض، نموا وتطورا لبنيان وجودهم، {أيحسب الإنسان أن يترك سدى}. ألم يك نطفة من مني يعني ^{٧١}، و{خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون} ^{٧٢}.

عَلَيْهِمُ الْحِكْمَةُ، وَزَكَهُمْ لِيَكُونُوا عِبَادًا لَنَا فَهَذَا أَيْسَرُ لِلْقَبُولِ عِنْدَ نَفْسِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمُ تُعَلِّمُهُمْ لِيَقْدُرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ، فَيَكُونُوا عِبَادًا لَكَ، فَتَرْضِيهِمْ عِبَادًا لَنَا فَيَقْدُرُونَ اللَّهُ بِمَعْرِفَتِكَ حَقَّ قَدْرِهِ، عَلَى مَا قَدْرَتَهُ، فَيَشْهَدُونَ فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ عَلَى مَا شَهِدْتَهُ.. {وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} ٧٣.

يَا اسْمِ اللَّهَ.. يَا وَجْهَ اللَّهَ.. يَا حَقَّ اللَّهَ.. يَا بَيْتَ اللَّهَ.. يَا نُصْبَ اللَّهَ.. يَا عَالَمَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِلْأَعْلَى مِنَ اللَّهِ، وَعَوَالِمِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِلَّهِ، لِلْأَدْنَى مِنَ اللَّهِ، يَوْمَ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُمْ بِهِمَا كُلُّهُمْ مَشْرُوعٌ عَوَالِمِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَوْمَ يَدْخُلُونَ فِي مَوْجُودٍ وَجُودِكَ، وَيَسْتَقْبِلُونَ مِنَ اللَّهِ جُودَهُ بِجُودِكَ، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} ٧٤، مَا قَدَرْتُمْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، نَعَمْ الْمُؤْمِنُ الَّذِي {أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ} ٧٥، {فَاْمُنْ أَوْ أْمَسْكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} ٧٦، (آخِرُ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ يُعْطَى عَشْرَ أَضْعَافٍ هَذِهِ الدُّنْيَا) ٧٧.

إِنَّكُمْ يَوْمَ تَشْهَدُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّمَا تَبْدَأُونَ مُتَابِعَةً رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا تَطْرُقُونَ الْبَابَ، إِنَّمَا تَخْلَعُونَ الْجُلُبَابَ مِنْ مَادَّةِ الْأَرْضِ، وَتَبْدَأُونَ رَحْلَتَكُمْ فِي بَحْرِ الْحَيَاةِ، فِي جَلَابِيبٍ مِنَ النُّورِ يَوْمَ تَرْكَبُونَ سَفِينِ عِتْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَتَبْدَأُونَ الْعِلْمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، فَيَدَانِيَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ بِكَفْلِيهِ لَكُمْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَيُشْرِقُ فِي أَفْئِدَتِكُمْ نُورُ اللَّهِ نَوْرًا لَهُ لِقَائُكُمْ وَقِيَوْمُ نَوْرِ اللَّهِ لَكُمْ، وَيَجْعَلُ مِنْكُمْ وَجُوهًا لِلَّهِ، يَوْمَ يَجْعَلُكُمْ وَجُوهًا لَهُ، وَاسْمَا لِلَّهِ يَوْمَ تَرْضَوُكُمْ فَيَرْضِيكُمْ اسْمًا لَهُ، فَتَشْهَدُكُمْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، قَامَ فِيكُمْ وَتَقْلَبُ فِيكُمْ بِالسُّجُودِ لِلَّهِ، فَتَدْخُلُونَ الْمَعْرَاجَ الَّذِي الْمَعَارِجُ، مَفَارِقِينَ لِعَالَمِ مَادَتِكُمْ، سِيرًا إِلَى عَوَالِمِ حَقِيقَتِكُمْ.

فَإِذَا مَا اسْتَقَرَّ بِكُمْ الْحَالُ، وَعَرَفْتُمُوهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَعَرَفْتُمُوهُمْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، بَدَأَتْ رَحْلَتَكُمْ لِحَقَائِقِكُمْ بِمَعَانِيكُمْ لِأَنَّا بَيْنَ آحَادِ اللَّهِ، يَوْمَ تَخْلُقْتُمْ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ، فِي تَخْلُقِكُمْ بِأَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ، وَقَدْ عَرَفْتُمْ اللَّهَ أَكْبَرَ، فَقَدَرْتُمْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَعَرَفْتُمُوهُمْ وَالرَّسُولَ وَرَبَّهُ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذِهِ هِيَ أَقَانِمُ الْفِطْرَةِ لَوَحْدَتِهَا لِأَحَادِهَا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ مَا يَسْمِيهِ كِتَابُهُ {بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ٧٨ عِنْدَمَا يَثُورُ الْجَدَلُ فِي اللَّهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ {وَلَا تَجَادَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ٧٩، لِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ عَنِ اللَّهِ.

يَوْمَ انتَظَرْتُمْ مِنَ اللَّهِ الْمَزِيدَ، مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فِيكُمْ، وَمِنْ اللَّهِ لِمَعَانِيكُمْ، فَدَخَلْتُمْ فِي اللَّهِ أَكْبَرَ، وَشَهِدْتُمْ وَقْتَهُمُ اللَّهُ أَكْبَرَ، فَأَعْلَنْتُمْ وَأَشْهَرْتُمْ اللَّهَ أَكْبَرَ، اللَّهُ أَكْبَرَ، فَجَدَدْتُمْ تَكْبِيرَهُ إِحْرَامَكُمْ مِنْ تَحْرِيمِ أَوَانِيَكُمْ عَلَى غَيْرِهِ، إِلَى تَحْرِيمِ أَعْلَامِكُمْ عَلَى غَيْرِ الْأَكْبَرِ لَهُ، يَوْمَ قُتِمَ لِلصَّلَاةِ، قِيَامَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْهَا فِي قَائِمِ قِيَامِكُمْ، فَجَعَلْتُمْ كُلَّ صَلَاتِكُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ، مُصَلِّيًا وَمُصَلًى وَقِبْلَةَ صَلَاةٍ، بِقِيَامِكُمْ بِمَعْنَاهُ فِي قِيَامِهِ بِمَعْنَاهُ لِلْأَعْلَى، يَوْمَ آمَنْتُمْ مَعَهُ بِحَاضِرِكُمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَطَلَبْتُمْ اللَّهَ أَكْبَرَ، وَجَاهَدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ لِلَّهِ أَكْبَرَ.

فيكشف عنكم الغطاء، بعد الغطاء، في معراج إلى الله لكم فيكم، يطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى ذات الله، تشهد لكم بكم فيكم، بها تقومون، ولها تشهدون من ذوات آحاده به فيه لمطلقه للانهايه. فهو لا يُشهد في أحديته إلا لأحديته، يوم تحي أحديتك بلا إله إلا الله، في أحدية الأكبر بها، مسيحا لمسيح، حتى للانهايه الحق للحقيقة، في مطلق وجوده وجوده في معراج لا يتناهي.

فتدعوه باسمه الوجود لوجودك حقا وعبدا وخلقا، وتصفه المطلق لإرادتك هي له إرادته، وتشهده الله لمعناك، في شهودك لك وجهها له، وتشهدك رسوله معلما لوجهه، وجوها لك بالله أكبر، مبشرا بلا إله إلا الله بقاءها بك، هاديا محكما، مشهدا، محمدا رسول الله بقاءك ومعناك لقاؤه بك.

بذلك يقوم دين الفطرة في مجال النفس علما بها، في صدودها وودها، في كبريائها وخضوعها، في وهبها بقبول علمها أو حرمانها ورد أعمالها إليها، في إذلالها لتكوينها، وإعلائها، وقيام وصلتها، وتحقيق رجائها، وفي هذا نموها، وصمودها لأطوارها في تطورها لكاملها، بجهل وتجاهل ونسيان وتناسي قديمها، إلى الانشغال بطلب قادمها، بإيمانها بها عبدا لله في قائمها، بلا إله إلا الله، وبمحمد رسول الله، لقيام حق بها بالله أكبر، لدائمها وجهها لله وحقا منه وربما على عملها به في فردوس فردها لها، أحدية له من آحاده به.

هذا هو علمنا، على ما يجب أن يكون العلم عن النفس في دين الفطرة.. وهذا هو علمنا عن رسول الله كما يجب أن يعلم في دين الفطرة.. وهذا هو علمنا عن مرسل رسول الله على ما يجب أن نعتقده ربا لنا وإنسانا لله ورفيقا أعلى في دين الفطرة.. وهذا علمنا عن الغني عن العالمين معبودنا وإلهنا على ما يجب أن يقدر عندنا لنا في دين الفطرة.. وهذا علمنا عن الظاهر بالحق رسولا إلينا يجب أن ينشد منا بيننا في دين الفطرة.. وهذا هو علمنا عن هذا الحق الظاهر لنا بعباد الرحمن بيننا في دين الفطرة.

فهل عرف الناس دين الفطرة؟ وهل قام الناس في دين الفطرة؟ وهل طلب الناس دين الفطرة؟ سيرهم الله آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، فيدخلون زرافات ووحدا في دين الفطرة، ويعرفون دين الفطرة، ويطلبون دين الفطرة لأنفسهم، يوم يقوم الروح برسالة التعريف عن رب العالمين، وهو ما تقوم به الرسالة الروحية في هذا العصر، بدء ثابت وثيد متزايد متصاعد متجدد متواجد.

رابطة بين القديم والقائم لجديد يقوم ويتجدد ويتقدم في رباط متصل، ليس به فجوات لحقات مفقودة بين الحلقات المشهودة بدءا من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ولن يتكامل القرن العشرين إلا بإشهار مولد عصر جديد لكلمة للحق، جديد مسيح لإنسان الله ورسوله.

لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، محمد رسول الله رحمة للناس، وهدايته للوجود، وطلعت للشهود، لا إله غيره ولا معبود سواه.

اللهم يا من جعلت للفطرة ديناً.. اللهم يا من جعلت للفطرة صبغة.. اللهم يا من جعلت صبغة الفطرة، اسم الله، ووجه الله، وظاهر الله، وجعلت من علم الفطرة عنها فيها لها، دين الله، وكتاب الله، وعلم الله.. اللهم اكشف حجاب الغفلة عنا، حتى ندخل الفطرة، وحتى نقرأ كتاب الفطرة، في قراءتنا لكتاب أنفسنا، في وجودنا، حروف كلماتك، وكلمات حديثك، وكتب معرفتك، ومعرفة نورك، ونور وجودك، ووجوه روحك، وروح حقك، وحق حقيقتك.

اللهم ألحقنا بمن عرف ذلك كله، وقد أظهرته على الدين كله.. اللهم اجعلنا به منه لنا في وجوده، وفي روحه، وفي نوره، وفي طريقه، وفي مسيره، وفي دائرته، وفي تعاليه، وفي تدانيه، وفي تواجده، وفي تجاهله، وفي علمه، وفي حجاب، وفي كشف حجاب.

لا إله إلا أنت، لسنا غيرك بلا إله إلا الله، شهدنا محمدًا رسول الله، ولسنا غيره بالإيمان به، والمتابعة له، والدخول في كنفه، واللجوء إليه، توسلاً إليك، وطلباً لك، وافتقاراً إلى رحمتك، جعلته حوضها وبحارها، وجعلته قبلتها ومدارها، وجعلته فيضها ومزارها.

ونحن مع أنفسنا مع مادتنا عرفنا نحن الشياطين، ونحن الأبالسة، فقنا اللهم به شرور أنفسنا، وارحمنا اللهم به حتى توجدنا، اللهم به نخلقنا بخلقك، اللهم به فتواجدنا لحقي وجودك، اللهم به فابعثنا لدائم قيامك، اللهم اجعلنا به وجوهاً له، لنكون وجوهاً لك.

لا إله غيرك ولا معبود سواك.. اللهم به فول أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا، وأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وتولنا في الكبير والصغير من شأننا، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك.

أضواء على الطريق

يقول السيد/ ا. و. أوستن وهو يقدم لتعاليم السيد الروح المرشد سلفربرش:

(هذه التعاليم التي ينقلها من المصادر العليا، ويصر أنها ليست له بل هو الرسول المكلف بنقلها، لا يقصد بها الإعجاز في البلاغة من كائن أوتي كل الحكمة. كما أنه ليس الغرض منها خلق دين جديد. إذ أن الإلهام لا ينقطع أبداً، وإنما يتوقف على ما لدينا من استعداد لاستقباله. وليس من تعاليم الروحية أننا نجرد أنفسنا من غريزة النقد، وأن نوافق بدون تفكير على كلام إنسان آخر، سواء كان هذا

الإنسان في هذا العالم أم من العالم الآخر. إنه يحتكم إلى المنطق على أن ما لا يتسع له منطق القارئ يرفض أو يترك حتى تثبت عنده صحته).

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ حديث شريف ذات صلة: "ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله أعاني عليه، فأسلم، فليس يأمرني إلا بخير." أخرجه مسلم وأحمد. أيضا: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعاني عليه فأسلم." صحيح الترمذي.
- ٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم." أخرجه مسلم والبخاري. وكذلك: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعاني عليه فأسلم." أخرجه أحمد بلفظه، والترمذي والدارمي باختلاف يسير.
- ٣ حديث شريف ذكره الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" أن الرسول قال لعائشة: ضيقي مسالك الشيطان بالجوع.
- ٤ سورة العاديات - ٦
- ٥ سورة النبأ - ٨
- ٦ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه." أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٧ سورة الذاريات - ٢١
- ٨ حكمة مأثورة تتناغم مع الحديث الشريف: "إنَّ من الناس مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ." أخرجه ابن ماجه في سننه، وهكذا صححه ابن حبان.
- ٩ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه." أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ١٠ سورة طه - ١٤
- ١١ سورة الأنفال - ٦٣
- ١٢ سورة الأحزاب - ١
- ١٣ سورة الكهف - ٢٨
- ١٤ سورة التحل - ١٢٨
- ١٥ سورة فاطر - ١٠
- ١٦ سورة النور - ٣٦
- ١٧ سورة النور - ٣٧
- ١٨ سورة آل عمران - ٩٦

- ١٩ سورة آل عمران - ١٨٥
- ٢٠ سورة الرحمن - ٤٦
- ٢١ سورة الصافات - ٩٦
- ٢٢ من حديث قدسي: "يا عبادي! إنما هي أعمالكم تُردُّ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه". الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح. أيضا الحديث: "يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم بإياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه". صحيح مسلم.
- ٢٣ سورة الزلزلة - ٧-٨
- ٢٤ سورة النجم - ٣٩، ٤٠
- ٢٥ سورة آل عمران - ٦٤
- ٢٦ سورة الانشقاق - ١٩
- ٢٧ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٢٨ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ٢٩ من حديث شريف: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْعَلُ أُمَّتِي - أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى ضَلَالَةٍ وَيُدُّ اللَّهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَدَّ شَدًّا إِلَى النَّارِ". صحيح الترمذي، والحاكم.
- ٣٠ سورة آل عمران - ١٠٤
- ٣١ سورة الرعد - ١١
- ٣٢ إشارة إلى الآية الكريمة {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} والحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ نَصْرَانِيَّةً، أَوْ يَمَجْسَانِيَّةً. صحيح ابن حبان. كما أخرجه البخاري ومسلم مطولاً.
- ٣٣ سورة الذاريات - ٢١
- ٣٤ سورة الملك - ٤
- ٣٥ سورة البقرة - ١٤٤
- ٣٦ سورة الفجر - ٢٧، ٢٩، ٣٠.
- ٣٧ سورة سبأ - ٤٦
- ٣٨ حديث شريف جاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي باب "حقيقة النية ومعناها"، بصيغة: "فالنَّاسُ كلهم هلكي إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكي إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكي إلا المخلصون، والمخلصون على خطرٍ عظيم". وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر: سمعت ذا النون المصري يقول: "الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون على خطرٍ عظيم، قال الله عز وجل: "ليسأل الصادقين عن صدقهم".
- ٣٩ سورة البقرة - ٣٦

- ٤٠ حديث شريف. أخرجه البيهقي، كما أخرجه الطبراني بلفظ: " ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلته كان لك نوراً، أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك".
- ٤١ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبخاري والطبراني
- ٤٢ سورة آل عمران - ١٨
- ٤٣ سورة هود - ٧٨
- ٤٤ مقولة للسيد أبي الحسن الشاذلي.
- ٤٥ سورة البقرة - ١١٥
- ٤٦ سورة الأنعام - ١٦٥
- ٤٧ سورة الملك - ٢
- ٤٨ سورة الحج - ٧٥
- ٤٩ سورة الحجر - ٨٧
- ٥٠ سورة التغابن - ٨
- ٥١ سورة الأنعام - ١٢٢
- ٥٢ سورة الرحمن - ٣٣
- ٥٣ سورة يونس - ٦٥
- ٥٤ سورة المنافقون - ٨
- ٥٥ سورة الأحزاب - ٦
- ٥٦ حديث شريف: "تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت خيراً حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم". أخرجه النسائي والطبراني.
- ٥٧ سورة الإسراء - ٨١
- ٥٨ سورة الضحى - ٩
- ٥٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٦٠ سورة هود - ٥٦
- ٦١ سورة يوسف - ١٠٨
- ٦٢ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.
- ٦٣ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.
- ٦٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٦٥ حديث شريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنِي. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.
- ٦٦ سورة الأنبياء - ٣٤

٦٧	سورة يوسف - ١٠٨
٦٨	سورة الكوثر - ١
٦٩	سورة طه - ١٣٢
٧٠	سورة الأنفال - ٦٣
٧١	سورة القيامة - ٣٧:٣٦
٧٢	سورة غافر - ٥٧
٧٣	سورة النساء - ١١٣
٧٤	سورة الحديد - ٢٨
٧٥	سورة الأحزاب - ٣٧
٧٦	سورة ص - ٣٩
٧٧	في إشارة للحديث الشريف "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ كَبُوءًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا." أخرجه البخاري ومسلم.
٧٨	سورة العنكبوت - ٤٦
٧٩	سورة العنكبوت - ٤٦

(٩)

معية الله للإنسان كيفما شاء كانت فكان كائن الشيطان أو كائن الرحمان الله من ورائهما بالحرمان أو بالإحسان

حديث الجمعة

٢١ شعبان ١٣٨٤ هـ - ٢٥ ديسمبر ١٩٦٤ م

بسم الله، ظهر بالإنسان أزلاً..

بسم الله، يظهر بالإنسان أبداً..

بسم الله، يظهر بالإنسان معلماً في دورة الحياة أمداً، قياماً لتقديمه عليه قائماً، وبقادمه عليه مجتمع.

بسم الله، الإنسان السرمدي، إنسان الوجود الخالد، لمعنى الحاضر الدائم، الطاوي للقديم والقادم بقاءً، حقيقة المعبود والحق العابد، حقيقة الوجود والحق الموجد.

بسم الله، ظاهراً بالإنسان، صلى على قائمه بتقديمه وقادمه، من طرفيه وصله في أحديته، وبصورة قامه في واحديته.

بسم الله قبل الأزل، وبسم الله بعد الأبد، وبسم الله فوق القيام، وبسم الله بعد القيام، لاسم اللانهائي السرمدي، ليس كمثله أحد.

بسم الله الخالق.. بسم الله المعلم.. بسم الله الرحمن الرحيم.

بسم الله تجلى نخلق.. بسم الله عدل فسوى.. بسم الله حرر فحقق.. بسم الله علم فتوحد.

بسم الله لا شريك له، ولا وصف له، ولا إحاطة به.

بسم الله الظاهر بالإنسان.. بسم الله الباطن بالإنسان.

بسم الله، عنونه كل عنوان، وأشار إليه كل كيان، وتواجد به كل وجود، وسعد به كل عارف، وتحدث عنه كل عالم، وحمل نبأه وخبره كل كتاب، وكل علم، وكل فعل.

بسم الله، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

بسم الله، قَدَّرَ فهدى، فتواجد بمن اهتدى، وتقَدَّرَ بمن قَدَّرَ.

بسم الله، منح الرحمة للرحيم، وبالرحيم بطن، وبالرحمن منه ظهر.

بسم الله، منح العلم للعليم، وبالعليم علم، ومنه أوحى وألهم.

بسم الله، علم البيان، للإنسان، فكان عليه العنوان، وأوجد كل شيء من أجله، وجعله من أجله، فاستوى به على عرش الوجود، بعطائه، وسرى به في كل موجود، برحمته وبلائته.

جُعل للناس كافة من الرسول ومعناه، أمر الله. وجعل من الربوبية معه له عليه راعية، ساهرة، معدة، معينة، حافظة، أمر الله عليه. وجعله للمؤمنين، أمره ويده، وقَدَّم سعيه. وجعل يده العليا، على كل يد ممتدة بيعة، يمينها، بعملها، بصفائها، بصدق نواياها، بسلامة طواياها، باستقامة مسعاها، بطاعة مولاها، يد الله فوق أيديهم.

{إن الذين يبايعونك، إنما يبايعون الله}¹، مَنْ خلقت وخلقهم، ومن برحمته وقدرته وجوده، يسوي بينك وبينهم يوم نتوحدهم، بوحدانيتك معه، قل لهم سبحوا الأعلى، الذي خلق فسوى، وقَدَّرَ فهدى، رسولا من أنفسكم، ظاهر الأعلى لحقائقكم.

من نكت فإنما ينكت على نفسه بالتفريط في أمره، ومن وثق بما عاهد عليه الله، فالله مؤجره ومعطيه أجرا عظيما، فوق ما يحول بباله، وأكرم مما يقوم بحاله، وأشرق مما يزهر له بمثاله.

للمثل الأعلى أوجده، وهياه كافة للناس، وجعل المثل الأعلى له ظاهرا به قدوة لهم، جعله الطريق لكلماته تتم وتعم، برحمته، وبعلمه، وبكتابه، وبمكينه وقدرته، وبحلمه وعزته، بفنائها عنها، وقيامها بمنحته. (أنا رحمة مهداة)²، (إن لله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها)³.

يرددون اسم الله، بأفواههم، وهو لا يتردد، بحقه، إلا يوم تردده القلوب بوجيب، وتسمعه الضمائر فتجيب، فتنتطق باللفظ القلوب (الله الله)، كلمة تسمع للأذان لها ولغيرها من الأبدان. تحيا به القلوب فتبصر بنورها من نوره، وتسمع ما لا يسمع لغيرها في قبوره، فتعي بتأديبه وعلمه، وتقوم في تواضع برحمته.. غنية بطلعته.. سعيدة بوصلته.. موصولة توصل، وعالمة تعلم، ومرحومة ترحم، ومغفورة تغفر، وقريبة تقرب، وبأخلاق الأعلى، تقوم وتقيم.

ذلكم هو الإنسان، يوم يصبح الكائن البشري إنساناً، يعرف إنسان الأمس أخا ورفيقاً، ويعرف إنسان الغد علياً وصديقاً، ويعرف إنسان الحاضر قيوماً وقائماً، مرحوماً وراحماً، أقنوماً من أقانيم، وحقاً من حقائق، وعبداً من عباد، ورباً من أرباب، وإلهاً من آلهة في الموجود المطلق لمعنى الله.

إنسان هذه الأرض، ما بين إنسان الروح، وإنسان الكواكب، ما بين يدي رحمة الله إنسان وسط وأمر وسط، أمر الروح يعلوه، وأمر الكواكب ينتظره ويرجوه، يوم يقوم في الأرض خليفة، عن مُخلف من الأعلى، فيقصد معلماً، ويطلب وسيلة، لمن يصدق مع نفسه، ولمن يعرفه رسولا من أنفسهم، أو رفيقاً لأعلى لرفاق أدنى.

إن إنسان الروح يقارب إنسان الأرض، فيستوي معه إلى الأرض قاب قوسين أو أدنى، سواك رجلاً، كلمة طيبة وشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء متصاعداً، ثم يستوي به إلى السماوات، فيتواجد إنسان الكواكب، فيرى به فيه قديمه بإنسان الأرض، يوم يظهر مخلفاً عليها، فيقصد لها قبلة له يشهد فيها إنسان القدم، فيسعده، ولنفسه لمتابعته يحدده.

فإنسان الروح، هو إنسان الحق، ظاهراً لباطن من أعلى للانهائي، يجتمع على إنسان الأرض ليظهر به يوم يدانيه، ليعثه ذاتاً بالحق مشهوداً لأهلها، مرحومون به مختبرون فيه، كما يظهر لإنسان الكواكب معلوماً بحقيقته، فيعرف به إنسان الروح لاسم الذات العلي المداني، ويقوم به إنسان الأرض لأهل الأرض رسولا من أنفسهم، كما يقوم به إنسان الكواكب لأهل الكواكب رسولا من أنفسهم باسم الحق الداني، لمن يطلب الحق العلي قياماً بالحق الدني. بذلك كان الإنسان الذاتي في جميع مستوياته لمعنى الأنا للحق، إنسان وسط، رسول الأعلى، ورب الأدنى.

بذلك كان الأمر الوسط خير الأمور، وبذلك كانت الأرض به، يوم يدب عليها سافراً، وهو عليها في دوام غاد ورائح، أخفاه الأعلى في الخلق، وتولاه الأعلى في الأمر، فحجبه عن شأنته، ولم يمنع عنه محبيه، هو في دوام على الأرض مبدية، جاعل منه رحمته لها، وأوتاده عليها، ومصابيحها لأهلها، روح الحياة لطالبيها، ووجه الحقيقة لعاشقيها، وقرب الله لمنيبه، وظل الله لمستظليه، وبيت الله لطائفه، وقبلة الله لمستقبليه، وحبل الله لماسكيه، والعروة الوثقى لمن وثق فيه.

جاء دين الفطرة مع أمر الله الوسط ليعرّف عن الله لقائمه، أظهره على الدين كله مثلاً وقدوة لعارفيه، فكان هو قضية الله عند ذاكره، وذكر الله قديماً ومحدثاً لمؤمنيه، مظهرها لذكر قديم لعارفيه، هم الذكر المحدث من الله لله فيه.

فتعجل الناس بكبرياتهم أمرهم لهم، وكان هو في دائم أمر الله معنى الحق عندهم، فقاموا أمرهم بوجههم فرطاً في معانيه. أدركه وحققه لنفسه مواليه، وفقده وقد كان له شانيه. فهو من الله العروة الوثقى للمؤمنين بالله، هم فيه، معنى الإيمان بالله عند مقدره، هو الحق منه لقائم الله ورسوله للوجود فيه، مظهرها منه لطالبه، ووجهها له لكاشفيه، وسرا للقلوب، عرفته العقول، يوم تجمعت عليه فيه، اجتماعاً على مرسله ومبديه، بيتاً لقبلة الحج والصلاة بحقائقه ومعانيه، وظلاله ظلالاً للحق به منه فيه.

إنسان اليوم، غيره إنسان الأمس، وغيره إنسان الغد، إنه الأمر الوسط بين إنسان الأمس وإنسان الغد دائماً. إن الإنسانية بوصف الخلق لمعنى حاضرها، مرتقية متعالية لتكسب وصف الحق، وهي كاسبتها، لغدها، على ما كان من أمر ما عرفت من أمسها، بقائم حق لها، مبعوثاً بكامل قديمها، يوم تستقيم بحاضرها مع قائمه أمراً وسطاً. ومهما بلغ قائم الحق مبعوثاً بقديم، فما زال ينتظره بعث بأقدم وأكمل من اللانهائي للأزل، قائماً في اللانهائي للأبد، لدائرة الحياة في دورتها في الوجود المطلق.

صلى الله عليه من الروح بإنسانه وملئه لملائكته قديماً، ويصلي عليه من الإنسان وملئه من الناس قائماً وقادماً. ويؤمن المؤمن بنفسه فيه، مؤمناً مرآة للمؤمن، في قيام حقي دائماً، يوم يبعثه حقاً مقاماً، ووجهها مشرقاً لحق، ووجه عرفه وشهده، إلى وجه يعرفه ويشهده.

فإذا أدرك الناس في إمام حضرتهم أمة وكوثر، وإنسان نجدتهم وخلصهم مظهرها ومخبرها، حق قائمهم، وظاهر قيومهم، وبشرى قادمهم؟ قام جديداً متجدداً بكوثر مبانيه، للانهائي معانيه، متعددداً بينهم بظلال، مستمرين بينهم بحال وقال ليين لهم، مُعلماً بكُتاب، فياضاً بحجاب من وراء حجاب، وبحجاب من أمام حجاب، حجب هي له دثار، لجوهر من علم ومقال، ظاهرها بإهاب، معنونا ببيت وجلباب.

قام حارثاً في الأرض، زارعا ضارباً فيها، عرفها مسجداً له، وسعداً طهوراً به، لا يرضى وأحد من أُمته في النار، كلها تجدد لموجوده عليها أمة له. فبماذا استقبلوه؟ وكيف هم بكل ظل ظهر به بينهم عاملوه؟ هل وعوه؟ هل قدروه؟ نعم عاملوه وقدروه كلها فقدوه، وكيف هم قدروه! إنهم إذا ما قبروه، قبرا عبدوه، وقبرا عرفوه، وقبرا شهدوه، وكلما تجدد بكوثره ذاتا وهيكلها وبيتها لله أنكروه، وحقاً دائماً بينهم ما طلبوه وما قدروه وما فقهوه أو فقهوه.

فإن فقدوه وذكره لهم ذاكره، ذكره مولولين، وذكروا حالهم له مفارقين، للنبوة بوجه خاتمين، وللعلم بزعم فاقدين، وللنور بجهل مطفئين، وعلى الكوثر بكبر منكبين، وللهووم من الأمر منتظرين، للقول

محرفين، وعن الحق لأنفسهم غافلين، وهو القائم بهم على كل نفس بما لها من دين، في الأولين والآخرين، قيامه في القائمين، عبدا لرب العالمين، وربما للموقنين.

وهو بينهم برحمته في العابدين، وبرسالته في القائمين، وبسنته في الراكعين، وبقدوته في الساجدين، فيمن هم للحق بقلوبهم موقنين، حية هم بها يحيون، وللقلوب محققين مجعنين، مجتمعة بها يجمعون، ومتحقة بها يحققون، ومن العقول بصدق وعلم متحدئين له مفيضين، وملهمين، وبمقابر ذواتهم بينهم بهياكل الله متحركين، {إنك ميت وإنهم ميتون}، فإنكم إنما بالقلوب تحيون، وتبعثون، لا بالأحداث بها تمشون، ولها تحركون.

طُلب إليهم أن يسألوا أهل الذكر إن كانوا لا يعلمون، وأهل الذكر بينهم عبادا للرحمن على الأرض هونا يمشون ويتحركون، فالأرض لا تطيق وطأتهم يوم يستعلون، ولا يبقى عليها غيرهم يوم يسفرون، وبوجه الله لهم يظهرون، يوم أنهم بإذن من الله يفعلون، وإنهم يوما لفاعلون، يومئذ يخرج الناس من أجداثهم إليهم يهطعون، كأنهم إلى نصب يوفضون.

يومئذ يجيبون الداعي لا عوج له، غابت عنهم إرادتهم، وقامت بالرحمة إرادته فلا يعون، خشعا أبصارهم ترهقهم ذلة، وهم يومئذ على الذل لوجه الله لا يستكبرون. وكم تابعوا من قبل كل ذي عوج مأفون، وما كان إلا فتنة لهم تعشقوها هاوين، فهوانهم اليوم جزاء اعوجاجهم في عملهم كانوا به على الله يمترون.

يومئذ خشعت الأصوات للرحمن، وقد سمعوا الداعي الذي كانوا ينكرون، فرجفت القلوب، وأسكتت الخناجر، وهمت الشفاه، وهم ينظرون، فهم بعد جئير يهمسون، وبالإشارة يتخاضمون، يدخلون البيت للرؤوس مطأطين، ركعا سجدا وزاحفين، حطة للنفوس ليكونوا من المغفورين، قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا إنا كنا ظالمين. أما الذين آمنوا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم، في السكينة مغمورين، يومئذ كانوا السابقين المقربين.

يومئذ لا بيع ولا خلال على ما كان بينهم له يملكون، ولكنهم كانوا له يظاهرون وعليه يستعلون، وله ينكرون، فناء الحياة ميسرا لا يردون، وأيديهم ليد الله ممدودة لا يمدون، (وا عجي من أناس إلى الجنة بالسلاسل يجرّون)°، (ما أرسلت سفاكا للدماء)⁶ أيها الغافلون الجاهلون. (فن قتلته كانت عليّ ديته، وأنا ديته)⁷ لو تعلمون (أمة مذنبه ورب غفور)⁸، فما كنت إلا رحمة للعالمين. صليت بالأحياء كما صليت بالمنحورين.

هذا أمر قائم في كل وقت وحين، ما ظهر الداعي الأمين عليه يجتمعون وعنه يفترقون، وإليه في مواصلة الحياة يرجعون، إذا لم يرتابوا فيما هم به معه يؤمنون، يوم هم منه من قلبه في قلوبهم ينادون، فإليه يحجون وقبلة صلاتهم يستقبلون. (أقربكم مني منازل في القيامة أحاسنكم أخلاقاً) ^٩ لو يؤمنون، (يخلق الله له صورة يتجلى بها على الخلق يوم القيامة، [أرجو أن أكون صاحب هذه الصورة]) ^{١٠} في نفوسكم فتشهدون، (إذا كانت القيامة انقطع كل نسب وحسب وسبب وصهر إلا نسي وحسي وسبي وصهري) ^{١١}، يوم أنتم بالحق تبعثون.

إن هذا اليوم لعلم الساعة به يقومون، ترهص له أحداث الزمان عند من ينظرون، وعند من يسمعون، وعند من بأفئدتهم يفكرون وهم للسيئة لا يستعجلون، ولكنهم للحسنة يطلبون وإليها يتقدمون، ولها يعملون ويتعجلون، فلها في أنفسهم يكسبون ويربحون، إنهم عن السعي إلى أيدي الله ممتدة بوسطاء الأرواح المرشدة لا يحجمون، ولا يتقاعسون، وعلى أنفسهم يبائعون، ففي الدنيا غرباء يقومون، ويعدونهم من الموتى مؤمنين، فع الموتى يتلاقون، يوم يقوم الروح، وقد قام لرب العالمين، على ما أنكم في هذا العصر تشهدون، فلها يشاهد الموتى تشهدون، ولما علموا تعلمون. ولما علموا تعلمون، وكما جاءوا عالمكم، عالمهم تزورون، ولزيارتهم تردون، ففي فسيح الوجود تروحون وتجيئون، تصبحون وتمسون.

ها هي عوالم الكواكب تداني عالم الأرض، وقد داناها عالم الروح مجيباً لمن داناها، وقد طلب لنفسه معناه، وقد حرر الروح من مبنائها، واستعان بالله، وبروح الله، وبرسول الله لا يتعدد ولا يتحدد لمسراها، حتى تعتق رقبتها من النار، فحقق الله للروح في العالمين مسعاها ونفخ في أسوارها لاقتحام عقبتها ووضع أوزارها بمبناها، فأنازلها الطريق بنوره، فتحررت النفس من مرذول صفاتها فزكى الحق لها نفسها بالروح في جديدها، فبعثت النفوس من مقابرها، لأبدها في جديد أرضها وأمرها، فعتقت الرقاب بمعناها لأنها من النار، اصطلتها النفوس لوقتها لخميمة ورودها.

فسبح الإنسان محرراً في ملكوت السماوات والأرض، داراً له من الله بالحق، قديمه لنفسه له بناها وأنشأها، فهيأ نفسه وهو الجديد له، بمعناه ومبناه، أن ينشئ لنفسه جديداً له فيها على غرار وجودها ونشأتها ومبانيها من عمله يأتيه على ما فعل لنفسه قديمه ومبديه، إنسان رحمة الله له، جعله الله أمراً وسطاً، في إنسانية السرمد فيه.

بالرسول إنساناً، عرف الإنسان الإنسان الأزلي بالربوبية والقيومية، وعرف الإنسان الأبدي، لجديده في الإنسانية الأبدية، بمشروع الحياة الأبدي بالخلقية، فطلب الله هو في معيته بالحقية، لقائمه يتكاثر في هياكل الخلقية، لأطواره للكينونة الكونية. تسبح فيه الإنسانية، بآحاد لها، قيام الأبدية، وظاهر الأزلية.

ذلك ما جاء به رسول الله بدين الفطرة لهذه البرية، وطلب إلى قومه، وأهله، أن يقبلوا من الله به هذه العطية، فقبلها قليل من الناس، كانت لهم هدية، وقليل منهم الشكور على أرض البلية، فظهر لهم فيهم، بربه لمعانيهم، وأظهرهم به، لجمعهم لربه، هو لهم الحق الغفور. وقام برسالته منكرا على إرادته وعلى نعمته، إلى إرادة الأعلى ومنته، فقال لهم (الله يعطي وأنا أقسم)^{١٢}، (أمة مذنبه ورب غفور)^{١٣}.

أنا رحمة مهداة، لمن قبل الهدية، وأنا نعمة مزجاة، لمن عقل الحقيقة الإلهية، فقدّر نفسه فيه بالعبودية، وقدر قيومه لقائه بالألوهية، ولاقاه ولقيه فيه بالربوبية، ذكرا محدثا لذكر قديم يوم يقدر الله حق قدره، ويكبر الذكر لله في الله، بنعمة قيام الذكر به، علما على المذكور عنده، والمذكور به، أمرا وسطا، بين قديم أزلي لمعناه، لقادم أبدي لعين معناه.

هذه عقيدة من ينشد أن يكون إنسانا وعبدًا لله في الله، فناء عنه إلى بقاء لإنسان وعبد في الله، يوم يقوم معه بهدايته ورحمته ظلا له، رجل سَلِمَ لرجل، في فردوس مرشده بأحده في الله، عرفه حقا ورسولا يدعو إلى الأعلى للانتهاء على ما سوف يعرف الناس يوم يدعى كل أناس بإمامهم، ويكفر الكافرون بشركه.

من دخل في إنسان الله رآه ذاتا منه، ورآه إلى أرض الخلافة هو أدنى منه، كما رآه روحا منه، ورآه في سماء الحقيقة هو أعلى منه، ورآه مع من كان في معناه رفاقا وأعلى يتواصى بالحق وبالصبر، ليعرف بمرآته بهم عن معناه، على ما علمه إنسان الله ورآه في كل ما يعلمه مما عرف وشهد عن معناه ما زال في افتقار لأن يتواصى بالحق، ويتواصى بالصبر في متابعة قدوته، من قام بالحق رسولا، في قائم ودائم أخوته لأئمته، يجمع بالحق على قديم حضرته لعلمه، ويبدش بالرحمة والمعرفة، لقادم حضرته لمعلومه، مبشرا بتطور خلقه، بجمعه. فالناس في إنسان الله في أنفسهم ينظرون، وعن أنفسهم يعلنون.

هذا هو الإسلام، يوم يعرف الناس الإسلام.. وهذا هو فقه الإسلام، يوم يفقه الناس في الإسلام، فيعنيهم من أمرهم أمر حاضرهم، محصلة قديمهم قدم وحدة أقانيهم لأحدهم، استوى على عرشه لجماع هياكلهم.

وهم في أمرهم بما لهم، بعملهم، بداية قادمهم، هم رأس وحدة أقانيهم لأحدهم لقادمهم قدما لهم. لا يستعلون على لانتهاء الله في قائمهم، ولا يحيطون بالله في قديمهم، ولا يتعادلون معه في قادمهم.

هم إليه في دوام الفقراء، وبه الأغنياء في افتقارهم. هم عباد مكرمون، بل هم الآلهة بمعاني وجهه لوجودهم به، ولكن ليسوا آلهة مع لانتهاء إنسان الله لهم، بل العباد، هم الأرباب بخدمتهم للناس

من خلقه ومن عملهم، ولكنهم ليسوا أربابا على إنسان الله لانهاية يوم يتحقق الناس بهم، بل هم العباد لربهم نخورين بعبوديتهم. عباد ولكن لله، عباد ولكن لحقهم. عباد ولكن الملوك عبيدهم... ولعبد عبدهم أخشى الكون خادما.^{١٤}

{وعباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}^{١٥}، فكانوا أعلام السلام مع الله، وأعلام السلام مع قديمهم، وأعلام السلام مع قادمهم، وأعلام السلام مع بعضهم البعض، كان عليهم السلام، ومنهم السلام، ولهم مع الله السلام، هؤلاء هم المسلمون وأعلام الإسلام، هؤلاء هم الروحانيون ووجوه الروح للرحمن.

لا إله إلا الله، محمد روح الله لروح الله

لا إله إلا الله، الإنسان وجه الله لوجه الله

لا إله إلا الله، الإنسان ذات الله لذات الله

عباد الله.. {اتقوا الله، وآمنوا برسوله، يؤتكم كفلين من رحمته}^{١٦}، ها هي السماء تجدد رسالة الإسلام.. ها هي الروح تجدد رسالة الفطرة.. ها هو ذكر الله القديم، بالمرشدين من عوالم الروح، والمجندين من عوالم الكواكب، والقيمة من هذا العالم، يتجمعون في صعيد واحد، وفي مجال واحد، وفي حق واحد، وفي أمر واحد، ليجددوا رسالة الفطرة، متجددة في دوام، وليعدوا الناس لرسالة الإسلام متجددة بنصب لكوثر قائم، قائمة في بيان دائم، ولكنهم اليوم يجددونها على نطاق واسع، ويقومونها على نطاق شامل، لم يسبق له مثيل من قبل.

وحق هذه اللحظة، لم تكن بعد ساعة الصفر، ولكنها إذا حانت، فستبته الناس، وسيعلم الناس، وسيخضع الناس، وسيخشع الناس، وسيندم الناس، ولكن لات ساعة مندم.

إذا جاءت ساعة الصفر، وإنها لآتية، فلا بيع ولا خلال، ولكنها يد الله، يد قدرته، هي يد بطشته بالنكدين، ولكنها برسول الله يصحبها، هي يد رحمته للمؤمنين. (يخلق الله له صورة يتجلى بها على الخلق يوم القيامة [أرجو أن أكون صاحب هذه الصورة])^{١٧}.

إن رسول الله، وقد بُعث بالحق رحمة للعالمين، لن يتخلى عن الناس، وهو فيهم، وهو قائمهم، وهو مزيجهم، وهو ضميرهم، وهو حقهم، وهو نور قلوبهم، وهو مصباح مشكاة صدورهم، وهو الحق من الله لهم، زويت له الأرض، وجعلت له مسجدا وظهورا، فلم يدن أحدا، ولم يسيء الظن بربه أبدا في

إساءة الظن بخلقه، طلب لهم المغفرة، وطلب لهم الرحمة، وتجاوز بشفاعته كل حد، ووقف برحمته أمام عدله منيع سد.

{استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم} ١٨، (الحمد لله الذي حددها بسبعين، حتى يبقى بسبعين، حتى يبقى باب الاستغفار لهم وعنهم مفتوحا، وباب المغفرة لهم غير مغلق، فسأزيد). ١٩

{ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا} ٢٠، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} ٢١، فأين هو الرسول بين المؤمنين برسالته، حتى لا يتعطل أعمال هذه النصوص في قائم الفطرة؟ {إن الدين لواقع} ٢٢.

إن رسول الله لم يفارق الأرض بعد، فهو حي في قبره في انتظار انشقاق الأرض عنه، ليوم الفصل في أمر رسالته بأول ذواته إليهم أمة بها وكوثر لهم، فهو لم يستخلف له عليها خليفة بعد، وكيف يفعل ولم يؤمن الناس به أمرا لأمرهم في الله بعد؟ وأنى له أن يفعل، وهو لم يبين رسالته بعد، ولم يتمها للناس بعد؟ {وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم} ٢٣، {لتقرأه على الناس على مكث} ٢٤، ولكن الناس لم يستمعوا له كلها قام على رأس القرون في دورته المثوية انتظارا لدورته الألفية.

إن الناس لم ينتفعوا بالقرآن بعد! ولم يهتدوا بهذا الكتاب بعد! لأنهم هدموا شق الرسالة، يوم تركوا عترة الرسول، وقد هداهم أن يتمسكوا بالكتاب والعترة، لأنهما لا يفترقان أبدا، فإذا كان منهم؟ قالوا.. كيفينا كتاب الله!! وكتاب الله لم تمسه قلوبهم أو يمس قلوبهم بعد، ولم يشرق به نور الله بين جوانحهم بمجانبتهم أهله، فهو نور لا يمس إلا المطهرون، (من أول القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) ٢٥، (فقهاء أمتي في الدرك الأسفل من النار) ٢٦، (إذا خالط الفقهاء الأمراء فاحذروهم فإنهم قد تذأبوا) ٢٧، (يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) ٢٨، ويتبعون كل شيطان مريد) ٢٩. {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون} ٣٠.

إن القرآن نور الله يمس القلوب، وهو الذي يشرح نفسه بنفسه، ويؤول كلماته بكلماته، ويبين حقائقه بحقائق الوجود، تسفر نورا بنوره، وتشرق فجرا للقلوب بإشراقه، في صحبة أهله من عترة الرسول لقائم ودائم رسالته وبيانه.

لا يؤول برأي، ولكنه يؤول ويفسر بفيض من الله، بفيض من رسول الله، بفيض يفاض على ظلال رسول الله، على متابعي رسول الله، يدعون إلى الله على بصيرة كما دعا هو على بصيرة، يجتمعون على ربهم عبادا كما اجتمع، ويرونه عيانا كما رأى، ويتحدثون عنه بيانا كما تحدث، ولا يحجبه عنهم حجاب

من خلق بظلام، أو فيض من نور بأعلام، كما هو عليه لم يحتجب، (إن لله رجالا ليسوا بالأنبياء ولا بالشهداء، يغطهم النبيون والشهداء على مكائهم من الله يوم القيامة)^{٣١}.

إنهم عباد الرحمن، الرسول لهم أول العابدين، هم فوق النبوة والأنبياء. إنهم العباد، إنهم الحقائق، إنهم كلمات الله تمت، ويتم لجديد تمام للأمة الوسط، بين أزلي الحق بالإنسان، وأبدي الحق للإنسان.

هكذا يجب أن يكون إدراكنا لهذا الدين، وإدراكنا لهذه الملة، وإدراكنا لهذا الكتاب وعرة رسوله، وإدراكنا لأنفسنا في هذا المجال، وفي هذا الحقل، من يرد حث الآخرة، نبارك له في حثه، نزد له في حثه، ومن يرد حث الدنيا، نؤته منها، وما له في الآخرة من نصيب.

هذا هو الدين ننشده.. وهذا هو الله نعبد.. وهذا هو الرسول نفتدي.. وهذا هو الحق نشهده ونفتديه.

اللهم به قول أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا، وقوم أحوالنا، واجمع قلوبنا، وزكي نفوسنا، وأنر عقولنا، وكن لنا في الصغير والكبير من شأننا، والقنا به على ما تحب وترضى، ممن أحببت ورضيت، ممن عرفوا الله على ما هو، فقدروا الله حق قدره، وأدركوا أنفسهم على ما هي، فلم تفتنهم عنه، ولم تطغهم به.

لا إله إلا أنت، سبحانك، إنا كنا من الظالمين، غفرانك ربنا وإليك المصير.

أضواء على الطريق

من مقدمة السيد ا. و. أوستن لكتاب (تعاليم أخرى من سلفبرش).

(هذه التعاليم جزء من رسالة بدأت في العالم الروحي منذ عدة سنوات خلت، لتبعث الحقائق الأساسية التي بنيت عليها كل الأديان ولتظهرها ثانية للعالم في بساطتها الأولى. إن غاية الأرواح المرشدة التي تظهر في الدوائر في جميع أنحاء المعمورة خلال وسطاء من جميع الشعوب هي تعليم الإنسان الحقائق الروحية، وتسليحه بالمعرفة التي تمكنه من أن يحيا حياة الخدمة، وتُهيئ له الدخول في عالم جديد من الأخوة الإنسانية.

هو يعرف لنا باسم (سلفبرش) ولكن هذا ليس اسمه الحقيقي لأنه صرح بأن الأسماء لا يقام لها وزن في العالم الذي يعيش فيه. ولقد وعد أنه في يوم ما سوف يكشف عن يكون.. وإلى أن يحين ذلك، فأنا قانع أن أحكم عليه من كلماته، وبأن أصدق الرسالة ولو أنني أجهل الشخصية الحقيقية للرسول.

وفي أثناء السنوات التسع التي سجل فيها هذا النطق يصر على قوله أنه مبعوث من هؤلاء الذين أرسلوه، ويرفض دائماً إعزاء أي فضل له في الدور الذي بلغه في نقل هذه التعاليم، ولقد تعلمت منه كيف أحترمه كمخلوق روجي عالي صاحب نبل في الأخلاق وبساطة في النظرة وبلاغة في التعبير. إنه لا يدين أبداً إذ أنه يفيض بالفهم والعطف والإحسان. ويصوب غالباً سهام النقد إلى المعاهد لا إلى الأفراد. وإلى المنطق دائماً احتكامه، الدافع لأي عمل هو اختباراه، والخدمة لا سواها هي رغبة.

ويصر على أن الرسالة التي جاء بها المعلم فيما مضى قد حجبها الناس لعبادتهم للرسول. ويخشى أنه إذا بدأنا بشكره ربما ننتهي بتأليهه. وعلى هذا ندحض كل رسالته التي جاءت لتؤكد الاقتراب المباشر لكل إنسان من الله. فهو يرجع كل الفضل للروح الأعظم. ويقول بأنه خادم لا يحتاج إلى تشكرات. وهو ينكر الحاجة إلى شفعاء اللهم إلا بروابط الخدمة والمحبة).

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الفتح - ١٠
- ٢ من الحديث الشريف: "إنما أنا رحمة مهداة." أخرجه ابن سعد والحكيم والحاكم.
- ٣ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها"، رواه الطبراني في "الكبير" وذكره الغزالي في الإحياء.
- ٤ سورة الزمر - ٣٠
- ٥ حديث شريف: "عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل." صحيح البخاري. كما جاء بلفظ "عجبت لأقوام يُقادون إلى الجنة في السلاسل وهم كارهون." أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، وأبو نعيم في حلية الأولياء.
- ٦ حديث شريف ذات صلة: "زوال الدنيا جميعاً أهون على الله من دم يسفك بغير حق." أخرجه البيهقي. والحديث: "أيما رجل أمن رجلاً على دمه ثم قتله، فأنا من القاتل بريء وإن كان المقتول كافراً." أخرجه ابن ماجه وابن حبان.
- ٧ حديث قدسي يرد في الأدب الصوفي: "من طلبني وجدني، ومن وجدني عشقني، ومن عشقني عشقته، ومن عشقته قتله، ومن قتله فعلي ديتة، وأنا ديتة"، لكن لا تعترف به كتب الأحاديث، لكن المعنى يمكن فهمه من السياق.
- ٨ حديث شريف: "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِي عَارِضَتِي الْجَنَّةِ مَكْتُوباً ثَلَاثَةً أَسْطُرٌ بِالذَّهَبِ - لَا بَمَاءٍ الذَّهَبِ: السَّطْرُ الْأَوَّلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَالسَّطْرُ الثَّانِي: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَحِمْنَا، وَمَا خَلَقْنَا خَسِرْنَا. وَالسَّطْرُ الثَّلَاثُ: أُمَّةٌ مَذْنِيَّةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ." أخرجه الرافعي في تاريخه (٩١ / ٣) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك.
- ٩ حديث شريف: "إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكفأ الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاؤون بالنيمة، المفرقون بين الأحبة." أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.

- ١٠ من حديث شريف طويل: "إِنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْتِيهِمْ فِي صُورَةٍ غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. ثُمَّ يَأْتِيهِمْ فِي الصُّورَةِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا." صحيح البخاري. وعبارة "أرجو أن أكون صاحب هذه الصورة" هي للسيد رافع.
- ١١ حديث شريف: "كُلُّ نَسَبٍ وَصِهْرٍ يَنْقُطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا نَسَبِي وَصِهْرِي". رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي، ورواه أحمد في مسنده، كما جاء أيضا بلفظ: "كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي". أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)).
- ١٢ حديث شريف: "أنا أبو القاسم، الله يعطي، وأنا أقسم". أخرجه البخاري.
- ١٣ حديث شريف: "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِي عَارِضَتِي الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا ثَلَاثَةً أَسْطُرٌ بِالذَّهَبِ - لَا بِمَاءِ الذَّهَبِ: السَّطْرُ الْأَوَّلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَالسَّطْرُ الثَّانِي: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَجَحْنَا، وَمَا خَلَقْنَا خَسِرْنَا. وَالسَّطْرُ الثَّالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ". المحدث: الألباني. المصدر: السلسلة الضعيفة، وضعيف الجامع.
- ١٤ من قصيدة طويلة للإمام الهمام سيدي مصطفى البكري: عِيدٌ وَلَكِنَّ الْمُلُوكَ عَيْدُهُمْ وَعَبْدُهُمْ أَضْحَى لَهُ الْكُونُ خَادِمًا
- ١٥ سورة الفرقان - ٦٣
- ١٦ سورة الحديد - ٢٨
- ١٧ من حديث شريف طويل: "إِنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْتِيهِمْ فِي صُورَةٍ غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. ثُمَّ يَأْتِيهِمْ فِي الصُّورَةِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا." صحيح البخاري. وعبارة "أرجو أن أكون صاحب هذه الصورة" هي للسيد رافع.
- ١٨ سورة التوبة - ٨٠
- ١٩ استلهاما من حديث شريف حين نزلت الآية {إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}، "قال النبي صلى الله عليه وسلم: قد خيرني ربي فوالله لأزيدن على السبعين." أخرجه الطبري وآخرون بصيغ قريبة من نفس المعنى.
- ٢٠ سورة النساء - ٦٤
- ٢١ سورة الأنفال - ٣٣
- ٢٢ سورة الذاريات - ٦
- ٢٣ سورة النحل - ٦٤
- ٢٤ سورة الاسراء - ١٠٦
- ٢٥ من الحديث الشريف: "اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ فَنَ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بَرَأَيْهِ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ." سنن الترمذي.

٢٦ استلهاما من الحديث الشريف: "مررت ليلة أسري بي بأقوام تُقرضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِضَ من نارٍ، قلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباءُ أمتِكَ الذين يقولون ما لا يفعلون ويقرؤون كتابَ الله ولا يعملون به." أخرجه أحمد والبخاري وأبو يعلى.

٢٧ استلهاما من حديث أخرجه الديلمي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يحب الأمراء إذا خالطوا العلماء، ويمقت العلماء إذا خالطوا الأمراء؛ لأن العلماء إذا خالطوا الأمراء رغبوا في الدنيا، والأمراء إذا خالطوا العلماء رغبوا في الآخرة." أيضا، أخرج الديلمي الحديث الشريف: "عن الحسن، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه، ما لم يماري قراؤها أمراءها."

٢٨ استلهاما من {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير} سورة الحج - ٨

٢٩ استلهاما من {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ويتبع كل شيطان مريد} سورة الحج - ٣

٣٠ سورة البقرة - ٤٤

٣١ من حديث شريف: "إنَّ من عبادِ الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يومَ القيامةِ بمكانهم من الله تعالى، قالوا: يا رسولَ الله، تُخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروحِ الله على غيرِ أرحامٍ بينهم، ولا أموالٍ يتعاطونها، فوالله إنَّ وجوههم لنورٍ، وإنهم على نورٍ، لا يخافون إذا خاف الناسُ، ولا يحزنون إذا حزن الناسُ، وقرأ هذه الآية: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (يونس: ٦٢). صحيح أبي داود.

(١٠)

عالم الغيب والشهادة هو من قرأ نفسه في شهادته مظهرًا لحقه وحقيقته فكان رسول قديمه إلى جديده بدائم قائمه أب بين أبوين وولد بين ولدين ووصلة بين موصولين

حديث الجمعة

٢٨ شعبان ١٣٨٤ هـ - ١ يناير ١٩٦٥ م

له الدوام، ومنه السلام.

نقطع فيه الأعوام، ونستقبل منه الأيام، يُفني أجسادنا فيه الزمان، ويُحيينا به له العنوان، ذكرى في عالم البهتان، ووجودا في عالم البيان. لا إله إلا هو، لإنسان الرحمن فوق الزمان، وفوق المكان، وفوق الكيان.

لا وجود إلا لمن دخل في الهو له، بالأنا منه، فكان نعم الاسم، اسما لله، بالإيمان أحياء، ومن الجود رعا، فأفناه عن أناه، ليبقيه بأناه، أنا ووجها لمولاه، أنا ووجها لمن بالحياة عناه، وبالحياة سماه، وبالحياة حفظه فأبقاه.

حفظ وده، فودّه ورعا، ومن الهلاك حماه، وفي ساحة الحياة سلك به سبل الحياة، ومن الخسران وقاه، فعرفه لا إله إلا الله، يوم عرفه له لا إله إلا الله، فكان لا إله إلا الله، لا إله إلا الله.

عبدا عرف ربه، فكان وجها وعينا لمولاه، فكان وجها لوجه في الله، فعرفه رسول الله، لرسول الله، ووجه الله لوجه الله، وقامه رسول الله لرسول الله، فعرف معنى رسول الله، ويوم عرف معنى رسول الله عرف الله، باسم المولى دعاه وعناه وسماه، عرفه الرفيق الأعلى لمن تولاه، وبقيوم الحياة أحياء، ورسولا وربا سماه، فقال له من عناه: لا فرق بيني وبينك، إنك أناي، وأنا لك أناك،

وأنا كما أنت للأعلى أنه، فاعلني لك عينك، وأعلمك لي عيني لا فرق بينك وبينني. وانشد الأعلى في مرتفاه، تعالى عن الوصف، في ظاهره بجلاه، وفي باطنه بمعناه.

ظهره الخلق، عرفوهم مظهر الخالق، يوم استيقظت عقولهم، وأفادت نفوسهم، وعمرت قلوبهم، وبدلت عنها إلى من خلقها، وأوجدتها خلقتهم وخلقهم، فبأعلى لعين معناها سواها، وعلى أدنى جمعها لجديد معناه بمعناها أقامها ورعاها.

فعرفتها للأدنى هي عليه المؤمن الرب، وعرفتها للأعلى هو عليها المؤمن العبد، فكان المؤمن مرآة المؤمن، ربا وعبدا وعبدا وربا.

وكان الإنسان بقائه أمرا وسطا، بين أمور الله لا حصر لها سبقا وأزلا، ولا توقف لها لحاقا وأبدا، هو العبد والرب في ذاته.

فكان الإنسان أمرا لله وسطا، طوي له في معناه من واجب الوجود بمعنى الأعلى، قديم وجود باسم مولاه، وجودا شهد ببدء بالحياة له آدم، وروحا قامه وجدده لقائه ببدء الوجود له بالخلق آدم وروحا، فعرف أن نهاية الخلق آدم وروحا، لبداية حق آدم وروحا، فكان آدم والروح حقا وخلقاً...

أزواج الخلق، وأزواج الحق، وأزواج الشهادة والغيب، وأزواج الغيب والشهادة، في معراج من التعالي لا نهاية له، وفي طريق من التداني لا توقف ولا جز له، فكان الخلق، بوجوده مطلقا، علما على واجب الوجود عنده، من أمر الخالق حضرة عالما ووجودا مطلقا.

وكان آدم، خلقا وحقا، خلقا بذات، وحقا بروح وصفات، أبرزت منه فيه له بكلمات، من بنين وبنات، هو بداية الخلق لا انتهاء له، مظهرا قائم السبق من مظهر لعينه لا بدء له. فقام في قائم الخلق جديدا لقديم بمعناه، لاسم الحق، لا بدء ولا انتهاء له مخبرا. بذلك جاء دين الفطرة، فجاء بالدين كله، وجاء بالخير كله، وجاء بالعلم كله، وجاء بالحق كله. فرضي المطلق الإسلام دينا، والرسول عليه علما. فكان الإنسان بذلك، عالم الغيب والشهادة، بقراءة نفسه في شهادته، مظهرا لحقه في حقيقته، وكان بين الغيب والشهادة، بكوثر معناه لتكاثره، في قديم وقادم، بكتاب قائم، هو كتاب نفسه.

يرى ذلك فيعرفه يوم ينعكس إلى نفسه، ليقرا ويشهد، وليتطور ويعلم، وليتعلم ويعلم، فيقوم رسول قديمه إلى جديده بدائم قائمه، ذاتا وروحا، ذاتا تتكاثر، شأنوها أبت، وقائمها أزهر، وروحا تنتشر وتعالى وتكبر...

ثم تتسع وتنطلق إلى لطيف واسع، فتختفي فتخلف فتجدد فتظهر، فيظهر الإنسان مظهرًا لمظهر، مظهرًا ومظهرًا، علما على معلومه لعلبه، قيام عالمه، وانتشار معلمه، وحق أنبائه، وحقيقة آبائه، بذلك قال رسول الله، (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)^١، (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)^٢.

لست في ذلك بدعا من الناس، ولا بدعا من الرسل، ولا بدعا من الأنبياء، ولا بدعا من الحقائق، ولا بدعا من الاخلايق، اتبعوني يحببكم الله، وهو المعطي، وأنا القاسم، فإن اصطفاكم، فإن رضيكم، فإن قبلكم، فإن أحبكم، كان لكم من الله ما لي. انظر {ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور}^٣ وإني لا أسألكم عليه أجرا، إلا المودة في القربى، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنى.

عترتي، كتابي، ذريتي، أصحابي، أمتي، متابعي، ومتابعي متابعي، أنا، وكل من أضافني إلى نفسه، وأضاف نفسه إليّ، وعرفني في أمري مضافا إلى الله، وعرف الحق منه مضافا إليّ، فما عرف الحق إلا بقيامي، بعثا بحقيقتي، في خليقتي، بحقيقتي لخليقتي، لكوثرتي، ببيتتي، بأهلي، بعترتي، بصحابتي، بذريتي، بنسوتي، بجلدتي، بتجددي، بحقيقتي، بروحي، بنوري، بظلامي، بدمي وخليقتي.

(توسلوا إلى الله بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم)؛^٤ وما كنت في معناني لكم معروفا عنكم، مشهودا منكم إلا الوسيلة، يوم تتوسلوا بي، إلى من يتوسل إليه، هو ربي أنا عبده، مولاي أنا خادمه، هو ربكم وهو مولاكم، وأنا خادمكم بخدمته، وراضيكم لأخوتي برضائه.

أراكم فيه، يوم تروني فيه، ورائكم به، يوم تروني به، ورائكم وجوها له، يوم تقبلوني فتروني وجها له، لا إله إلا الله، أنا وأنتم.. لا إله إلا الله، وجودي ووجودكم.. لا إله إلا الله، ربي وربكم.. لا إله إلا الله، إلهي وإلهكم.. لا إله إلا الله، حقي وحقكم.. لا إله إلا الله.. ظهوري وظهوركم.

بلا إله إلا الله، لا فرق بيني وبينكم، كما قال لي الأعلى بلا إله إلا الله، لا فرق بيني وبينك. وتخلقا بخلقه أقول لكم بلا إله إلا الله، لا فرق بيني وبينكم، فتخلقوا بأخلاق الله، بمشهوده لكم، فيما تخلقت به بخلقه معكم بينكم، (أدبني ربي فأحسن تأديبي)^٥، فقولوا لمن آمن بالله معكم على ما آمنتم لا فرق بيننا وبينكم.

ها نحن اليوم نودع عاما ميلاديا لكلمة لله من كلمات، عيسى بن مريم، ونستقبل عاما ميلاديا لكلمة لله من كلمات عيسى بن مريم، آدما في كهولته، وبدءا لآدم في طفولته. وما بين قوسي طفولته وكهولته يقوم العصر، وتنتظم دورة الزمان في الدهر لأيام الله بتجديد الأمر، بأعوام، وقرون، تتجدد

وئتعدهد، في قيام من خلق لا ينفد، يقوم بأيام الجمعة لا بدء لها لوعينا في تاريخنا، ولا انتهاء لها في نظرنا، بعلنا به.

ولكن البدء لها والانتهاه منها، إنما هو بتداول أيام الله بين الناس ببيوت لذكره توضع وترفع، بوضعها وليدة يبدأ الزمان، وبرفعها لبعثها في حياة جديدة، ينتهي الزمان. يبدأ وينتهي اليوم من الزمان، بوضعها ورفعها، في دورات تنتظمنا، بين السماء والأرض لقيامنا...

حتى نتحقق في دورة من دورات الحياة لنا، بديمومة الحياة لوجودنا، بالحق لأننا، في تكرار ذواتنا بمعنا، فتكاثر بحقنا، يوم نتكاثر بخلقنا بقاءم وقيام إرادتنا، وذلك لنا يوم نتجمع بخلقنا لقيام وحدة لحننا، لأحد الوتر لا يتعدد، ولا يتجدد، في وتر للخلق، متواجد بتعدد، متكاثر بتجدد، فإن إلى أصل متوحد، لأحد واجب الوجود مدرك.

أمر يدرك يوم يدرك الخلق معناه في الحق، يوم يعرف الأب أنه بأبيه قائم، وأنه به على ولده قائم، وأن ولده أب له حكما في وجوده، وأن أباه ولد له حكما لشهوده، لأنه بموجوده جديد قديم لا بدء له ولا يدرك، وأنه به أصل قائم له بجديد لا ينتهي، فهو أب بين أبوين، وابن بين ولدين، ووصلة بين موصولين. هذا هو وتر الإسلام للإنسان، خلقا وحقا، {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم...}٦.

شهد محمد آباءه، هو لهم ولد. وشهد محمد أبناءه، هو لهم أب. ثم شهد آباءه له هم أبناءه منه، فعلم أنه يتواجد من أبنائه لمعنى الأبناء لهم في دورة الحياة به له، بقاءه العروة الوثقى بينهما، والأمر الوسط بين الأمور لله بهما. فعرف آباءه أخوة ورفاقا، وعرف أبناءه أخوة ورفاقا في أبد لم يدرك مداه، لأزل لم يبلغ منتهاه.

فعرفه أبا لكل أعلى من رفيق، وقام أبا لكل من دونه من صديق بأحد قائمه لقائم إدراكه، يوم قال أعلمني الله ما كان وما يكون، فعلم ما كان لا ما قبله، وعلم ما يكون لا ما بعده، من أمر الخلق بدءا وانتهاء في الحق لا بدء له ولا انتهاء له، بقاءم الحق له، عبدا من عباد، وحقا من حقائق، في مطلق المعروف.

فرفع بنوته بعلي إلى مقام أخوته، يوم قال له (أما يرضيك أن تكون أنت أخي)٧، معرفا عنه بالأخوة له يوم قال لقومه، (وهذا أخي هو مني بمنزلة هارون من موسى)٨، ورفع نفسه بحقها، إلى مقام الأعلى يدانيه، وشديد القوى يواليه، قاب قوسين أو أدنى، يتواجد معه، ويتواجد به، ويتواجد فيه، فقال، أخي جبريل جاء يعلمكم دينكم.

فقال له ربه من الله، قال له ربه الله، كانت مقالة ربه اسم الله، (لا فرق بيني وبينك)^٩، وكانت مقالة إلهه ورب ربه، {وإنك لعل خلق عظيم}^{١٠}، وكانت مقالة الأعلى من الوجود المطلق، أظهرناك على الدين كله، وركبنا نظرنا عليك، يوم نظرنا فيك، وقد غفرنا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، لنذهب الرجس عن أهل بيتك، ومن دخله ومن حوله، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}^{١١}، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}^{١٢}، {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}^{١٣}، ولك جعلناه، {فانتظروا إني معكم منتظرون}^{١٤}، لنرى يوما لعله يكون قريبا، {لمن عقي الدار}^{١٥}، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}^{١٦}.

فها نحن في هذا اليوم نلنس في قيامنا، والأعوام تقطعنا، والدهر يجمعنا، نلنس جديدا وليدا، إذ نرى مدخل عام ميلادي يوضع مستخلفا، ليحل محل عام منصرم يرفع لينتهي إلى ما انتهت إليه أعوام سبقت، فيرجع إلى الأعلى من رفاقه ليفسح للقديم أن يتواجد، وأن يتجدد، على ما تواجد القديم به تجددًا لأقدم {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها}^{١٧}.

ها نحن في هذا اليوم نستقبل هذه المعاني، ونقوم هذه الحقائق في أواخر شعبان، شهر الرسول، ونحن على قيد أيام من استقبال رمضان شهر الأمة، على ما عرّفهما رسول الله، وعلى ما وصفهما رسول الله، فها هو يوم عيسى بموالده نتعاقب بسنيه وبقرونه، يتجدد ليتواجد في يوم من أيام الجمعة، لا عوج له، تقوم فيه الصلة مع الله بالوحدانية له، بلا إله إلا الله، بقيام الصلة مع الناس بقيام الصلاة، من آم ومأموم، وشاهد ومشهود، وموجد وموجود من أمر الله بالإنسان، في منسك الفطرة بالإسلام.

فنسأل الله ألا نحرم من خير المودع، وأن نتطهر ونسعد بخير القادم، ونسأل الله أن يجعل لنا عظة فيما فاتنا من العام المنصرم، ليكون لنا مكسوبا في العام المتقدم.

نسأل الله أن يزيدنا تحقيقا، وأن يحققنا وجودا، وأن يسمو بنا معنى، وأن يتواجد لنا لشهودنا حقا، وأن يوجد بنا لنفسه بموجودنا بيتا، يذكر فيه اسمه دوما، ويجعله في الدهر من أيامه به يوما نصيبا^{١٨} له يرفع يوم نغيب، ويوضع يوم نتجدد على الأرض بوليد أو في السماء بجديد.

ونسأله بما علمنا أن يجمع بين موالدنا، ومراقينا، فتتواجد قلوبا وعقولا لذواتنا بمعانينا، وأدام خلق له بعواننا لمبانينا، وحقائق إنسان له لمعانينا، اجتماعا على إمام الأئمة وني كل أمة، والإنسان الجامع قدوة لكل قدوة وهمة.

من عرفناه محمداً، ومن ذكرناه رسولا وعبدًا، ومن نشدناه حقا وربا، ومن توسلنا به إليه دوما، قيما بجديده، وسعيده، يوما فيوما، لنجتمع به عليه لقائمه ولقيومه والأقوم متابعين، وراءه إلى اللانهائي

عارجين، عبر الأزمان، وعبر الأيام، وعبر السنين، لا يفنينا الدهر، ولا يلحقنا من أنفسنا الغدر، ولا يقومنا الطغيان، ولا يُعدمنا النسيان، ذاكرين له كلها ذكرنا، متذكرين به كلها غفلنا.

نشهده لا إله إلا الله، ونعلمه محمداً رسول الله، ونقومه عبادة الله. نحرص على وصف العبودية لنا، حقية الرب والإله علينا بنا، فعلنا الحي القيوم، على الحي القيوم منا، بالحي القيوم فينا، للحي القيوم علينا، فنشهد أنه لا إله إلا الله حقاً، ونقوم محمداً رسول الله صدقاً، هداًنا الله وإياكم سواء السبيل.

اللهم يا من عرفناك اللهم، وقد جعلت من محمد الدليل، والطريق والسبيل، والحق والمثيل.. اللهم عليه فاجمعنا أمة له، ومثلاً منه، وكلمات منه بحقه، إليه بخلقه، إلى الله مضافة، واجعلها اللهم برحمتك مقبولة لا معافة، ارضها عنك، وارض عنها، وأرض الخلق بها، وفي الخلق فأقمها، رحمة منك وعطاءً لهم، متجددة لا تنتهى، موصولة لا يتناهى مرتقاها.

فإن كانت تحت الأقدام لك بالناس تتواضع، تواضعا لك، وسعياً منك، ومرضاة لك، خافضة جناح الذل، فما كان هذا منها انهياراً، ولا استكانة، ولا هزيمة، ولكنها بعظمة عزك متواضعة راحمة، كريمة قائمة، مسلمة سالمة، لاشية فيها، ولا عيب عندك عليها، وإن عابها الخلق بعيوبهم، وجعلوها بجهلهم، وفارقوها بمفارقتهم للحق فيهم ولمظاهر الحق من أنفسهم بينهم.

اللهم وقد جعلت محمداً جماعاً لكلماتك، منك فيك روح قدسك، وأمة عبادك، وجعلته مثال الجمال لها منك، عنواناً على جماعها بك، رحماناً رحيماً راحماً، بوصف الخلق مرحوماً، وبوصف الحق فاعلاً.. اللهم إليه فأضفنا، وعنه فينا فعرّفنا، حتى نعرفنا منك بشهادة أنه لا إله إلا أنت، وحتى نعرفنا منه بشهادة أنه فينا لك رسولك، فنشهدهُ ونُشهدهُ، رسول الله، وعبد الله، وحق الله، ووجه الله، واسم الله، وعلمها على الأقدس لذات الله.

اللهم بما حققته فحققنا، وعلى ما توليته فيه تولّنا، وعلى ما أخرجته منك إعلاماً عنك منه فأخرجنا، خروجاً منه، وإعلاماً عليه، موصوف أمته، وموصوف صحبه، وموصوف خلته وأحبته.

اللهم به قول أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا، ردّاً لأعمالنا بما كسبنا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، وما أنت به أعلم. وفي الصغير والكبير من شأننا فتولّنا، وبرحمتك وغفرانك فعاملنا، ومما نحن فيه مما يليق بنا من النقص فعافنا واغفر لنا، غفرانك ربنا وإليك المصير.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله

أضواء على الطريق

من هدي السيد (سلفربرش) من دائرة لندن عن تجارب الناس في العالم النجمي..

(إنها حياة موضوعية. إن الروح كلما تطهرت بالنمو والتقدم والتطور فإنها تمر إلى الطور التالي من حياة الروح. فهو عالم حقيقة بالنسبة لهم أثناء عيشهم فيه. وهو عالم أحلام عندما ينتقلون منه. إنها أحلام المقارنة فقط، إنها أحلام عندما يستيقظون. فعندما تنتقل الروح وراء الأقطار النجمية السفلية تتذكر هذه التجارب وتقول لقد كانت أحلاما، ولكنها كانت حقيقة أثناء حدوثها. إن العالم النجمي جزء من عالم الروح. ما هي إلا حياة واحدة في درجات كبيرة التفاوت تصل بين الأقطار السفلية والعلوية، بينهما برزخ لا يبغيان).

إنكم لا تصعدون من طبقة إلى أخرى. أنتم تمنون وتطورون. الأسفل يفسح للأعلى. تموتون وتولدون مرة ومرات. إنكم لا تفقدون الجسم النجمي كما تفقدون الجسم المادي تماما. وإنما هو يصير أكثر شفافية وتطهيرا عندما يسقط عنه الجانب المنحط، لأن معنى الموت في الحقيقة هو التحول والبعث. فهذا هو الموت.. خروج الأعلى من الأسفل. إن السفلي لا يمكنه أن يدرك العلوي والمحدود، لا يمكنه أن يحوي غير المحدود. والأقل لا يمكنه أن يقبض على الأكبر. إنا نجد صعوبة دائما كلما أردنا تفسير عالمنا الروحي الذي تحرر من قيود عالمكم المادي بحدوده الزمانية والمكانية. إن الحياة في عالمي ينظمها أناس يسكنون في ذلك المستوى التعبيري المعين. وإنما بالمجاهدة فقط يمكنكم أن تزيدوا من سعتم للفهم. إن عالمنا هو عالم عقلي. العقل فيه يحكم على عرش متوج، ما يمليه فهو حقيقة).

{كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون}١٩، (عبدني أطعني أجعلك ربانيا تقول للشيء كن فيكون)٢٠.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ حديث شريف. أخرجه الترمذي في صحيحه، والدارمي
- ٢ حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي: "ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته".
- ٣ سورة الملك - ٣
- ٤ حديث شريف يرد في الأدب الصوفي، ويعتمدون فيه على الروايات التي جاءت في كتب الأثر، ومنها الطبراني، والترمذي، عن التوسل برسول الله، وأنه متوافق تماما مع بعض الآيات مثل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} (سورة النساء: ٦٤)

- ٥ حديث شريف. جاء في الموسوعة الحديثية لابن حجر، والعسكري في كتابه "الأمثال"، والسرْقُطِيُّ في كتابه "الدلائل"، والسيوطي في كتابه "الجامع الصغير"، وابن السمعاني في "أدب الإملاء"، وأبو نعيم الأصفهاني في تاريخ أصبهان.
- ٦ سورة الأعراف - ١٧٢
- ٧ جاء المعنى في أكثر من حديث شريف موجه من الرسول صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه: ١- الحديث الشريف حين آخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أصحابه بعد الهجرة، فقال لسيدنا علي: "أنت أخي في الدنيا والآخرة". أخرجه الترمذي. ٢- الحديث الشريف: "أنت مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ". أخرجه النسائي.
- ٨ إشارة للحديث الشريف الذي جاء في أكثر من صياغة: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى". صحيح البخاري. - "أنت مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ". أخرجه النسائي.
- ٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها من السياق.
- ١٠ سورة القلم - ٤
- ١١ سورة الأنفال - ٣٣
- ١٢ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩
- ١٣ سورة الأنبياء - ٣٤
- ١٤ سورة يونس - ١٠٢
- ١٥ سورة الرعد - ٤٢
- ١٦ سورة الأحزاب - ٦
- ١٧ سورة البقرة - ١٠٦
- ١٨ كانت هذه الكلمة في النسخة ال pdf "نصبا" وتم تصويبها "نصيبا" وفقا للنسخة الأصلية المراجعة من السيد رافع.
- ١٩ سورة آل عمران - ٧٩
- ٢٠ يرد في بعض كتب المتصوفة والشيعة كحديث قدسي، وجاء في الأثر بلفظ "يقول الله عبيدي أنا الله الذي أقول للشيء كن فيكون، فأطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون"، ومعناه يتوافق مع الحديث القدسي الذي جاء في صحيح البخاري "وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا".

(١١)

الإسلام دين جمع الأديان وحكمة جمعت الإحسان بتعاليم منهضة لفطرة الإنسان فردا وبيتا وأمة

حديث الجمعة

٦ رمضان ١٣٨٤ هـ - ٨ يناير ١٩٦٥ م

أشهد أنه هو.. هو، على ما هو، لا شريك له.
أشهد أنه هو، لا إله إلا هو، لا إله إلا هو، لا إله إلا هو له.
أشهد أن لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، في قائم الله.
أشهد أنه من عرف الله لوجوده، سار وصار إلى الله بشهوده.. يوم ينكشف له عنه وزر العدم لوهم وجوده، بموجوده لموجوده.
أشهد أن الله لعارفه، موجود موجوده بمن عرفه وجوده لله، في وحدانيته بتوحيده.
أشهد أن الله، واجب الوجود، عند كل موجود، ما أدرك له وجود في حق وجوده.
أشهد أن من أنكر الله لوجوده، إنما هو فاقد لوجوده.
أشهد أن من عرف الله لوجوده، سعد من الله بجموده، وحيأ به في موجوده، وكسب مضاعفات الحياة من جوده، يوم شهد الحياة لوجوده، فعرف وقام أنه لا إله إلا الله، الحي القيوم.
دين الفطرة.. دين الإسلام.. دين الإيمان.. دين العلم.. دين المعرفة.. دين الوجود.. دين الشهود..
دين الكنود.. إنها أديان.. إنها حقائق وألوان.. إنها صفات الرحمان.. إنها أسماء الديان.

الإسلام دين الفطرة، حقاً، وصدقاً. فعلى أي مستوى يدرك هذا الدين عند مدركه؟ أيدرك هذا الدين على مستوى الفرد! أم على مستوى الأسرة! أم على مستوى الجماعة! أم على مستوى الأمة! أم على مستوى الأمم! أم على مستوى البشرية! أم على مستوى الإنسانية! أم على مستوى الروحية! أم على مستوى الوجود! أم على مستوى الإطلاق!

إن دين الفطرة في كل مستوى من هذه المستويات، يختلف عنه بالنسبة لدين الفطرة للمستوى الآخر. إن تعاليم هذا الدين تختلف في كل مستوياته عن بعضها البعض. والاستقامة عليها تختلف أيضاً في مبناها ومعناها، في كل مستوى من هذه المستويات، عنها في الآخر، وللآخر.

ولكن لاصقي أنفسهم بدين الفطرة، وفارضيهم على الإسلام ما قام بهم إسلام الله ورسوله، وما عرفوا شيئاً من ذلك، وخلطوا بين هذه المستويات وبعضها البعض بجهلهم، وتحريفهم للكلم عن مواضعه، فأخذوا ما هو للفرد فيه وسحبوه على الجماعة، وأخذوا ما هو للجماعة وسحبوه على الإنسانية، وأخذوا ما هو للروح وسحبوه على أشباح الذاتية، وأخذوا ما هو للبشرية وسحبوه على ما هو للإنسانية، وهم لا يدرون شيئاً من أمرهم، ولا يدركون شيئاً من فعلهم.

جاء رسول الله، مُعلماً ومُعرفاً عن الله، بمقاله وحاله في كل أحواله، وبقيامه، وفعله، وسكونه، في قوله وصمته. جاء أمر الله ليعرف الناس أمر الله.. ليعرف الناس أمر الله لأنفسهم، على ما عرف أمر الله لنفسه، وليقوم الناس أمر الله، لبيوتهم، على ما قام هو أمر الله لبيته.

عَلَّمَ الناس أنهم أمر الله لأنفسهم أولاً، فإن استقام حالهم فهم أمر الله لعشيرتهم، لأهلهم، لبيوتهم، الأقرب فالأقرب. فإن استقامت أسرهم، وانتشر من الفرد في الأسرة أمره، لأمرهم، أمكن أن تكون هذه الجماعة الصغيرة نواةً لجماعات أكبر، فأكبر، حتى تتواجد أمة تنسب إلى فردا وبيتها، كما نسبت الأسرة إلى أبها وآبها، فتنسب الأمة بجماعتها إلى قائم ومعنى العروة الوثقى بين قديم الحق بالإنسان، وجديد الإنسان للحق بنسبتها إلى موصوف الرسول، إلى معروف الرسول عندها بقيامه آدمًا لها، ذاتاً لدائم قبلتها، وروح قدسها لقيامتها به نورا وانتشاراً لنور الله منها بالله لها.

فإذا ما قامت الأمة للأمم، قامت الأمم بوحدة جماعتها، قياماً للبشرية بجمعها، فكان الدين على مستوى البشرية، تنسب إلى إنسان واحد، وأب وآب واحد وبيت واحد، ورسول واحد وظلاله.

عَرَّفَ الرسول عن الله أولاً ما يكون، ومن يكون، ومتى يكون، وأين يكون، وعند من يكون، ومع من يكون، وفيمن يكون، ثم عَرَّفَ عن الإنسان فيه، قديماً وأزلاً بلا بدء، وجديداً وأبداً بلا انتهاء.

عَرَّفَ عن المرسل أنه عنده الإنسان يوم تقوم رسالة، وعَرَّفَ عن الرسول يوم يكلف برسالة أنه في دوام الإنسان، وعرف عن المستقبل للرسول، صديقا، أو فاروقا، مسلما، أو مؤمنا، متابعا منزها، أو متحدا للظلال معددا، أو موحدا للمثال مجددا، أنه الإنسان.

بذلك عَرَّفَ عن الدين على مستوى الإنسانية، قامت بينها الروابط، وتوثقت^١ بينها أوشاج العلائق، بين قديم وقادم، لدائم وقائم، فلا فناء للجنس الإنساني بشرا، ولا انحول للجنس الإنساني روحا، ولا توقف للجنس الإنساني جديدا بذات، وانطلاقا بروح.

إن الذين عَرَفُوا واجب الوجود لوجودهم، موجود وجودهم، أقرب إليهم من جبل الوريد، معهم أينما كانوا، على كل نفس قائم، الكل له وجوه من ورائهم بإحاطته، ينقلبون إليه في أنفسهم، معهم يوم تتوجه بصائرهم، فتلحق أبصارهم، فتنعكس أبصارهم في بصائرهم، فيكشف عنهم غطاؤهم، فيعرفونهم من واجب الوجود لوجودهم، بجديد أبصارهم، بثاقب عقولهم ووعيمهم، بفيض من الأعلى، لعين معانيهم، بحكمته لحكمتهم، وبعزته لعزتهم، وبقدرته لقدرتهم.

عرفوه يوم عرفوهم، وشرفوه يوم تجاهلوهم أوزارا ونسوهم أناء، إلى معلومه، وإلى مذكوره، فكانوا ذكرا قائما له، لذكر قديم له، لقادم ذكر له من خلاهم، يتواجد قديم ذكره إليهم بقادم ذكر له منهم من قائم ذكر له بهم، آمنوه وعرفوه واتحدوه، عروة وثقى لأمرهم قاموه.

فكان ذكره بقائمه، وذكره بقديمه، وذكره بقادمه، ذكرا واحدا له، في شهادة أنه لا إله إلا الله لمشاهدها به، في علمه عنه أنه لا موجود بحق إلا الله، في أدب السلوك معه بشهادة الله أكبر، لمعلوم الله عند موجوده لإنسان وجوده وشهوده، بالرفيق الأعلى والمثل الأعلى المرضي له من الله.

بهذا جاء الإسلام، دين الفطرة، على مستوى الفرد، يوم قال عن الله أنه {قائم على كل نفس بما كسبت}^٢، {من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا}^٣، {ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة}^٤.

ومن هنا على مستوى الفرد، وقيام الله على الفرد، كانت القيامة للفرد، والحساب للفرد، والبعث والحشر للفرد، وحقائق الآب والأب والابن، للروح المقدس للفرد.. وكانت السماء والأرض للفرد.. وكان التوحيد والتعديد للفرد.. وكان ذلك كله أمر يخص الفرد.. وهنا يقدم الكتاب تعاليم دين للفرد، فكانت الرسالة لمحمد كفرد عليه أن يستقيم عليها، وهو في هذا يعنون كل فرد، {استقم كما أمرت}^٥ (عليك نفسك)^٦، {عليكم أنفسكم، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}^٧...

ثم انتقل من دين الفرد، إلى دين البيت، في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، ذرية طيبة بعضها من بعض، بيوت يذكر فيها اسم الله من هياكل رجال، من آباء، من أوابين، من آب هو عين الأب، ومن أب هو عين الأب، آب إلى نفسه في انفرادها روحا واسعا منطلقا، وآب إلى بنيه نفسا من أنفسهم مقيدا، ولتقيدهم بقيود من فعلهم معهم مشتركا، وأعمل رحمته منطلقا، لأبنائه في مباني أنفسهم في سجونهم بها مقيدة، فأب إلى المقيدين حيث كان لبدئه بفطرته، وحيث نشأ بمعاني جلده، إيابا لنفسه وخليقته من حضرة حقه، لعنقه وسعادته بما غفر له، وجعله من المكرمين، وقد أحب أن يعرف، لتعرف به المغفرة والرحمة من الأعلى للانهائي، للأدنى للانهائي جديده بخلقته^٨.

عاد مبعوثا فيمن اصطفى من أبنائه، في جلود تعدده وكوثر تجددته، فقام في الناس، بين الناس، خافضا جناح الذل من الرحمة، يشاورهم في الأمر وهو أمرهم، ويتقدمهم في السجود وهو يبتهم وقبلتهم، ليكون بما قام فيه قدوتهم متخلقا بأخلاق قديمه مع جديده منه على ما أشهده فشهده، فأقام هذا الدين في مرحلته الثانية على أساس الأسرة على مستوى البيت، وهذا ما سجله الكتاب في قوله {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا}^٩. وفي هيكل البيت وجودا يذكر فيه اسم الله روحا، يسبق الابن الأب ظهورا، كما يسبق الأب الابن وجودا.

ومن هذا المستوى الفردي قام الدين لآدم، {فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه}^{١٠}، {ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى}^{١١}، ومن المستوى البيتي قام الدين في شعب الله المختار من بيت إبراهيم على مستوى الأسرة، وهنا يقول الكتاب بالنسبة لإبراهيم، جعلنا في بيته الكتاب والنبوة، جعلنا في ذريته الكتاب والنبوة. إن إبراهيم في هذا المستوى، كان أمة، متكونة عبر الزمن، قانتا لله خنيفا، {ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل}^{١٢}، {ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان خنيفا مسلما}^{١٣}.

أكرم الله إبراهيم ابنا، وعفا عنه وغفر له آبا، وميز بين ذريته آبا، فقال لا ينال عهدي الظالمين، وواصل إبراهيم هذا في بيته بإسحق ويعقوب والأسباط، إلى أن ختم هذا المستوى الديني كلمة الله عيسى ابن مريم، عبدا أكرمه الله وجعله مثلا لبني الإنسان الساري إلى الله بعلبه اسمائيل، إسرائيل، في تعريف الدين عنهم عمدا للدين على مستوى الفرد في الأسرة للأسرة بجمتمعها المتحد حوله، ثم عهد من إبراهيم، وإسماعيل، إلى محمد، فقال لهما، {طهرا بيتي للطائفين والعاكفين، والركع السجود}^{١٤}، {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل}^{١٥}، فيقول محمد في هذا، أنا دعوة أبي إبراهيم، دعوته يعني رسالته، يعني أن رسالته كفرد هي عين رسالة إبراهيم كفرد، إنه إجابة الله لإبراهيم سؤله، يوم قال لربه، وابعث فيهم رسولا منهم يطهروهم ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة.

وإبراهيم يعرف الدين على مستوى البيت، كما قامه على مستوى الفرد فكان محمد، باصطفاء الله له من بني إبراهيم وإسماعيل مصطفى الله، على مستوى الفرد، آدماء، وأول عابدين، وكان باستجابة الله لإبراهيم في دعوته، ومصادفتها لمحمد، مختارا من بيته وبنيه، أن ارتفع الدين عند محمد، من مستوى الفرد إلى مستوى البيت له، ولإنسان متابعته.

فتخلق محمد بأخلاق الأعلى، ربًّا له، ومُعَلِّمًا عن الله، معلوما عنده بوجوب وجوده، عند كل موجود في موجوده، يوم قال له ربه، لا فرق بيني وبينك، إن الرفيق الأعلى لي، جعل منك رفيقا لي، وسوى بيننا، فلا فرق بيننا، من معرفة، مختلفة ألوانها، أو من وجود لي ووجود لك، أو من موجود بي وموجود بك، إنا على مستوى الفرد، مصطفى ومصطفى من الأعلى توحدنا إلى أعلى، وأذن لنا أن نتوحد إلى أدنى، فنحن في اتجاه الأعلى والأدنى، أصبحنا أفرادا، وبيوتا من أمر الله، بأمر الله، ما أبرزنا الله به إلا رحمة للعالمين.

فقام الرسول بذلك في دينه على مستوى الفرد للأفراد، وعلى مستوى البيت للبيوت، فأصبح بيتا وله أهل يذكر فيه اسم الله، ومدينة لبيوت علم فيها على مستوى البيت للبيوت، مرتقيا بتعاليمه وبدينه إلى مستوى دين البيت، دينا للقيمة يوم طلب لأهل بيته ما قام بنفسه ليكونوا بيوتا يذكر فيها اسم الله، فقال عترتي عترتي، كُتَّابِي وعترتي، كُتَّابِي بوجودي، وخلقِي لسنتي، وعترتي لدوامي، ودوام سنتي وقدوتي بكوثري، بأصل طلعتي، من مُوجد طلعتي لا بدء له، فبذلك كان رسول الله وقد فتح أبواب بيته، وجمع كل غيط إلى غيطه، وجدد نفسه بنفسه، بعين حكمته وشعوره ووجوده وحسه، قد ارتفع بالدين إلى مستوى الجماعة، وأدخل البيت من لم يكن من أهله بالإيمان بالله ورسوله {أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ١٦، ليبقى لمعنى البيت معناه، في قيام الجمع أهلا له بمعناه، فقال (سَلَمَانُ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ) ١٧، (رُبُّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ) ١٨، (أَخْفَى اللَّهُ الْوَلِيَّ فِي الْخَلْقِ) ١٩.

يا أيها الناس.. إنما الدين المعاملة مع الله، وقد أخفى الله خصوص وجهه في عموم وجهه، فأنتم جميعا لله وجوه، بعموم وجهه، وبينكم من يصطفي لنفسه فيقوم بخصوص وجهه، فأحسنوا المعاملة مع بعضكم البعض، لأن من عامل خصوص وجهه بإيذاء، فقد آذى الله ذاتا، فجاء بالحديث القدسي، (من آذاني وليا، فليأذن من الله بحرب) ٢٠، من خاصمني وليا، فليستعد لمخاصمتي.

ثم فتح الباب للرسول على مستوى البشرية، يوم قال لنا {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم} ٢١، وليحتفظ للبيت له، بمقامه وبمعنائه، جاء قوله {وأزواجه أمهاتهم} ٢٢، ليرتفع بمعاني أزواجه إلى مقام مريم في وضعها مع عيسى، ليكون عيسى مثلاً حياً للمؤمنين به وبربه له. ضرب به لهم مثلاً للمسلم، وليرتفع بالدين على مستوى الفردية والأحادية للحق إلى معاني الربوبية الشاملة، بالإنسان على

الإنسان حضرة رشاد براشدين لحضرة رشاد براشدين، بقوله، النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، {فلا وربك لا يؤمنون، حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت، ويسلبوا تسليما} ٢٣، والنبي هنا أمة على أمة، لترفعن طبقا فوق طبق حتى تبدل الأرض غير الأرض، يوم تشرق بنور ربها.

أولى بالمؤمنين من أنفسهم، أمة في فرد، وفرد في أمة، فرد سرى بنور الله فيه في جمع من أمة، في جمع من بشرية، في جمع من عوالم وجود.

قال له صلِّ لربك وانحر، إنه لا موجود بحق في دائرة سلطائك إلا أنت، في موجود فردك، متوحدا، متعدداً، أو في موجود بيتك، متجمعا، متلاحقا، أو في موجود جمعك، متعاقبا متواصلًا، أو في موجود أمتك، تحمل معنك، وتدعى باسمك، تتصل بك فتتصل بالأعلى لوجودك، في موجودك به، وفي موصولك له...

مأمورا من الأعلى أن يقتل كل نفس في ظلامها، ليعثها بنوره، قبضة نور الله من قبضات، وعبدًا حقيا لله من عباد، وربا رحيمًا من أرباب، وغيبا قدسيا من غيوب، وقدسا دانيا من أقداًس. عَرَفَ الله، لا يخلو منه شيء... وعَرَفَ الله، ممسكا بكل شيء...

ممسكا بالسموات والأرض أن تزولا، موسعا في السموات، معددا خالقا للأراضين، منشئا لوجود على مثال لما هو موجود، على ما سبق أن أنشأ هذا الوجود، على مثال من سابق من وجود، إلى أزل لا بدء له.. عرف الله قديما، وقادما، وقائما بحقه بإنسانه، وقدره، لا قديما، ولا قادما، ولا قائما، له منزها عن وصف القدم، ووصف الحصر بالقيام، ووصف القدوم بالزمان.

عَرَفَ الإنسان فيه، بمعاني القدم له، وبمعاني القائم والقيوم له في قيام الوجود، والإنسان في معاني القادم، لمعاني التواجد، ولمعاني الشهود، لكل من طلب الله، فتواجد بوجوده، وشهد بشهوده.

رفع شعاره لا إله إلا الله، فما شهد الله إلا الله، ولا موجود بحق إلا الله، هو عين الوجود، وعين الموجد من وجود، وعين ما يتواجد من وجود، في أي صورة بوجود، لا إله إلا الله، والله أكبر.

عرف الإنسان، رسولا من الإنسان، إلى الإنسان، في موجود الله، لا بدء له، لا يعرف إلا في قائم قديم لقادم إنسان، لا انتهاء له، لا يلاقى إلا في النفس، وبمعلوم معنى إنسان لعارفه، ولا يلاقى في قيام لقيام لموصوف الإنسان عبدا، ولا يقصد في وجود للشهود إلا برفيق أعلى من الوجود، قيام الموجود بإنسان.

فكان هذا شعار الرسول بلا إله إلا الله. وشعارنا به بحمد رسول الله، إنسانا لله عرفناه، إنسانا أرسل إليه إنسان الله، أرسل إنسانا كان إليه رسولا لله، ليكون للناس قدوة عبداً لله، وحقا من حقائق الله، فكان بما استقبله من الحقيقة إنسان العبودية لله قدوة لكل إنسان، ما عبد إنسان نفسه لله، إن صدق كان جديد الرسول باقتدائه. فبذلك كان شعارنا حقا وصدقا، لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

وكان الدين الذي قدمه الرسول أمرا واقعا، نافذا، مدركا، محققا، لا نظرا يتردد بمفهوم تنقله الأوراق، وتدونه الأقلام والرسوم. ولكن المسلمين في صدر الإسلام وبجرد غياب الشبح الأول لمعلوم الرسول بينهم، وهو من آمنوا به مرسلا إليه، مؤمنين بأديمه، منكرين على آدمه، وقد غاب عنهم شبعا ليتكاثر أشباحا، وغاب روحا متجسدا ليعث أرواحا في أجساد أمته وقلوب مؤمنيه، وهياكل عاشقيه وطالبيه وناظرية، عندما غاب مرسلا إليه ليقوم ويظهر رسولا، عطلوا بينهم أمره، وأحملوا بينهم قائما عاملا ذكره. ذكره كلاما وسيرة بموصوف قدوة، عطلوا أعمالها فعلا أو قيامها بينهم أمرا.

أنكروا وما زالوا ينكرون على قائميه بفطرته لفطرتهم، وتابعوا خاسريه لموصوف كاسبية بأنهم شهدوا من شهدوا محمدا يوما، وأنكروا المحمدية وعطلوها لهم بينهم في سلام دوما، رأوه أديما زائلا وعطلوا الآدمية. رأوه شبعا يغيب لا يتجدد ولا يتكاثر ولا يتعدد، وعطلوا الروحية، فلم يروه روحا كريما مقدسا أمينا لا ينقطع عمله، قديما قادمًا قائما، حلقة الاتصال بين الشهادة والغيب بين إنسانية الخلق، وإنسانية الحق.. طريقا قائما دائما للسلام والسعادة يقومه عماله على بصيرة وعلم وحكمة ووصلة قائمة به وبربه والأعلى، بشعاره لا إله إلا الله، والله أكبر، بقائم شعارنا به قائم محمد رسول الله، نحن له دثر هو لها جوهر.

بذلك كانت النبوة من بعده أمة وسطا، وأمرا وسطا، رسالة للكافة، مجندة تحت لواء علمها بقائمها بقائم الدائم من الحق، يؤمها وجهها لله، واسما له، دواما للحق، ظاهرا لأهله، على ما هو في أزل، وعلى ما سيبقى في أبد، (نزلت البسملة على كل نبي ورفعت معه، إلا أنا فقد أعطيتها لي ولأمتي)^{٢٤}، (علماء أمتي كأنياء بني إسرائيل)^{٢٥}، (من رأيي فقد رأي حقاً فإن الشيطان لا يمثلي بي)^{٢٦}، {قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً}^{٢٧}، ولكن أمته غيب الحق وأعلت الباطل، وباعدت السلام والوئام، وقامت في الطغيان والخصام.

اللهم يا من أنت لنا، كنودين، أولى بنا من أنفسنا، أنت علينا الحفيظ، في كنودنا، وغفلتنا، وجهلنا، لا تعاملنا إلا بحلمك، ولا تؤاخذنا إلا بعفوك، {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة}^{٢٨}، كن لنا على ما أردتنا لك بتقديم إرادتك.

اللهم يا من جعلت من محمد رسول رحمتك، من حضرة رحمتك إلى مرحوم حضرتك، حقا أولى بالمؤمنين من أنفسهم.. اللهم فاجعلنا من أهله، ولا تحرمنا من عفوك بعفوه.. اللهم أدخلنا بجودك وكرمك يا أرحم الراحمين ساحة رحمة، واجعلنا من أهل حضرته، وأشهدنا طلعتك في طلعتة، بعين وجودك في وجودك لوجودنا، لموجودك بنا، عبادك، وحقائقك، لأنفسنا أفرادا، وليبوتنا عمادا، ولجمعنا اجتهدا، ولأمتنا تواجدا، ولإنسانيتنا تجمعا، ولبشريتنا لإنسانيتنا ظهورا، ولوحدتنا لأعلام علم وحدانيتك إنسانا، ورسولا.. اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا، ولأنفسنا آبهة لا تكلنا، وإليك فأرجعنا، ونفوسنا فأحينا، وقلوبنا فتواجدنا، وفي عقولنا فأشرق بنورك، وانتشر بسرك وجهرك، لا إله غيرك، ولا معبود سواك.

ولِ اللهم أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا بما صنعنا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله

أضواء على الطريق

من مقدمة (تعاليم سلفبرش) بقلم هانن سوافر شيخ الصحافة البريطانية، وصاحب الدائرة الروحية المعروفة باسمه في لندن، والتي يحضر فيها الروح المرشد (سلفبرش).

(سلفبرش كما نسميه نحن ليس هنديا أحمر. فمن هو إذن؟ إنا لا نعرف. إنا نفترض أنه يستخدم اسم الروح الذي يظهر نفسه في جسمه النجمي، لأنه من المستحيل أن تظهر الذبذبة العالية لمملكة الروح التي ينتمي إليها، إلا خلال وسيط آخر. ولقد أخبرنا أخيرا "في يوم ما سوف أقول لكم من أنا. لقد كان علي أن آتي على هيئة هندي متواضع لأكسب حبكم وتقديركم، لا أن أستخدم اسما رنانا، ولأبرهن على نفسي بصدق ما أقوم بتعليمه. إذ أن هذا هو القانون".

والآن دخل سلفبرش في حياتي بسرعة بعد ما أصبحت روحيا في سنة ١٩٢٤، ومن تلك اللحظة بدأت أستمع إلى تعاليمه وتوجيهه ومشورته. وتعلمت كيف أحبه وأحترمه أكثر مما أحب وأحترم أي مخلوق أرضي).

وهذا هو الناموس المشهور بكتاب الذكر الحكيم، هو {الذي يراك حين تقوم وتقبلك في الساجدين} ^{٢٩}، (اخفض لهم جناح الذل من الرحمة) ^{٣٠}. {عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا} ^{٣١}. {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} ^{٣٢}.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ تم تصويب هذه الكلمة من "توفقت" إلى "توثقت" رجوعاً إلى النسخة الأصلية المراجعة من السيد رافع.
- ٢ سورة الرعد - ٣٣
- ٣ سورة المائدة - ٣٢
- ٤ سورة لقمان - ٢٨
- ٥ سورة الشورى - ١٥
- ٦ في معنى حديث شريف عن أحد الصحابة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الآية: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم} فقال صلى الله عليه وسلم: "بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام..." سنن الترمذي
- ٧ سورة المائدة - ١٠٥
- ٨ تم تصويب كلمة "خلقه" إلى "بخلقه" وفقاً للنص الأصلي بمراجعة السيد رافع.
- ٩ سورة الأحزاب - ٣٣
- ١٠ سورة البقرة - ٣٧
- ١١ سورة طه - ١٢٢
- ١٢ سورة الحج - ٧٨
- ١٣ سورة آل عمران - ٦٧
- ١٤ سورة البقرة - ١٢٥
- ١٥ سورة البقرة - ١٢٧.
- ١٦ سورة الأحزاب - ٦
- ١٧ حديث شريف. أخرجه الطبراني، والحاكم في "مستدرکه"، وأبو نعيم الأصبهاني في "معرفه الصحابة"، والبيهقي في "دلائل النبوة".
- ١٨ حديث شريف: "رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ، مُصَفِّحٌ عَنْ أَبْوَابِ النَّاسِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهَ". أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه.
- ١٩ مقولة للإمام عليّ (عليه السلام): إن الله أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرن شيئاً من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغرن شيئاً من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته، فلا تستصغرن شيئاً من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عباده، فلا تستصغرن عبداً من عبيد الله، فربما يكون وليه وأنت لا تعلم.. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

- ٢٠ من حديث قدسي: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ." صحيح البخاري.
- ٢١ سورة الأحزاب - ٦
- ٢٢ سورة الأحزاب - ٦
- ٢٣ سورة النساء - ٦٥
- ٢٤ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.
- ٢٥ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.
- ٢٦ حديث شريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي." صحيح ابن حبان.
- ٢٧ سورة الإسراء - ٨١
- ٢٨ النحل - ٦١
- ٢٩ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩
- ٣٠ استلهاما من سورة الإسراء - ٢٤ {واخفض لهما جناح الذل من الرحمة}، ويوافق الآية {واخفض جناحك للمؤمنين} سورة الحجر - ٨٨، والآية {واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين} سورة الشعراء - ٢١٥
- ٣١ سورة الفرقان - ٦٣
- ٣٢ سورة الأنبياء - ١٠٧

(١٢)

الله والإنسان

الله في حجابهِ والإنسان في إِيابهِ
الحق في دانيهِ والإنسان في عاليهِ

حديث الجمعة

٢٠ رمضان ١٣٨٤ هـ - ٢٢ يناير ١٩٦٥ م

استوى إلى الأرض مقاربا في قديم قُرب الأعلى، مَنْ خَلَق فسوى، حتى صارها وصارته، قاب قوسين أو أدنى، فكانها وكانتة، فكسبت الحياة من نور الله به سرى بها، وأخرجت أثقالها بالحياة، كلمات طيبة أصلها ثابت، ثم استوى إلى السماوات، فكانها وكانتة، وعرفها وعرفته، من شجرته ثابتة في أرضه، طيبة بمعناه، حية بقيومه عليها بالحياة، فروعها في السماء متصاعدة بتعالیه، وجذورها في الأرض صامدة بتكاثره ودوام تدانيه، ثم استوى إلى العرش، فكان ما العرش، وكان ما فوق العرش، وكان ما تحت العرش، فكان العرش بالوجود مظهره، وبالحق جوهره. بهذا تعارف الله إلى إنسان الله، أليس الإنسان هو الحق من الله!

من هو ذاك الذي داني الأرض من سماواته، ثم صعد من الأرض إلى سماواتها، واستوى على عرش السماوات وأرضها، مترددا بينهما بكلماته؟ ما كان هذا الحق إلا الإنسان.. إنه الإنسان.. إنه إنسان الله.. إنه الحق من الله.. إنه إنسان الوجود لعلمية الوجود على الله.

بالحق أنزله قيومه من مطلقه، فنزل، فكان الحق لما نزل إليه، واستوى معه روح الحياة له في موجوده، لوجوده، بالحياة لشهوده نورا على نور، وحياة على حياة.

إنه إنسان الحياة.. إنه الإنسان لاسم الله.. إنه عبد الله.. إنه حق الله.. إنه رسول الله.. إنه كلمة الله.. إنه اسم الله.. إنه وجه الله.. إنه علم الله.. إنه كتاب الله.. إنه أحد الله.. إنه بيت الله، حق من حقائق، وعبد من عباد، ووجه من وجوه، وواحد من آحاد، وعلم من أعلام، وإنسان من إنسانية، وبيت من بيوت، ووجود من وجود لوجود لا حد ولا عد له.

استوى إلى الأرض فحققها حضرة الله، وشجرة طيبة لكلمة طيبة للإنسان من الله، فصارت الأرض حقا به، وعلمها له عليه حية بوجوده، لوجودها، بدء وجود، وبدء حياة، دحية حيوان الحياة وقلب إنسانها الكبير، عنها تواجدت الحياة الفطرية، ومنها تصاعدت الحياة بالأحياء إلى سماواتها بالحياة الأبدية، من مصدر الحياة من السماء الدنيا لمعناها حتى استوى ذكر الله، واسم الله، وإنسان الله على عرش عوالم الله رأسا للسماوات والأرض بأوادمها بدايات وكلمات، كانت بالإنسان الحقي لها لبداياتها من الخلق نهايات وفي معراج الحق بدايات.

حقا عنونه إنسان الله أنزل، رسولا بحقه، وآدما بخلقه، قبضة نور الله لسماواته وأراضيه بالحياة، أدبه ربه من الله له فأحسن تأديبه على ما كان في أزل فعل الله، انشقت عنه الأرض، أوادم بعثت به، وفي قديم قيام الله بخلق الله بالحق قام، المرة بعد المرة، والكرة بعد الكرة، فتواجد الآدم بعد الآدم، حتى استوى إلى معنى الإنسان للآدم، فكان الآدم الإنسان لمعنى ظلاله، وكان الحق من الله لمعنى حاله.

استولى على داره، عرضها السماوات والأرض خلقت له، في دار الأعلى قام بها، واستظل بظلال أشجارها، وتوج في ملكه على عرشه، من ملك للسماوات والأرض، لاسم الله، لإنسان الله، هدية قيومه لقائه، مالك الملك يؤتي الملك من يشاء، على ما يشاء، وكما يشاء، في أزل فعله يُخلف ويستخلف، ويتخلى ليعرف. (الملك من ملك نفسه)¹.

يتخلق الإنسان بأخلاق من كان له العنوان، فيعمل للتكاثر بمعناه، ويستأذن ليخلف يوم يطلب إعفاءه مما هو فيه من الملك بما ملك من تجديد معناه لمولاه، ليكون في قرب من الملك لكل ملك عرفه، ومن الظاهر بكل ملك ظهره، ومن الباطن بأمره وبحقيقته عن كل ما عرف عنه، من كان وراء كل ملك والأعلى، الأعلى من كل ملك بعاليه. فبعاليه خلف دانيه، فعلا عاليه عن حاله من عاليه، بمن خلف، وخالفه بخلفيه، في ناموس الفطرة، ناموس الحياة، في واقع الحياة، في قائم الحياة، بقيوم الحياة تعاليا في الحياة، بتجديد الحياة، وإفاضة الحياة على طالبي الحياة.

طلب الإنسان أزلا إعفاءه من أعباء الملك، ومن قيام بالملك بوصف الملك، طلبا للمالك، يوم عرف معنى العبء، ومعنى المسؤولية عنه، فأعفاه الله برحمته، ونزع عنه الملك الذي أثقله وأعناه، فوضع عنه وزره من الوجود بمعناه، وأعزه بقربه لمولاه، وفي مطلق الوجود أطلقه وتولاه، وعبدا له سماه.

فعرف أن الأعلى داني الأرض ويدانيها في دوام، يوم هو بها له، يبعثه ويرعاه جديدا لقديم بمعناه. زويت له الأرض يوم ظاهره وأبداه، فكان قاب قوسين أو أدنى، لاسم مولاه.

بكلمة لله تمت للأعلى، هي كلمته منه لإرادته به، قامت برحمته، وعملت بعظمته، وظهرت بوحدانيته، لكمال رسالته، عن ربه رفيقا أعلى معلما ومؤدبا دعاه، فتخلق بقائه بأخلاق الأعلى، فعرفه على قائمه حق العبد لمعناه ومبناه، فبالحق نزل لدانيه لمرآة عاليه، فاستوى إلى الأرض بجديده لكوثره مرة أخرى، سبق فعله بعاليه، فداناها بمدانته الأعلى معه فيه، وجددها به لعين معانيه، في قائم الأدنى ذكرًا لله، فكان الرسول ذكرًا قديما، داناها لجديد ذكر بها بما كسب، وبما وهب، وبما اكتسب.

فجدد بها معناه، وأنقصها من أطرافها لبناء سماواتها. كما جدد الأعلى منها معناها، يوم هو به سواها، فأخرج منها سواها بمعناها، يوم هو دحاها فطواها فأخرج منها ماءها ومرعاها، جديد ذكر لقديم ذكر، جامعا لهما في معناه، أنزل بالحق، وبالحق نزل.

بدلت به الأرض غير الأرض، وظهرت به السماوات غير السماوات، مُبدلة به حضرات لحضرات بسماوات لسماوات، بقانون إرادة الله في إرادة الإنسان، وفي فطرة موجود الله بوجوده {والسماوات بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون}²، {كل يوم هو في شأن}³. (إن الزمان قد استدار على هيئته كيوم خلق الله السموات والأرض)⁴.

يُعلي من يشاء، ويضع من علوه من يشاء، في انفراده بإرادته في ممالك وجوده، وملوك ظهوره، بكل ملك حق مبين يخالل ويخالل، من حق مُرسل أمين صادق الوعد، بالحياة غير ضنين، فياضا بالحياة من فيض رحمة الله، رحمة للعالمين. {وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا.. إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم}⁵، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}⁶، {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم}⁷.

هذا أمر الله برسول الله، في وجود الله قائم، وبناموس الله ظاهر، وبحقائق الله معلوم، يوم يُقدّر الإنسان الله حق قدره، فيعرف إنسان الله حق معرفته، أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ربا رحيمًا راعيا، عليهم وكيل، رحمة مهداة، وربوبية مختارة مرتضاة من الله لهم بحكمته.

إمامٌ يجمع ألوان الحياة، هو حوض الحياة.. هو روح الحياة.. هو ماء الحياة لنبات الحياة، صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد، يُبين بالأحياء، ويتحدث بالأشياء. ملك فيه ملك الله.. أمير فيه أمر الله.. سلطان فيه قُدرة وسلطان الله.. علم هو كلمة الله.. ظهور هو وجه الله.. بطون هو عظمة الله.. قرب هو اسم الله.. مراد هو رحمة الله.. غيب هو واسع الله.. سكونية هي لقاء الله.. كتاب لشهود الله، بوجود الله، بأسماء الله، بإنسانية الله لطالبي الله، للمؤمنين بالله.

شعار فطرته لا إله إلا الله.. وشعار طريقه الله أكبر، الله أكبر.. وشعار حكمته الله أعلم.. وشعار حكمه حسبنا الله.. وشعار شكره نعم الوكيل.. وشعار كتابه وهديه نعم الدليل.. وشعار مجاهدته تقوى الله في الإنكار على نفسه بالكمال متقيا دعوى المثل.. نعم الرسول عند المؤمنين.. ونعم الكفيل عند العارفين.. ونعم الطريق والسبيل عند السالكين.. ونعم الرب عند المقربين.. ونعم الحق لأهل اليقين. بذلك كله قام إنسان الله، ومحمد الله، وعبد الله، وابن عبد الله، علماً على الأعلى لاسم الله، ومعلوم الله، ومعلوم النفس للنفس في قيامها في الله بالله، تطور كلمة الله بكلمات الله إلى كمال به، في علمها عن الله، فكان هو شعار إنسان الله، وكلمة الله، وروح الله عند المعلم عن الله، وعند المربي في الله، وعند الدال على الله، وعند الدلالة على الله، عند علم الدلالة على الله، عند النبيين خاتماً لهم، وطابعا لمثالياتهم لكمال المثل لهم، في احتذاء مثاله والقيام بأحواله، كافة للناس.

{وفي أنفسكم أفلا تبصرون}، {ارجع البصر كرتين، ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير}، {فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد}، {خوطفوا في خطابه، وبشروا به لهم ما دخلوا في إهابه، رحمة مهداة، ورب غفور.

الله، من ورائكم محيط.. الله، معكم أينما كنتم.. الله، أقرب إليكم من حبل الوريد.. الله، قائم على كل نفس بما كسبت.. الله، لا شريك له منكم وجوداً، ولا نفساً، ولا شهوداً، ولا عقلاً، ولا روحاً، ولا معنى، {إن الله، لا يغفر أن يشرك به}، {إن الله، لا يقبل عمل المشركين به. إنهم بحركات الصلاة يصلون، ولكنهم عن معنى صلاتهم ساهون، لأنهم يراؤون، ويمنعون عن نور الله الماعون، {وأقم الصلاة لذكركي}، {ما يأتيهم من ربهم من ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون}، فهم أجهزة الله بهم إليه لا يردون، وعوالم الله بهم بنور الله لا يحيون، ولا يطورون، فلا يشهدون لهم معهم ربا، هو رب العالمين، برسوله من أنفسهم هو معهم وهم معه في الله مقامين، ليس الله عليهم به بضنين، نوره يمشي به في المؤمنين، أولى بهم من أنفسهم بما أودع الله فيه، وبما عرّف الله عنه.

عرّف الله ويعرفه لا يظن، فهو ليس فيه بظنين، ولكنه عرف الله لنفسه بيقين، وهياً لقوم يوم ينسبون إليه أمة، وبالإيمان جمعا هو فرد، وبالمتابعة عوالمها هو وجودها، فرصتهم للتعرض لنفحات الله، ليخلق الله منهم بمن خلق فسوى، جديدا لوجود على مثال لوجوده.

فيخلق به من الناس، وهم بوحدتهم لأحدهم معالم الأكبر، من الوجود بالوجود الأعلى للملأ الأعلى ملأ أدنى من الناس، ما تواجدوا بالله وجوها له، وأعلاما لرب الناس، ملك الناس، إله الناس، إلاما للناس عما يفعل الله من الناس، وما يفعل الله بالناس، وما يفعل الله للناس.

يتواجد الناس على الأرض، سواسية كأسنان المشط، بمظاهريهم، ولكنهم يتفاوتون بينهم، تفاوت السماء والأرض في جواهرهم، فيبينهم الأزلي القديم برسالته، وبينهم الحادث الفطير بغفلته، وبينهم الذكر القديم بمعارفه، وبينهم الذكر المحدث بلطائفه، فالكل لله وجوه، الله من ورائهم بإحاطته.

أشرقت الوجوه بنور ربها بوحدتها {وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة} ^{١٤}، {يوم ندعو كل أناس بإمامهم} ^{١٥}، وغبرت الوجوه بعملها، وظلام قلوبها، ببقائها في غفلتها وفرقتها، فنارت قلوب بيقظتها، وجلوتها بالذكر لحضرتها، وصدأت قلوب بغفلتها، فتخلفت العقول بشهوات نفوسها، وبانحطاط أهدافها ومرامها، فرطوا في أمر الله لهم، فلم تجمعهم كلمة لله لمعيتهم فيه، {ووجوه يومئذ عليها غبرة. ترهقها قفرة. أولئك هم الكفرة الفجرة} ^{١٦}، وقد كفروا بمعية الحق لهم روحا وذاتا ومعنى، برسول الله إليهم بينهم، في دائم وقائم أمرهم {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} ^{١٧}، {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم} ^{١٨}.

علمت نفس ما قدمت وأخرت، يوم تعلم، فعلت كرتها خاسرة، وعلمتها للحياة فاقرة، رد إليها عملها، ليس مقبولا عند حقها، بالحق عليها، في كل قيام لها، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا، {وتكلمنا أيديهم، وتشهد أرجلهم} ^{١٩}، وما نحن مكلموهم عاتين، أو منطقوهم من أيديهم وأرجلهم محاسبين، إلا بنفوسهم بالحق فقدوها، بالحياة قاموها، وبالعدم ارتضوها، وقد كانت بالحي القيوم قائمة.

خسروا الله ما كسبوه، وفارقوا الدنيا ما بقيت لهم، خسروا أنفسهم ففسدوا الدنيا والآخرة. هكذا هي الفطرة.. وهكذا هو أمر الفطرة.. وهكذا هو الله، معروفا لا يحدد، واجب الوجود لا يحتجب، للدرك للوجود في وجوده، المؤمن بواجب الوجود لوجوده، المشاهد لله في مرآة وجوده، والمشاهد لنفسه في مرآة المؤمنين. يجيء ويرى ويعمل من قطبانية قلبه، من قطب رحاه لذاته، من مركز دائرته لهيكله، من فؤاده، من صميم فؤاده، من أعماق فؤاده، يوم يرى وحدة مجتمعه من الناس، من البشرية، من شقي البشرية، من قائم الإنسان بحقه بالروح والشبح، فينعكس فيه مطلق الوجود، لعين مرآته بوجوده، لبصيرته عينا لشهوده، في صحبة رسول الله لمعنى الحق للكل عنده، بقيامه لقيومه عليه به بحقه مشهودا له في الكل عنده، لقائم قيومه بنفسه، ظلا له بحقه.

{ارجع البصر كرتين، ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير} ^{٢٠}.. {ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء} ^{٢١} أن يحيطوا به من العلم عنهم، علما عنه، من الكتاب بأيمانهم يأخذونه، ببصائرهم يقرأونه، ويعلمهم يشهدونه، كسبوا الله لأرواحهم، وكسبوا الرسول لعقولهم، وكسبوا الوجود لذواتهم.

فارقوا الدنيا، للحياة كاسبين ولنفسهم مالكين، فالدنيا بزائل زخرفها لم تحدهم، وقد عرفوها على حقيقتها لا قيمة لها عندهم، أدركوها جيفة يطلبها الكلاب، وما كان الكلاب للمؤمنين مثلاً لهم، أو من يصلح للسكنى لقلوبهم، ولكن كان الله هواهم ومثالهم بأسمائه الحسنى لهم يقومونها ويطلبونها، وما عرفوها في رفيق أعلى بها على أنفسهم يقيمونها.

بعباد الرحمن لاقوه، وفي أنفسهم كسبوه، وبمعرفتهم عنهم عرفوه، يوم دخلوا في حصن لا إله إلا الله، شعاراً لهم رفعوه، وبيتاً لقلوبهم شادوه، وحقاً لعقولهم لمسوه، وقياماً للحق في عوالم هياكل سعدوه، فما في كرة الفطرة خسروه، ولكنها كرة رابحة بها غنموه، قائماً على أنفسهم عرفوه، انقلبوا إليه، من ورائهم محيط قاموه، بوجوههم وجها له شهدوه وأشهدوه، وبوجوههم منقلبين إليه في أنفسهم في دوام معارج، يرتقوه ويلاقوه.

فأكبروه يوم أكبروهم، فدبوا على الأرض هونا، ما استعلوه، ولا على الضعفاء علوه، ولا في الغافلين أنكروه، ولا في الجاهلين أغفلوه، أو جهلوه، بل في كل شيء نظروه، أينما ولوا فثم وجه الله لاقوه، طلعت شهوده، واستمعوه وعاملوه واستمدوه، فقراء إليه لازمهم ولازموه، فما بغنى منه بغناهم زاحموه فأنكروه ففقدوه، أو استغناءً عنه بما أغنى بحدوه، بل في دوام طلبوه، ومهما أغنى فهم الفقراء للغنى يستجدوه، ومهما أعز فهم الضعفاء للعز يزبدوه ويتقوه.

عرفوه لا تأخذه سنة ولا نوم، يوم عرفوهم، لا تأخذهم سنة ولا نوم، (نحن معاشر الأنبياء، تنام عيوننا وقلوبنا لا تنام) ٢٢.

هل نام القلب؟ هل نامت قلوبكم عن السهر عليكم؟ هل فترت قلوبكم عن ذكر الله؟ هل توقفت قلوبكم عن العمل؟ إن قلب رسول الله لم يتوقف عن العمل في الله، فهل أنتم تتابعون قلب رسول الله بقلوبكم حتى لا تتوقف قلوبكم عن العمل في الله؟ هل أنتم تعملون بقلوبكم، على ما علمكم، وهذا كم قلب القلوب؟ (ذرة من عمل القلوب، خير من أمثال الجبال من عمل الجوارح) ٢٣.

إن الصلاة.. إن الصيام.. إن الحج.. إن الزكاة.. إن مناسك الدين على ما عرفتم، إنما هي أعمال من أعمال الجوارح، ما شرعت لكم إلا لتنبه الجوارح تمهيداً لانتباه القلب. وانتباه القلب هو غاية الحياة من خلق الهياكل لعوالمها، صغيرها وكبيرها.

ولو استقامت الجوارح لاستيقظ القلب، ولو استيقظ القلب لتواجد الرب في بيته، فإذا جاء الحق لعالمه، وبُذلت الأرض غير الأرض والسموات، لمكنت الجوارح، فكانت إمكانياتها إمكانيات الله لصفاته. (إن في الجسد مضغة لو صلحت صلح البدن كله، ألا وهي القلب) ٢٤.

لو حيا القلب.. لو بعث القلب بالحق.. لو أشرق القلب بنور الله، لو استقبل القلب فيض نور الله، بهدي الله وبرحمة الله، وهو المعد لنور الله بفطرة خليقته، يقوم بشحنة الحياة، ومضاعفاتها، نور على نور، وحياة على حياة، مضاعفة للحياة، ومضاعفة للنور، أضعافاً وأضعافاً، يضاعف الله لمن يشاء، ويهدي من أناب، فإن صادف القلب هذا، كانت كرتة بالحياة في مشروعها الأبدي رابحة، (إنما خلقتكم للأبد، وإنما تغيرون الدار من دار إلى دار) ٢٥.

من أناب أمره لله ورسوله، معلوماً له أمره، في كرة قيامه برفيق مؤمن بالله ورسوله، كان الله ورسوله حسبه، وكان الله ورسوله نعم الوكيل. فما انفصل الله عن رسوله، وما تعطل هديه برسوله، وما انفصل الرسول عن رسول الله، عن أمته لقيامه برسلة، وما توقف قيامه بقائه عن قيام الله ورسوله، له به، وما انعزلت قدرته عن قدرة الله ورسوله، أو قدرة الله ورسوله عن قدرته، وما استقل قيامه عن قيام الله ورسوله أزلاً وأبداً وسرمداً، وما فارق عوالم الخلق قائم بالله ورسوله، بموصوف أحواض الحياة، بماء الحياة لها، في حيوات الروح في أشباحها من التراب أو النور أو النار. الناس لله ورسوله كلمة الله ورسوله.. الناس ما عرفوا بينهم لله ورسوله، إلا كلمات من الله ورسوله، بها كانوا كلمات لله ورسوله، عنونت الله ورسوله، بها استوى إلى الأرض فقدر فيها أقواتها من كلمات الله ورسوله، وبها استوى إلى السموات فسواهن كلمات لله ورسوله. بها ظهر الملك الحق المبين، وبها لكاملها مخلقة عنها، يؤتى الملك من يشاء من الإنسان والملك، والجنان، وينزع الملك ممن يشاء منهم، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، له الأمر، وله الفعل، وله القدرة، في السماوات والأرض، كتب على نفسه الرحمة، وغلب رحمته على عدله، وأقام عدله بقوانين إرادته ونواميس فطرته لقائم الوجود لصبغته.

{من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه} ٢٦، {قتل الإنسان ما أكفره} ٢٧، {إن الإنسان لربه لكنود} ٢٨، {إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى} ٢٩، يا أيها الإنسان، {إن إلى ربك الرجعى} ٣٠، يا أيها الإنسان، ذكر نفسك بالضعف، ولا تزعم لنفسك القدرة.

وأنت أيها المؤمن لا تنظر إلى المسيء نظرة مقت وهوان شأن، واعلم أنه لو شاء ربك ما فعلوه، ولحكمة شاء، ولحكمة فعلوه، فلا تظن بالله ظن السوء، هو {الرحمن فاسأل به خبيراً} ٣١.. (رب معصية أورش ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورش عزاً واستكباراً) ٣٢.

إنها آيات الله يبيدها، لمن يرتئها، وإنها فتنة الله يسديها، لطالبيها، من المنافقين فيها، فريق وفريق، {فريق في الجنة وفريق في السعير} ٣٣، {لا يستوي أصحاب الجنة، وأصحاب النار} ٣٤، {إن الشيطان لكم

عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير} ٣٥. إن النار لها نصيبها من خلق، واللجنة لها نصيبها من خلق، والإنسان بالحق (مالك) للنار ومحيط باللجنة في (رضوان) من الله أكبر، وهو بحقه لربه جماع الناس بهما.

فالمقربون والمقاربون، لا يرتضون باللجنة لأنفسهم متاع، ولا يرتضون بسلطان النار لهم على أهل النار فيهم، حتى لا يكون به لأنفسهم ضياع. إن النار في طريق الإنسان، {وإن منكم إلا واردها، كان على ربك حتما مقضيا} ٣٦، وإذا كان الشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، بإذن ربه، صراطا مستقيما له، فالإنسان الرشيد لا يرتضي أن يكون هدفه من الاستقامة مشاركة الله في عزته بالمجاهدة والتقوى، {فبعزتكم لأغوينهم أجمعين} ٣٧. (إن لم تذبوا وتستغفروا فأني أخشى عليكم ما هو أدهى العُجب العُجب) ٣٨، (إذا لم تذبوا وتستغفروا لذهب الله بكم وأتى بقوم آخرين يذبون ويستغفرون فيغفر الله لهم) ٣٩.

يهدف الإنسان إلى كسب العزة والسلطان، و{ليطغى أن رآه استغنى} ٤٠ وينسى مانح العزة ومانح السلطان. فهو لا يريد أن يتخلى عن العزة ولا عن السلطان، لمن يطلبها منه، ليخلفه عليهما، ويخلصه منهما زهدا فيهما عنده، وفي هذا فتنته {فبعزتكم لأغوينهم أجمعين} ٤١، {بما أغويتني} ٤٢، {هذا صراط عليّ مستقيم} ٤٣.

فالعزة والسلطان تملك في متابعة الرحمن، بها يعمل الرحمن بالإنسان، وتتعطل بغلبة الرحمة على العدل عند الرحيم في متابعة الرحمن في غلبة رحمته بما كتب على نفسه، فالعزیز مخلف بعزته، حتى يتحرر هو من العزة والسلطان بمن يستخلفه عنه بهما في دائرة وجوده. ثم يحرر من أعطاه العزة والسلطان، ويعينه على أن يتحرر من العزة والسلطان بمنحها إلى طالب للعزة والسلطان، من المؤمنين، على ما فعل له الأعلى من الإنسان.

وليس معنى هذا التحرر من العزة إلى الضعف والاستكانة، بل هو التعالي بها إلى سعة، ترفع عن استعمالها مع من تراهم بحال من الضعف معها، لا يليق بها معه الظهور بعزتها في عظمتها.

هكذا دواليك، عزة وسلطان يكسب، وعزة وسلطان عنه يتخلى، خلقناكم أزواجا وحققناكم أزواجا، وذلك ما قام ويقوم في الإنسان موصوف حق الله {في أي صورة ما شاء ركبك} ٤٤، قائم كلمة الله، وروح قدس كلمات الله. وهذا ما كان لمن كان رسول الله، لرسول الله وعبد الله.

فما شهدناه الحق من الله، ولا به بالحق قنائه، قياما لله ورسوله، بقائم الله ورسوله، بكلمة الله، آدم أودام الله في الله.

ذكرناه ذاتا وآدما محمدا، ابن عبد الله، وابن أمة الله، الآمنة بنت وهب من الله، فكان بالله بظاهر وباطن، ابن عبد الله، قديما وأبدا، فما قدرناه لنا لقائم بالله، والروح المتجسد المتصل بالله، سليل عباد الله، لا بدء لهم، والطالبين لله لا انقطاع لهم، فكان بكوثره جماع الحامدين لله لا احتجاب لهم، الغاضبين لله لا فتور لهم، الهاشمين للنفوس، الراحين لها، مرضاةً لله، في قائم الله، لمعنى حقائق الله. فكان بذلك لنا دائماً رسول الله. فهل بذلك عرفناه؟!

من ظهر آدم لأقرب تواجداته له، وُلِدَ من نكاح صحيح، إلى ظهر عبد الله، حملته البطون، آمنة مرحومة، وحملته ظهور الآباء، رجالا لله، سواهم رجلا برجل، رجلا بعد رجل، على القرب والبعد بينهم في المكان والزمان، رجل سَلَمَ لرجل، (يطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات) ^{٥٠}، عنونها أحسن تقويم، وظلاله مقبولة مغفورة.

بواً الأعلى إبراهيم مكان البيت لهيكله ليكون سبقاً له بمعناه، لتستقيم له مثاليته للناس عند الناس، عبدا لمولاه، بدءا لوجود، مسبوقا ببدء، بدوام إلى أزل، ليكون بقدوته لمعناه إلى أبد، خلقا وحقا، ظاهرا وباطنا، كان تمام كلمة الله الذات، تمام كلمة الله الروح، فأودع فيه حقه بالذات، سر ربوبيته بالروح، بيتا لله يرفع، وسر ربوبيته وجهها لله، لوجوه به لله بيتا لله وضع، أمة بقائه هو فردها، منه تُدعى لقيامتها، وبه تُبعث لقيامها.

أذن لإبراهيم أن يؤدّن في الناس بالحج، ليأتوه مؤمنين لقاءً مع الحق لهم فيهم به، وقد بوى لنفسه مكان البيت، ليكون ومن صلح من أبنائه شعبا مختارا مقدمة لمن جعله الناموس في دورته بالحياة كافة للناس بذلك، ليكون شرفه في أن يخرج ذلك البيت منه ويكون مقدمة له به، وبشرى عنه رسولا به، لأبدي الحق، مظهرا لأزليه بآدم.

فكان إبراهيم الأب والآب وخاتم وطابع كلمة الله لرسالة بني إسرائيل، بكلمتي الله موسى بني عمران، وعيسى بن مريم، مبشرين بمن تقوم رسالته على فتح ما أغلق عن عموم الناس إلى قدر، حتى تواجد بين الناس من أنفسهم ناشئة الليل على ما أنشأهم من ارتضاه لنوره، ليكونوا به قدوة وأسوة لهم في جمعهم على ما جدده بنوره، واصطفاه لأطواره بخلقه.

جعله حقائق الله وكلماته، أودعه إشراقه ونوره في قلبه لواسعه بلطيفه لهيكله، وجعل مشهود قلبه ليلا ليومه بباطنه ظهر لآدمه بأديمه، حتى يكون رسولا من أنفسهم، وكافة لهم بقدوته، ظاهره الخلق وباطنه الحق. هم في حاضرهم لليلة لقادهم في نهاره، طبيعة البشر، وحقيقة البشرية.

فهو جماع اليوم، ظاهره الليل بمقام موسى، وباطنه النهار بما هو لعيسى، هو يوم الجمعة المنادي للصلاة بالاجتماع عليه اجتماعا على ربه، من دخله كان آمنا، {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد} ^{٦٦} رسولا من أنفسهم، لكتاب تقديره وليلة قدره، ويد قُدرته، {وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم} ^{٦٧}، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم} ^{٦٨}، {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} ^{٦٩}...

وهم يجاهدون أنفسهم تتخلص من أوزارهم وأحاملهم بأعمالهم، وقد وعدنا المستغفرين المجاهدين منهم أن نهديهم إليه سبيلا لهم، لمعنى قائم ودائم رسول الله بينهم، {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} ^{٧٠}، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} ^{٧١}، وما كان الله ليقبلهم وهم ليسوا فيه بإسلامهم، وليس هو فيهم بإيمانهم.

إن الأعلى لمعنى ربه في أحديته، اكتفى به لموصوف العبد له، فقام قديما في دائرة وجوده برسالته فيه، وبشر من دخلوا فيه وطنا لهم برحمته، وتطهيرهم بالاصطفاء منهم لمعنى آدم لهم، لبعثهم به بحقية العبد له. {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهركم تطهيرا} ^{٧٢}، وما كان البيت يرفع أو يوضع، إلا قلب إنسان أرضا ودارا للرحمن، أمر يتم ويتواجد في ناموس الفطرة لصبغة الله.

فن لم يدخل البيت لله، هو قلب عبد من عباد الله، هو قلب رسوله، بيت إنسان الله بيتا يذكر فيه اسم الله، بيت الله، ساحة الله، فما تعرض لرحمة الله، وما تعرض لمغفرة الله، وما تعرض لشفاعته رسول الله، وما أدرك التوصل إلى الله، وما تعرض للإيمان بالله، وما كان مسلما لله ورسوله بإسلام إلى قبلته، رمزت لها الرسالة بحجرة، قائمة، دائمة، في مشهود حياتكم على دوام، بإشارة إلى الهياكل المتجددة به في تجددكم منكم.

{إن الذين ينادونك من وراء الحجرات، أكثرهم لا يعقلون} ^{٧٣} وكرتهم للقيام خاسرة، {إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر} ^{٧٤}، {أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا} ^{٧٥}، {أولئك يجزون الغرفة بما صبروا} ^{٧٦}. فرسالة الرسول بقدوته، بيتا يذكر فيه اسم الله، أمر يكسب ويجزى به.

{وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل، أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين، والركع السجود} ^{٧٧}، {ذرية [طيبة] بعضها من بعض} ^{٧٨}، وفق تطبيق قانون الاختبار والانتخاب، وقد بوأناكم مكان البيت منه تواجدتم، ومنكم يتواجد، جزاء أوفى، لكم ولن كان من نسلكم به يظهر.

أقيموا القواعد من البيت مقتدين بإبراهيم وإسماعيل إن كنتم مسلمين، وإذ يقيمان القواعد من البيت، إذ يضعون آداب السلوك لأهل البيت لهم، ويورثونهم حميد الصفات بما استقاموا عليه وماتوا عليه، وبعثوا فيهم به، إذ يضعون للناس كيف يكون الأدب مع البيت وأهل البيت، وقد بوأهم الله مكان البيت من أنفسهم، وقد جعل من بيوتهم بقلوبهم قبلة للناس، بعد أن جعل من قلوبهم بيوتا له وقبلة لهم به.

لقد كان إبراهيم وإسماعيل مثلاً للإنسان يصطفى، وابن الإنسان يكرم مثلاً لآدم وابن آدم، مثلاً للحق ورسوله، مثلاً لله وقبضة نوره، مثلاً لاسم الله يتكرر ويتعدد بصفاته لأسمائها، ويتعالى ويتجدد بظلاله يخلفها على إرادته بخلقه في دائمه الأبدى، بوأها مكان البيت رجالا لمعاني بيوت رفعت يذكر فيها اسم الله، كان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا ليكون قدوة تعم، ونعمة ورحمة للعالمين تتم، جعله من ذريتهم جديدا لقديهمم بالحق لآدمهم، بمحمد وعليّ.

يوم أبرز الله عبده ورسوله وأهل بيته لمعنى آدم ونوح اجتماعا له ليكونوا مصابيح لله بنوره لإضاءة الطريق، وشموسا للوجود لقيام حضراته بحقائقه، جعل الشمس عليهم الدليل في شهود الطبيعة لمعلوم الحقيقة، وكان الله بما أبرزهم، وبما هداهم إليه، وبما داناهم بهم، وبما أعلاهم فيهم، بهم ولهم الكفيل، وعليهم عند خلقه الدليل.

لا يعرفون إلا الله، ولا يذكرون إلا الله، ولا يعلمون له سميا إلا أسماؤه بالمحسنين، له الأسماء الحسنى من العابدين، له وجوه طلعت من إحاطته بحقائقه بعباده ربا للعالمين، لا يعرفون له ذاتا غير ذواتهم وذوات الناس بهم، وذوات إنسانية الأزل إليهم بإنسانية الأزل لرشادهم، وذوات الأبدية بهم لهم لإنسانية الأبد بحقهم لحقيقتهم. رأوهم لحاضرهم قديما متجددا بقاءم دائم من خلاهم أمة وسطا. هم الكل في أمرهم على قلتهم في أمر الناس بهم.

أمة اجتمعت في أصابع يد الله بهم، يد قدرته ممسكة بهم، يتجددون بجمعهم في وحدتهم إلى أبد لا انتهاء له، من أزل لهم عرفوه لا بدء له. إنهم خمسة تعلمهم أحدية الحق، وتسفلهم وحدة الخلق. هل عرف الناس بيت الله يذكر فيه اسمه؟ {رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله} ٥٩، {ويطعمون الطعام على حبه} ٦٠ لوجهه.

هل عرف الناس العباءة وما طوت؟ هل عرفوا الخيمة وما حوت؟ هل عرفوا ظاهر عبد الله، آدم الله، بإنسان عرفوه وما قدروه، وما تابعوه، وما ذكروه، وما لأنفسهم حققوه؟

ولو تابعوه لعرفوه، وهو القدوة لكافة وجدوه، ولكنهم ما أبصروه، سمعوا رنين صوته ما وعوه، حملوا كتابه ما لمسهم، ولا لمسوه، جعلوه حرزا، أحرزوه وتحرزوه، وما قاموه، وما قرأوه، وأنفسهم لله إليه عبادا انتسبوه، وربما لهم نسبوه، وتعالى الله عما وصفوه.

والله أقرب إليهم من حبل الوريد أنكروه، وحذوه، وقلوه، وظاهروه، وما كسبوه. وهو القائم على نفوسهم ما آمنوه، وما سجدوه، ولكنهم بدين من الوهم ذكروه ورددوه، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا يوم يعرفوه، فظلموا أنفسهم وما ظلموه يوم هم فقدوه ما عرفوه.

ولكنه لم يتركهم كلما تخلفوه، باخعا نفسه بينهم، بجديد خاصموه، ثم بقليل منهم آمنوه، ثم مقبرة بينهم أكبروه وعمموه. فإذا ما واصل هديه بجديد، هم بعين فعلهم واصلوه، حتى يلاقوا يومهم وعدوه، يوم تنشق الأرض عنه وقد نسوه. وقد برزوا لله جميعا في أنفسهم ما ذكروه.

فتعالى الله عما وصفوه وعما لاقوه، يوم هم لأرواحهم جحدوه، ولأنفسهم في ظلامها قلدوه وحاكوه وبها قاسوه وكالوه وإليها نسبوه. نسأله النور والهدى لنا ولمن لأنفسهم بأرواحهم أنكروه، فما آمنوه أو افتقدوه أو سألوه.

نسأله أن يكشف عنا أخطيتنا، وأن يفضحنا، ولا يسترنا حتى يتميز لنا الخبيث من الطيب بيننا وفي أنفسنا، ويظهر بيننا بمن في أنفسهم وجدوه، لمن في أنفسهم فقدوه، لينظروا فيطلبوه، وفي أنفسهم مع الرسول يلاقوه.

اللهم برحمتك ادفع عنا فتنتك بنا أحاطت، وفينا تغلغت، اللهم ارزقنا الصدق معك، والصدق مع أنفسنا، وحررنا من النفاق يحيط بنا، ويتغلغل فينا، ويقومنا، ويجعلنا له.

اللهم اجعلنا لك، ولا تجعلنا للنفاق، نحن بافتنانا بأنفسنا قيام بافتنانا له ومصدر له.

اللهم كن لنا، على ما كنت لأبائنا في أحسن تقويم..

اللهم كن لنا على ما وعدتنا لأبائنا لأحسن تقويم..

اللهم لا تحرمنا فيض الآباء من أحسن تقويم..

اللهم اجعلنا أصول الأبناء لأحسن تقويم..

اللهم اكشف عنا حجاب الغفلة، وعلمنا وأعلمنا ما كسبت نفوسنا في قديم من كرات خاسرة، لا يأسين، وارزقنا التصديق لما ينتظرنا مما بشرتنا به من كرات قادمة رابحة، ما وفقتنا فقمنا مجاهدين، غير وانين، لها عاملين، ولكسبها جادين، وإلى تحقيقها هادفين.

لا إله إلا أنت، على ما علمنا، من رب العالمين، عرفناه وشهدناه برسوله الأمين، ظاهره لباطنه، في وحدانية وجودك، وفي قائم شهودك، وفي طلعة رحمتك وجودك.

اللهم به فآلحقنا، ولحقه فعبدنا، ولكلمتك منه، بها فابعثنا، وبها قومنا، وقوم بنا، علمناك لا إله إلا أنت، لا شريك لك في وجودك بوجودنا، لا شريك لفعلك بفعلنا، ولا شريك لقيومك بقيامنا.

اللهم أدخلنا في حصن وحدانيتك، وأدخلنا في حصن لا إله إلا الله، واجعلنا لا إله إلا الله، وألسنة الله أكبر، لكتب معرفتك، ونصب حججك وهدايتك، وبيوت ذكرك، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

اللهم برحمتك فول أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا، بما كسبنا، وكن لنا في الكبير والصغير من شأننا، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك.

لا حول ولا قوة إلا بالله.

أضواء على الطريق

جاء في المقدمة التي قدم بها السيد هانن سوافر شيخ الصحافة البريطانية وصاحب الدائرة الروحية المعروفة باسمه في لندن لأحد كتب السيد سلفربرش ما يأتي:

(إن سلفربرش معلم. وهو لا يعالج ونادرا ما يعطي رسائل إثباتية، ويعتذر عن ذلك بين الحين والآخر، فيقول إنه يأسف كثيرا لأنه قد حصر هيمنته على الوسيط في التعليم. ومع أنه يعتبر تعليمه ذا أهمية فهو يقر أن العالم يحتاج إلى برهان على البعث.

وخلال السنوات الأخيرة أخذت أناسا على كل شاكلة ليستمعوا إلى سلفربرش وهو يتحدث من كبراء رجال الدين والصحفيين وأناس من جميع أقطار العالم. ولم أسمع من أي منهم كلمة نقد لأي شيء قاله.

حمل إليه قسيس ما لديه من صعوبات علم اللاهوت فوجد نفسه يخلو للسكون عندما شرح سلفربرش في كلمات بسيطة ما يسميه القانون. قلت للقسيس الذي أُمّمي "اكتب أصعب الأسئلة التي يمكنك التفكير فيها"، فأخذ يعدها متحمسا لكي يتحدى أحد الأرواح المرشدين والذي غالبا ما استمع إلى لمزه كثير من رجال مهنته. وكانت النتيجة أنه غلب على أمره، عندما جعل له سلفربرش علم اللاهوت على درجة كبيرة من البساطة.

والآن تعقد دائرتي التي مرشدها سلفبرش جلستها في مساء كل جمعة، وتنشر صحيفة (سيكك نيوز) كل أسبوع بانتظام تسجيلًا حرفيًا لما يقوله. إنه يدلي به لدائرتنا لا لفائدتنا الخاصة ولكن ليزاد توافر كل أنحاء العالم.

وكان من نتيجة ذلك أن أصبح لسلفبرش أتباع أكثر من أتباع أي واعظ أرضي. إنهم ينتمون لكل إقليم، وغالبًا لكل جنس، أناس من كل الألوان المتباينة. وإذا ما صيغت كلمات سلفبرش في حروف المطبعة البارزة، فإنها لا يمكنها أن تعمل أكثر من حمل قليل من نبل أخلاقه، وحرارة صداقته، وبلاغته المطبوعة بالوقار، إنها تستدر الدموع أحيانًا، ومهما كان متواضعًا في حديثه، إننا لنعلم أننا في حضرة روح سام، إنه لا يلوم أبدًا. إنه لا يبحث عن الخطأ بتاتا).

رحم الله الأخ هانن سوافر. لقد أعلمنا مرشدنا أنه ما زال يواصل عمله في الخدمة، وأنه بجواره معنا دائمًا، للبروز بهيمنة كاملة يبرز بها ما يحتاجه العالم لإقامة أسس السلام فيه.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ استلهاما من الحديث الشريف: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب". أخرجه البخاري ومسلم
- ٢ سورة الذاريات - ٤٧
- ٣ سورة الرحمن - ٢٩
- ٤ حديث شريف: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود.
- ٥ سورة البقرة - ٢٤٧ {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ" سورة آل عمران - ٦٤.
- ٦ سورة التوبة - ٣١
- ٧ سورة الذاريات - ٢١
- ٨ سورة الملك - ٤
- ٩ سورة ق - ٢٢
- ١٠ سورة النساء - ٤٨
- ١١ سورة طه - ١٤
- ١٢ الأنبياء - ٢
- ١٣ سورة القيامة ٢٢-٢
- ١٤ سورة الإسراء - ٧١

سورة عبس - ٤٠-٤٢	١٦
سورة الإسراء - ١٥	١٧
سورة ابراهيم - ٤	١٨
سورة يس - ٦٥	١٩
سورة الملك - ٤	٢٠
سورة البقرة - ٢٥٥	٢١
حديث شريف: "إنا -معشر الأنبياء- تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا." أخرجه البخاري.	٢٢
مقولة صوفية ينسبها البعض لحكم السيد أحمد بن عطاء الله السكندري، والبعض يقول إنها ترجع للإمام أبي حامد الغزالي.	٢٣
من الحديث الشريف: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب." أخرجه البخاري ومسلم.	٢٤
مقولة للخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز: "إنما خلقتُم للأبد، ولكنكم تنقلون من دار إلى دار." أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	٢٥
سورة البقرة - ٢٥٥	٢٦
سورة عبس - ١٧	٢٧
سورة العاديات - ٦	٢٨
سورة العلق - ٦	٢٩
سورة العلق - ٨	٣٠
سورة الفرقان - ٥٩	٣١
من حكم السيد ابن عطاء الله السكندري: "معصية أورثت ذلًا وافتقارًا خيرٌ من طاعة أورثت عُرًا واستكبارًا"	٣٢
سورة الشورى - ٧	٣٣
سورة الحشر - ٢٠	٣٤
سورة فاطر - ٦	٣٥
سورة مريم - ٧١	٣٦
سورة ص - ٨٢	٣٧
حديث شريف: "لو لم تكونوا تذنبون، لخفتُ عليكم ما هو أكبر من ذلك؛ العجب العُجب." أخرجه البزار والديلمي.	٣٨
حديث شريف: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ." صحيح مسلم.	٣٩
سورة العلق - ٦-٧	٤٠

٤١	سورة ص - ٨٢
٤٢	من سورة الحجر - ٣٩
٤٣	سورة الحجر - ٤١
٤٤	سورة الانفطار - ٨
٤٥	مقولة للشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية: فإن نظرت إلى الآلات طال بنا *** إسناده عن عنة حتى إلى الذات.
٤٦	سورة محمد - ٢
٤٧	سورة محمد - ٢
٤٨	سورة الأنفال - ٣٣
٤٩	سورة الأنفال - ٣٣
٥٠	سورة العنكبوت - ٦٩
٥١	سورة يوسف - ١٠٨
٥٢	سورة الأحزاب - ٣٣
٥٣	سورة الحجرات - ٤
٥٤	من حديث شريف: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَائِبَ فِي الْأُفُقِ، مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لَتَفَاضِلِ مَا بَيْنَهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ." صحيح البخاري، وأخرجه مسلم باختلاف يسير.
٥٥	سورة الإسراء - ٢١
٥٦	سورة الفرقان - ٧٥
٥٧	سورة البقرة - ١٢٥
٥٨	سورة آل عمران - ٣٤
٥٩	سورة النور - ٣٧
٦٠	سورة الإنسان - ٨

(١٣)

ليت لنا مثل الذي لقارون!! الحمد لله أن ليس لنا مثل الذي لقارون!! ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة وهذا هو نصيبك من الدنيا

حديث الجمعة

٤ شوال ١٣٨٤ هـ - ٥ فبراير ١٩٦٥ م

ابتلاه ربه، فقتر عليه رزقه، فعاتب ربه، وقد ظن أنه قد أهانه، ولجأ إليه واستعانه، وعرفه مفتقرا، فناهجه معتذرا.. فأجاب سؤاله مختبرا، ووهبه ما أن مفاتيحه ينوء بها العصبة أولو القوة من كنوز الأرض. ملّكه كل شيء في دنياه، حتى يكف عن العتب على مولاه.

ولكنه ما لبث أن قال إنه أوتيها على علم عنده، إنما هي من حسن تقديره، إنما هي من حكمته وسلامة تديره، إنما هي قدرته ومكنته، فدخل جنته وهو ظالم لنفسه، فقال ما أظن أن تبید هذه أبدا، ولا أظن الساعة قائمة، أو أن أبدل خيرا منها. هذا هو الإنسان في كنوده، وإن منكم إلا واردةا بحجوده، يوم تبلى السرائر، فيعرفه ويكشفه ما له من قوة ولا ناصر.

إنها الدنيا، نعيشها مكرمين، أو نعيشها مهانين، وما نظن لنا شيئا بعدها ليوم الدين، فلنرفع فيها رؤوسنا، ولنبسط عليها سلطاننا، وليكن لنا في أرض شنغار قدوة، وقد قالوا فليتوحد جمعنا، ولتتحد لغتنا، ولتتوحد مقاييسنا، ولنبنى لنا مدينة، ولنشد لنا برجاً، ولنتخذ لنا اسما، شعارا ورسماء، فلن تبید دنيانا أبدا. فلنفرضنا عليها أمدا وأمدا بقاء سرمداء، ولتكن غنائمنا منها نصيبا وجزاء، ولنحسن في أمرنا فيها جهادا وبلاء، فليس لنا غيرها في الوجود عطاء وهناء.

فمرت الأيام تبدو مملوكة الزمام له، وأنه هو مالکها، له ملك الأمصار، يعلو على الأرباب، يطغه المال، ولا يوقظه مشهوده بالعبر مما يرى من حال، وقد زعم لنفسه الربوبية العليا على الأرباب، ولم يدخل الأعلى واجب وجود في الحساب، فلم يشكره على نعمته، ولم يره في أمانته.

وقال ما أوتيته إلا على علم عندي، وتفانر أليس لي مُلك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي؟ وهذا وذاك، لا يقاس بي فأنا خير منه، أنا من الهمة خلقت، ومن العزيمة تواجدت، ومن القوة والقدرة، أُرضعت، فقُدِرت، والسبيل إليَّ للناس يسرت، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

فقال له حكيمهم: أكفرت بالذي خلقك؟ أكفرت بالذي خلقك من تراب، ثم من نطفة، ثم سواك رجلاً؟ لولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله، اتق الله واستغفره، ومع قومك عامله. فأعرض ونأى بجانبه، ولم يأبه لصاحبه.

هكذا قضى الكتاب بما قضى، وهكذا حمل المبلغ لما بلغ قصصاً تعددت صورته، هو الحكمة.. قصصاً بجوهره لألوانه هو الدستور وأركانه.. قصصاً للفرد وجمعه هو الحياة.. وتصوير الحياة على ما هي الحياة.

يبتلي الله من يبتلي في أيام وكرات ابتلائه أو جزائه تمكيناً وحرماناً من تمكين، غنى وحرماناً من غنى، استغناء يصحبه الافتقار، أو عطاء يلزمه الاضطرار.

إنما هي الحياة في أطوارها.. إنما هو الواقع بصوره.. إنما هي آيات الله بمعانيها في أنفس الناس بظواهر الناس.. إنها الكتاب فيما يحيط بالناس منهم بصورهم لمطالعته ومذاكراتهم.. إنها دنيا السر والسريرة، ودنيا الجهر والشهادة والبصيرة.. إنها أول مراحل الحياة الروحية لمفردات الناس بها، وآخر مراحل الحياة الروحية لمن يجتمع فيه لها أمرها، قائم نفسه لقائمه عليها، بقيومها لقائم ربه لها، برحمته به لأهلها. إذا انعكس البصر والبصيرة في دنيا الداخل، فقرأ القارئ للنبا أو حمل الحامل فتحدث المدرك بالخبر، عرف أن دنيا خارجه إنما هي نسخة طبق الأصل من دنيا داخله واسعة مكبرة، وعرفه بين دنييه، دنيا تواجده ودنيا وجوده، بقائمه بمعناه حجاباً بين دنييه، عرفه بهيكله سورا من المادة، بين حقه له، وحقيقته من حوله.

فإذا بقي في غفلته حتى بهت بساعته، حتى إذا ما نفخ في السور وخسف به وبداره الأرض، حتى سقطت الأسوار، وتجمعت الأنباء والأخبار، اجتمع السر والإشهار، تلاقت دنيياه، وعرفه بعلمه بين يدي مولاه، ما استرحم، وما رحم، وما آمن وما قدر أن من يرحم يرحم، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، عرفه وهو في تقييده تحت الزمن والطبيعة والمكان، إنما قطع بدنياه كرة خاسرة، ثمرتها له هي الآخرة الفاقرة، ورأى جزاء من قطعها كرة رابحة، راحمها مرحوماً، إنساناً مغفوراً، مؤمناً ذا كرام مذكوراً.

ورأى من ازدراه وما عرفه، للرحمة عبدا بعبوديته صار لها حوضا، فظهر للرحمة إناء ووعاء وفيضا، أفاض الرحمة عطاءً وجزاءً، وقام بالرحمة حكمة وأداءً.

فإذا ما تجاوز أيام الابتلاء، بدلت سيئاته حسنات. ذلكم هو الإنسان لم يأس من رحمة الله، يوم تكشف له نفسه وقد هدي السبيل كافرا فغير ما بنفسه فغير الله ما به، وبدل سيئاته حسنات، وهو الذي أعجب بنفسه دوما وقد لبس جلباب الشيطان يوما، وقد نظره الناس يوم رأوه في جلبابه من الشيطان، يظهر بالعظمة والكبرياء والطغيان، فيبرهم ما يروا من خدعة السلطان وإن كان يقوم في باطنه مظلمة ظالما لنفسه بالغفلة والبهتان، فقالوا {يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون}، فلها بطش به وبداره، قال أهل جواره الحمد لله الذي ليس لنا مثل الذي لقارون. اليوم ننحيك بيدك، لتكون لمن خلفك ممن تابعت آية برحمة.

هذا هو ناموس الله، في قصص يديه فيما يعطي ويمنع، في دار التوقيت والاختبار لمن يضرب بهم للآخرين مثلا للعظة والاعتبار. إنه ناموس الفطرة في الناس، فيما يدرك وينكر الناس من جوهر وقشور الحياة بظروفهم في موقوت أيامهم، يقطعونها متعطين، أو تقطعهم جاهلين غافلين، بعيدا عن الإسلام والمسلمين.

إنهم يكبرون أهل الابتلاء بنعمة الدنيا ظاهرين، وينكرون على أهل البلاء أبوابا للآخرة قائمين، لأنهم لا يعرفون الحق ما يكون، ومن يكون، ومتى يكون، وأين يكون، فيعرفون أهله يوم يلاقون، ويشهدون. ولا يعرفون متى الجزاء وما الوفاء، فيتقون ويستوفون.

{إني متوفيك، ورافعك إلي} ^٢ لأن الله يتوفى الأنفس حين موتها، وقد أماتك عنك المرة والمرة، وبعثك الكرة والكرة، فكنت مسيحا لمن أماتك وقياما لمن بعثك، ثم بعثك بحمدك في آل حمده بالحق، فكنت عبدا لتام عبوديتك، وكمال حقك، ثم اجتباك إليه، وأجلسك، على كرسي لك، في ملك لك من ممالكه، فكنت ربا راعيا لتام حقيقتك وهو يوما معيدك، لتحدث الناس بمجديك عن قديمك.

أظهرك من وراء حجاب أديمك بآدمك وكوثر أوادمك متحدثا من الصالحين، كلها من الأرض ولدت، وكلها بالحق للبشرية بُعثت، وفي الله استشهدت، وله بالحياة طلبت، وعلى نفسك من التراب أنكرت فكنت يتيما آواك وضالا هداك وعائلا أغناك، فكنت من الله حقا والله اسما ومنه كلمة وإرادة، وفيه روحا وحقا.

هذا هو أمر الإنسان بالحق وأمر ابن الإنسان، مصطفى اصطفاء أبيه، أو مكرما على ما أكرم أخوته من أبناء فيه، يطغى، ويفتن، ثم برحمته يُوقظ، فيدرك ويرسل، فيستغفر، وله الله يغفر (إذا لم تذبوا

وتستغفروا، فيغفر الله لكم، لذهب الله بكم وأتى بقوم آخرين يذنبون ويستغفرون فيغفر الله لهم^٣، {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا^٤}، {إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء^٥}.

{استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا^٦}، ويورثكم الأرض فتبوءون من الجنة حيث تشاءون، يوم أنكم متارب الوجود تملكون، وأنفسكم دورا لكم تسمون، وكراسي لظهور سلطانكم تعرفون، على عروش الروح لبنات بنائها من الناس لكم منكم لها تجمعون، وبالحق على عروش أنفسكم تستون، أسماء الله تتجمعون، وبصفات الله تتحلون، والأسماء الحسنی له تدعون.

(ليس الشأن أن تعرف ما هو الاسم الأعظم، ولكن الشأن أن تكون أنت الاسم الأعظم^٧)، فتكون وجهها لله، باقيا، غير فانٍ، زهق باطله من الفناء والتوقيت، وبُعْث بحقه من البقاء والتأييد، {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك، ذو الجلال والإكرام^٨}، بيتا موضوعا، علما على بيت مرفوع.

(يطول بنا إسناد عننة حتى إلى الذات الأعلى^٩)، نشهدها بحكم الناموس يوم ندخل في الحجاب الأعظم لها، من بيت موضوع باسم ذات أدنى، ذكرا محدثا لله، لذكر قديم لله، لذكر أقدم فأقدم، في الله ذي المعارج، أو في بيت مرفوع، يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده.

والبيت المرفوع وأهله، والبيت الموضوع وأهله، الكل في الله الواحد الأحد، في الله الفرد الصمد، في الله الوجود المنفرد، يدرك أمره كلها قام فرده بأحدثه بإنسانه، إنسانا لله، وعبدا لله، وحقا لله، من عباد الله، من حقائق لله، من ذكر متعدد لا حصر له، يذكر به الله في بيوت ترفع وتوضع، يذكر فيها اسم الله برجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم بالغدو والآصال وليسوا من الغافلين، يذكرون ربهم في أنفسهم في معارج الله بأسمائه ربا فاعلا، طلبا للمطلق يعرفونه أقرب إليهم من حبل الوريد، ومعهم أينما كانوا بالأعلى فالأعلى عليهم ربا راعيا وحقا مدانيا. يرددون بين الناس ما عرفوا، رسلا من الله بينهم عرفوا، يمكنون الناس لأنفسهم بما به شرفوا.

ذلكم دين الفطرة، على ما جاء به رسول الفطرة، وعلى ما عرّفه كتاب الفطرة، وعلى ما قامه الناس، قياما بالفطرة، في فاطر السماوات والأرض، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، رجل سلم لرجل، في رجل رشيد كلمة لله، وروحا منه تجسد إلى صورة بذات، أو انطلق نورا وقام سماوات.

فإلى متى نتمنى ما لقارون؟ وإلى متى ينتظرنا الوعد والوعيد، فلا نفيق إلا يوم نرى ما وقع لقارون؟ من يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها. وكم وقع ما وقع لقارون ولا نفيق، ولا تؤمن بالله ولا بالطريق!

إن من وصل نفسه برسول الله، وصل نفسه بالعروة الوثقى لا انفصام لها. إن من صلى على النبي، كان النبي أولى به من نفسه. إن من دخلت نفسه مطمئنة، صديقة، عالمة مفرقة بين الحق والباطل، دخلت نفس عبد الله، نفس عبد للرحمن يمشي على الأرض هونا، لا يسفه أحلام الناس في دينهم، ولا يجاري الناس في دنياهم، ولا يمقت الناس متواصيا بحق، ولا يضطر الناس أمرا بمعروف. فهو رحمة للناس أبرز، ورحمة للناس ظهر، ورحمة للناس مع الناس عامل.

نفس كلية تدخله النفوس المطمئنة، فيحتويها، حواء حاوية لبنيتها، فتصبح النفوس الحية به أجنة نامية فيه إلى جنة قائمها، باستقامتها على أمره، في جهره وسره لجهرها وسرها، قدوة لها بكلماته، موقظا لها بآياته، يمسك منها الأعنة، ويقودها إلى أعلى من الجنة، يخلصها ويقيها من أسفلها من النار، فهو سيد الجنة والنار في موجوده لنفسه، وهو المسجد والمزار والطواف، وهو النصب والحوض والاعتراف، لمتواجده لأمره، وهو الحرم للأحرار، وهو ساحة المطلق والدار لعتقى العقول من الأحمال والأوزار.

وهو بالأعلى القيوم والقائم على قائم الحياة، وحي النفوس ومتحرر العقول، وهو الحارث الزارع لأرض القلوب، وهو الغارس الحاصد لأرض الوجود، وهو الجامع الساري لساحات الشهود.

هل عرف الناس أنفسهم بالكنود، فعرفوا ربهم عليهم بالسهر والوجود، فطلبوهم إلى ساحته، فدانتهم رحمته، فعرفوا الخبير، ولاقوا الدليل، وبعثوا الرسول والسبيل؟

عرفوا أن وجودهم، لواجه موجودا، علما على واجب الوجود خالقا معبودا، أمر فطري، وناموس حقي، وعلوهم المفتقرين للدليل إلى رب العالمين، المستغنين عن الدليل على رب العالمين، يعرفونه في أنفسهم يوم يجتمعون على مفتاح الكنوز لضمائرتهم، ولعقولهم، ولقلوبهم، ولوعيمهم، متجسدا لهم في الشهود، بعثا بوجود لواجب الوجود، برسول الله ربا للعالمين.

واعلموا أن رسول الله فيكم ومن بينكم، واعلموا أن فيكم رسول الله في أنفسكم، أفلا في أنفسكم تبصرون؟ إن الله معكم ورسوله فيكم، وأقرب إليكم من حبل الوريد، يوم أنكم لهم تطلبون، ولما تطلق الله تسجدون، ولوجه الله أنفسكم تعبدون، ما شهدتم لله وجهها، أينما تولون، فكيف تكونون وجوها لله متحققين، أو بوجهه مسافرين، وأنتم على مشهود وجهه لكم تتكرون، فأنتم وجوه لوجه فيه تراءون؟

فماذا عرفنا من الإسلام، نزع الانتساب إليه، والقيام فيه؟ وماذا عرفنا عن دين الفطرة، نقومه غير مدركيه، وتقومنا الفطرة نكدين، غير مصدقين ولأنفسنا مضيعين؟

إن الله معنا، قائم على كل نفس، ومن ورائها بإحاطته، وأقرب إليها من حبل الوريد. هل هذا قول معجم، أو كلام لا يفهم، ولا يقوم ولا يعلم؟ قامه من بُعث به، وعلمه من تعلم فعلم فيه، فنفرنا منا حقائق، وفتنا بنا خلائق.

الله لا إله إلا هو الحي القيوم

اللهم يا من يجعنا.. اللهم يا من هو في دوام جامعنا، وفي يوم معلوم يُشهدنا.. اللهم يا من بالرحمة أوجدنا.. اللهم يا من بالحكمة أعدنا وطورنا.. اللهم يا من بدأنا خلقا، وينتهي بنا إليه حقا، ومن الباطل يخلصنا، ولنفسه يستخلصنا، وبقائم الحق بنا يقومنا.. اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا.

اللهم لأنفسنا لا تدعنا، وإلى أرض قيامنا لا ترجعنا، وعلى أهل سماواتك مقبولين عندهم فاجمعنا، واكشف حجاب الغفلة عنا، وخلصنا من أوزارنا منا، واكشف لنا أسرارنا، وأقرئنا كتبنا، واجمعنا كتابا جامعا لنا، عبادا لك مصطفىين، وكلبات لك مُشهرين، وحقائق فيك مجددين، بك قائمين، وحقائق منك مبعوثين، ومُرسلين، ولرسولك متابعين، وبه فيه محمولين، إلى مطلق حضرتك معه ساعين، قائد ركب عوالمك إليك في العالمين، له منسوبين، وبه إليك منتسبين، لا تحرمنا متابعتك في الدنيا والدين، وفي الآخرة وفي ركب العالمين.

اللهم به فارحمنا.. اللهم به فولِ أمورنا خيارنا.. اللهم به فتواجدنا.. اللهم به فاسعدنا.. اللهم به إليك فينا أرجعنا.

لا إله إلا أنت سبحانك، إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

للكاتب الإنجليزي المعروف هـ. ج. ولز من مقال تحت عنوان (من أنا):

(من أنا ومن ذلك الإنسان المدعو ولز؟)

لقد حاولت أن أفكر في شخصي، وفي مجموعة الخواطر والأفكار التي يتألف منها كياني، فعدت بخيبة مُرة، تركت في فؤادي أعمق الحسرات.

إن شخصيتي ما تنفك تتبدل وتتحول، وما ينفك ماضيها يبتعد عني، ويتبدد ويتلاشى في جوف الزمن السحيق. ها هي آثار اصطدامي بزجاجة في طفولتي باقية. ولكن أين هي الآلام والأفكار والعواطف

التي اقترنت بالحادث؟ كل ذلك قد مات وليس في مقدوري أن أستعيده. وإذن فليس في وسعي أن أقرر أن ولز الطفل الذي فكر وأحس وتألم في ظرف من الظروف هو ولز العاقل الرصين الذي يجلس الساعة على مكتبه مقطوع الصلة بماضيه. يفكر في هذا الماضي على غير جدوى. فولز القديم قد مات ولكن من هو ولز الحديث؟ من هو ولز المائل في قلبي وعقلي وحسي وضميري؟ هل هو حي حقاً كما يخیل إلىّ وكما يعتقد الكثيرون؟

الواقع أن أفكاري قد انحدرت إلىّ من الآخرين، وأني متصل بالنوع الذي أنتمي إليه وبالكلمة التي أنتسب إليها، وبالجموع الذي أنا جزء منه.

ولكن إذا كان بدني ثقیل الوطأة عليّ، دخيلاً على شخصي، وإذا كان شخصي المعنوي نفسه لا ينفك يتغير ويتبدل مستمداً قواه من الغير، فمن أنا؟ وما هي حقيقتي؟ وما هو اعتقادي في مصير الجسم وفي مصير الشخصية الإنسانية؟

يلوح لي أن الجسم يفنى، وأن شخصية الفرد المعنوية فناء يمشي إلى فناء. وأما عقيدتي فهي أن الجوهر الباقي هو مجموع الفكر البشري النامي، ومجموع الإرادة البشرية المتفوقة، ومجموع الجهود الفكرية والنفسية التي يقوم بها الكل، والتي يمثل كل فرد جزءاً منها.

فالناس إلى فناء، ولكن الإنسان هو الباقي. والإنسان هو روح المجموع، هو (لا شخصية المجموع)، هو سر المجموع وعبقريته، ففي الإنسان قوة أقوى منه. فالإنسان الأعلى ليس شيئاً في نفسه، وقيّمته تنحصر في أن تفوق المجموع قد تمثل فيه، وأن عبقرية المجموع قد حلت عليه، وأن شعوره بضرورة إنماء مواهبه، ينبع لا من نفسه، بل من المجموع، وينصب لا في نفسه، بل في حياة المجموع. فجهادنا يجب أن ينصرف إلى خدمة النوع الخالد أو الإنسان الخالد لا إلى خدمة ذاتنا المضمحلة الفانية التي لا قيمة لها من حيث هي ذات، بشرية منفصلة).

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة القصص - ٧٩
- ٢ سورة آل عمران - ٥٥
- ٣ حديث شريف: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ." صحيح مسلم.
- ٤ سورة الزمر - ٥٣
- ٥ سورة النساء - ٤٨
- ٦ سورة نوح - ١٠-١٢

- ٧ مقولة للسيد أبي الحسن الشاذلي.
- ٨ سورة الرحمن - ٢٦-٢٧
- ٩ مقولة للشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية: فإن نظرت إلى الآلات طال بنا *** إسناده عن عنة حتى إلى الذات.